

كتاب المونس

في

اخبار افريقية وتونس

تأليف

الفقيه النبيه العلامة ابي عبد الله الشيخ

محمد بن ابي القاسم الرعيني القيرواني

المعروف

بابن ابي دين

رحمهما الله تعالى

طبعة أولى

في مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية

س ١٢٨٦
نـ

بسم الله الرحمن الرحيم



الحمد لله الذي لا يبدأ احد في كتاب إلا باسمه ليصل الى التمام *
ولا يدون ديوانا إلا ويشحنه بالثناء عليه بما له على العباد من الفضل
والانعام * ولا يورخ تاريخا إلا ليعلم من عجائب مخلوقاته وغرائب مصنوعاته
ما تعجز عنه العقول وتقتصر عنه الافهام * الملك الذي بيده مقادير الامور
مدى الدهور والاعوام * الذي اخترع العالم بحكمته وابرزه للوجود بقدرته
تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام * احده حمد سن اقر بربوبيته واعترف
بوحديته من غير شك ولا ايهام * واشكره شكر سن وهبه جزيلا من فضله
فطلب منه المزيد بالشكر لقوله اشكروني ازيدكم من الخير والانعام * واشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له المنفرد بالتصرف في ملكه وملكوته
بالعدل والاكرام * واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي جاء بالصدق
وقطع دعوة الماسد ببلاغته من كلام العزيز العلام * وهاجر من اعز البقاع الى
اعز البقاع فاقام الدين واطهر شرائع الاسلام * ويوم هجرته صار تاريخا لمن
تمسك بشريعته بين الانام * صلى الله عليه وسلم صلاة عاطرة يتصوع من
نشرها مسك الختام * وعلى اله الطاهرين الطيبين الذين اثنى عليهم الملك
العلام * انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا
من جميع الاثام * وعلى اصحابه الذين فتخوا مشارق الارض وغاربها

وهدموا صوامع الشرك وقتلوا عباد الاصنام * واعلنوا بكلمة التوحيد فانار
الهدى وانقطع الباطل وارتفع الخصام * صلاة وسلاما ادخرهما ليوم العرض
والزحام * يوم تبيض وجوه وتسود وجوه تكون لي نجاة من النار ومثوبة بالفوز
في دار السلام * ورضي الله عن التابعين وتابع التابعين لهم باحسان الى يوم
الدين السادة الفضلاء الاعلام * ما ترنم طير على ايكه ورقت على منابر الاصابع
خطباء الاقلام * وبعيد فيقول العبد الفقير الى رحمة الملك الغفار * محمد بن
ابي القاسم الرعيني القيرواني المشهور بابن ابي دينار * عامله الله بلطفه *
واسبل عليه ستائر حلمه وعطفه * بمنه وكرمه ءامين * قال بعض اهل العلم
ان في علم التاريخ عبرة لمن يعتبر * وتذكرة لمن يتذكر * لانه ينبي عن صنع
الله في القرون الخالية * وكيف تصرفت قدرته بارادته في الامم الماضية *
وحكمته تعالى جارية في مخلوقاته بعدله واحسانه بحسب ارادته على
مر الدهور والازمان * وهو سبحانه وتعالى كل يوم هو في شأن لا يشغله شأن
عن شأن * وقيل تعالى قل سيروا في الارض على احد اقوال المفسرين هو
النظر في كتب السير * والتطلع على اخبار الماضيين من البشر * فمن امعن
النظر في اخبار الماضيين رآى ما يعجب منه العجب * وان تأمل سير الملوك
سرح طرفه بمرآة الزمان في مروج الذهب * وان شنف سمعه باخبار
الزمان * اغتته ازهار حدائقها عن قلائد المرجان * وعلم ان الدر المشرق *
في اخبار اهل المشرق * وان استغرب فالمغرب * عن احوال اهل المغرب *
فان اختصر فالختصر في اخبار البشر * والحديث شجون * والعشق جنون *
والجنون فنون * وكل حزب بما لديهم فرحون * ولهذا كثرت كتب السير
في غالب المعمور من الارض إلا ان كل امّة يستمد بعضها من بعض * والبلاد
متفاوتة على قدر مراتبها * والعقول مختلفة فيما تجمع من عجائبها وغرائبها *
إلا ان مدينتنا الخضراء العلية * وعروس البلاد الافريقية * تونس حرسها
الله تعالى لم يتقيد لجمع اخبارها مصنف * واذا تأمل المتأمل الى معناها
وترتيبها وجدها احق بالتصنيف من غيرها اذا كان المتأمل منصفاً لا

متعسف * لانها عروس بلاد المغرب ونزهة الاقليم الافريقي ودار الخلفاء
من بني ابي حفص * وهي اشهر من نار على علم وخبرها رؤى الثقة بالنقل
والنص * وتمت محاسنها وان كانت غير ناقصة بالدولة العثمانية * وعظم
هيبتها بين حبايبها لما نشرت عليها الاعلام الخاقانية * إلا انه تقدم لابن
الهناتى مجموع لطيف اخبر فيه عن احوال القوم * وانفق من بضائع بني
ابي حفص ما تيسر له ولكنه غالى في السوم * وما ذاك إلا لانه لم ينظر الى
حلية تونس في هذا الزمان * ولم ينظر الى معناها ومعناها الذي لم شان
واي شان * ولو ادرك زماننا لطغى بقلبه والقى العصا * ولو شاهد حسنها
في حلل الهناء لقال هذا مما لا يعد ولا يحصى * ولما تمت محاسنها اصابها
سهم من نظر المعيان * فام تخطا رميته حتى راينا مصارع العشاق في حرب
لاخوين ومقاتل الفرسان * وكانت قبل اليوم في ذروة الشرف * واهلها في
نعيم مقيم في الرعة والترف * الى ان قدر الله علينا بخطوب واي خطوب *
وقابلها الزمان بعد التبسم بوجه قطوب * فتكدت احوال اهل البلد *
واصبح كل انسان يقول نفسي نفسي ولا يسال احد عن احد * وقد كنت
اتمى ان اجد سن فيه نباهة ليجمع ما حدث في زماننا من الوقائع العجيبة *
ويضيفه الى ما جمعه ابن الشماع في تلك المدة البعيدة الى هذه المدة القريبة *
وكم تشوقت الى هذا الجمع بنفسي * وملت داليه بحسي وحديسي * الى ان قدر
الله علي بفرقة الاحباب وموت الاولاد * ودهيت بما تنقطع منه كبدي وكبد
غيري من اهل البلاد * فكان هذا هو الباعث لي في هذا التقييد * واستشرت
ماحونا في مشورته فرسم لي برايه الرشيد * فجمعت ما كان متفرقا بالرواية
والسند * وجعلته مقام تبريد اشتعال الكبد بموت الولد * وجعلت اتسلى به
من حزني * لاني في غمرات استلا القلب منها وقال قطني * ورحم الله ابن الوردي
حيث قال - لي مهجة في النزاعات وعبرة : في المرسلات وفكرة في هل اتى -
والا فكيف لي ان اكون من فرسان هذا الميدان * ولست من ابتناء
الخضراء على الحقيقة حتى يحصل لي هذا الشأن * ورحم الله الاخف حيث

قال - فسد الزمان فسدت غير مسود : ومن الشقاء تفردني بالسودد - ولكن لي العذر وقد تطفلت على موائد الكرام واساءتي مغفورة عند العلماء من اهل الحضرة وان كنت معدودا من العوام * وإلا فكيف لي ان اصرب بقداحي بين القوم وافوز بسهم * ام كيف يكون لمثلي بين العقلاء نصيب او قسم * وانا خائض في غياهب الجهالة * وسارح في مروج اللهو والبطالة * فصرت كحاطب ليل او جامع سيل * وطلع صباح الشيب فبدت آية النهار مبصرة فمحت آية الليل * وفقد الشباب والاحباب * اعظم المصاب * قال بعضهم -

شيئان لو بكت الدماء عليهما عيناى حتى تؤذنا بذهاب

لم يبلغ المعشار من حقيهما فقد الشباب وفرقة الاحباب

وها انا استهدفت للرأي * وبرزت مرامي * وقدمت ما اورده ابن الشماخ ليكون البناء على اساس * واجمع الى كلامه ما انقله عن غيره وما رويته عن غير واحد من الناس * واذا ذكرت شيئا مما ثبت عنده * اذيل عليه بنكت من كلام الغير وكل احد ينفق ما عنده * وابذل جهدي بقدر الطاقة عسى ان يحصل لي نصيب * واجتهد فيما اردته ان شاء الله وما كل مجتهد مصيب * فان ظفرت بشيء مما رتبته وبلغت المنا * كنت ابن ظفر على الحقيقة ونظمت في سلك نجباء الابرار * ومن الله استمد الاعانة والطول * لانني عاجز ولا قوة لي ولا حول * واساله التوفيق في القول والعمل * والنجاة من الخطا والزلل * ان شاء الله تعالى * وسميته « المونس في اخبار افريقية وتونس » * ورتبته على سبعة ابواب بعدد ابوابها وخاتمة *

الباب الاول في التعريف بتونس : الباب الثاني في التعريف بافريقية : الباب الثالث كيف فتحها الجيوش الاسلامية : الباب الرابع كيف استولت عليها الخلفاء العبيديون : الباب الخامس في الامراء الصنهاجية : الباب السادس في الدولة الحفصية : الباب السابع في الدولة العثمانية : والخاتمة تتضمن احداثا ظهرت في الديار التونسية . وما أثر تفخر بها بين جيرانها الافريقية . وما تميزت به في البلاد المغربية *

الباب الاول

في التعريف بتونس

قال ابن الشماخ مدينة تونس هي اسلامية احدثت بعد الثمانين من الهجرة * وكان ابو جعفر المنصور العباسي اذا قدم عليه رسول صاحب القيروان يقول له ما فعلت احدي القيروانيين يعني تونس تعظيما لها * وهي اليوم قاعدة البلاد الافريقية وام بلادها وحضرة السلاطين من الخلفاء المحفصيين ومهاجراهل الاقطار من الاندلس والمغرب وغيرهما * فكثر خلقها واتسع بشرها ورغب الناس في سكناها وحدثوا بها المباني والكروم وبينها وبين قرطاجنة عشرة اميال * وبين تونس ومرساها بحيرة يقال انها كانت كثيرة الجنات والمياه والزرع طيبة الفواكه فغلب عليها ماء البحر * قلت عرف بها صاحب الجغرافية حيث قال ومدينة تونس في الجزء الثاني من الاقليم الثالث * ومدينة تونس في ذاتها قديمة اسمها في التواريخ ترشيش ولما افتتحها المسلمون وحدثوا البناء بها سموها تونس * ومدينة تونس في جون خارج عن البحر وهي على بحيرة محتفرة وعرضها اكثر من طولها وذلك ان طولها ستة اميال وعرضها ثمانية اميال ولها فم يتصل بالبحر وهو المسمى فم الوادي * وذلك ان هذه البحيرة لم تكن قبل وانما حفر في البر حفير انتهى به الى مدينة تونس ومن فم هذه البحيرة الى مدينة قرطاجنة ثلثة اميال ونصف * قسملت الذي ذكره صاحب الجغرافية انها قديمة لا شك فيه لقول غيره وذكر سبب فتحها وكذلك حفر البحيرة يدل انه كان في زمن الاسلام لان قبل الاسلام كانت قرطاجنة حائلة بينها وبين البحر والبحر بعيد عنها جدا وانما احدث البحر بعد خراب قرطاجنة * وما ذكره ابن الشماخ انها كانت بساتين ومزارع تشهد له الابار التي في وسطها وربما وقع فيها صيادو السمك احيانا ويتجنبون مواضعها ولهم بها خبرة * قال ابن الشماخ ومدينة تونس سور يدور بها وان دورها

أربعة وعشرون ألف ذراع * قسّلت ولم يذكر الباني لسورها حيث كانت عنده إسلامية والمجاري على السنة أهلها أن بناءه كان على يد الشيخ سيدي محرز والشيخ المذكور كان في أول المائة الرابعة إلا أن يكون الشيخ جدده بعد المحنة التي وقعت عليها من أبي يزيد الخارجي وذلك في سنة ست عشرة وثلاثمائة لأنه نهب إفريقية ومدينة تونس ونهب منها نحو اثني عشر ألف خابية زيتا غير الأموال والعبيد والامتنعة والدواب والنساء والأطفال وغير ذلك وسيأتي خبر أبي يزيد بعد أن شاء الله تعالى وكذلك القصة لم يذكر بناءها * وقسّال عند ذكر المولى عبد الواحد أنه سكن بقصبتها عند حلوله بتونس وهذا يدل على أن قصبتها متقدمة من زمن بني أبي حفص * قسّلت ولعلها من بناء بني الأغلب كما سيأتي والعمال كانوا يسكنون بها وأبناء خراسان كانوا بها لما خرجوا عن طاعة بني باديس * والغالب على ظني أنها القصة القديمة وأما هذه فهي بناء بني أبي حفص كما سيأتي أن شاء الله تعالى * قال ابن الشماع وجامع تونس مليح الصنعة حسن الموضع مطل على البحر بناء عبيد الله بن الحبحاب ودار الصناعة سنة أربع عشرة ومائة وأنفذ إليها البحر * قسّلت عبيد الله بن الحبحاب كان عاملاً لهشام بن عبد الملك بن مروان على مصر وأرسله إلى إفريقية سنة ثمان عشرة ومائة فلما وصل القيروان أخرج المستنير من السجن وأرسله إلى تونس وألبا عليها ولعله لم يدخل إلى تونس وتقدمه البكري حيث قال ومدينة تونس دورها أربعة وعشرون ألف ذراع وذكر بناء عبيد الله بن الحبحاب * قال ومدينة تونس اسمها في الأوائل ترشيش ويقال لبحرها بحر رادس ومرساها مرسى رادس وإن حسان بن النعمان افتتحها وذكر غيره أن زهير بن قيس البلوي افتتحها * قسّلت وقع التناقض بين قوله من بناء بني أمية وبين قوله افتتحها حسان وقول غيره افتتحها زهير وزهير كان سنة سبع وستين وحسان سنة سبع وسبعين والبناء سنة ثمانين إلا أن يكون الفتح أولاً ثم استقر بها قدم المسلمين واستوطنوها

والتخذوا بها المنازل والديار وكان نزولهم بها في سنة ثمانين فلذلك نسبت الى بني امية ولم يكن قبل ذلك ينزلها احد من المسلمين وابن الشماع ادرى ببلده * وقال البكري وبمدينة تونس بحيرة دورها اربعة وعشرون ميلا وهي في جبل يعرف بجبل ام عمرو وفي بحيرتها جزيرة مقدار ميلين تسمى شكلي تنبت الكناخ وبها اثار قصر خرب * قلت في زماننا هذا بها قصر مشيد والذي حكاه البكري وغيره عمر بعد ذلك في حدود الاربعين والتسعمائة على ايدي النصارى وبنوا فيه حصارا منيعا الى ان اخذه من ايديهم العسكر العثماني وسياتي ان شاء الله تعالى وخرب وما تبقى منه الا اثاره وجدد في زمان الحاج مصطفى داي بعد السبعين والالف وهو الى يومنا هذا غير عامر * قال ابن الشماع وتونس دار فقه وعلم وعلى عشرة اميال منها غربا وادي مجردة ويقال ان سن شرب منه قسا قلبه . وسميت تونس لان المسلمين لما فتحوا افريقية كانوا ينزلون بازاء صومعة ترشيش ويتانسون براهب هناك فيقولون هذه الصومعة تونس فلزمها هذا الاسم * قلت ذكر غيره ان العرب كانوا يسمعون اصوات الرهبان طول الليل في صوامعهم فيتانسون بهم فقالوا هذه البقعة تونس * وقال ابن الشباط وجدوا زيتونة منفردة في موضع المسجد فقالوا هذه تونس وسمي المسجد بجامع الزيتونة * وذكر غيره انهم لما نزلوا بازاء صومعة تونس الراهب الذي نسبت اليه الصومعة فقالوا صومعة تونس اطعمهم دشيش الحنطة فصار عادة لاهل البلد في راس كل سنة حتى كاد ان يكون عندهم من الواجب وانهم راوا مكانا محوقا منه بالشوك فسالوا الراهب عن سببه فاخبرهم انه يرى في بعض الليالي نورا ساطعا من تلك البقعة قال -- فعلت ان سيكون لها شان فصمتها من القذرات وبول الكلاب -- فصلوا في تلك البقعة وهي موضع المحراب والتخذوا هناك مصلاهم * قلت ان صح هذا فالشرف سابق لهذه البقعة بحيث صلى بها الصدر الاول من المسلمين والفضلاء من المتأخرين وام بالناس فيها عدة اعلام ونجباء كرام وهي بقعة

مباركة يستجاب فيها الدعاء الى يومنا هذا والله الحمد * وقال البكري
يدور بتونس خندق حصين ولها خمسة ابواب * وقال ابن الشباط
لها في زماننا عشرة ابواب بعضها في البلد وبعضها في القصبنة *
قلت وفي زماننا لها سبعة ابواب ولم يبق في القصبنة إلا باب غدر وهو
مغلق في هذا الوقت * وذكر غير واحد ان لها خمسة أسماء . ترشيش .
وتونس وقيل تانس . والحضراء . والحضراء . والدرجة العليا * فترشيش
اسمها في القديم . وتونس حادث لها واشتقاقه من التانس . والحضراء لانها
حصرة السلاطين من بني حفص . والحضراء لكثرة زيتونها . والزيتون لا يزال اخضر
طول الزمان وهو الشجرة المباركة . اولان خبزاتها كثيرة عن غيرها وسعة ارزاقها
وقد يقال لمن هم في سعة من الرزق خضر المربع فلذلك عبر عنها بالحضراء .
والدرجة العليا قيل لان بها الجامع الاعظم وقيل لارتفاعها عن غيرها من البلدان
وارتفاع صيتها في كل اوان * ولقد اخبرني سن اثق به ان السلطان احمد
صاحب مراکش لما ارسل جيشه صحبة محمود باشا مملوكه الى بلد السودان
وفتحها الى تنبكت واخذ على اهلها البيعة لاستاذة وكان بها اذ ذاك
لاستاذ العالم العلامة الشيخ ابو العباس احمد عرف بابا رحمه الله سال
الناس لمن بايعوا فاخبروه بسلطان مراکش فقال لست اعلم في اقليم الغرب
سلطانا إلا صاحب مدينة تونس حرسها الله تعالى * انظر ايها المتأمل كيف
ثبت عند هذا العلامة خبر تونس وسلطانها مع قرب بلادة من مراکش
وبعدها عن تونس والشيخ احمد صاحب اطلاع وهو من اكابر علماء وقته
وما ذاك إلا لفخامة ذكرها وعلو قدرها زادها الله علوا * ولنرجع الى قول
ابن الشباط قال وجامع تونس رفيع البناء مطل على البحر ينظر الجالس فيه الى
جميع جواره ويرقى الى الجامع من جهة المشرق على اثني عشرة درجة * قلت
ابن الشباط محقق فيما ينقله ولم يذكر سن الباني لهذا الجامع إلا ما ذكره
غيره وهو ان عبيد الله بن الحبحاب هو الباني له كما مرء انفا واعل عبيد الله
هو الذي اسسه * وذكر ابن ناجي ان زيادة الله بن الاغلب بنا جامع

الزيتونة وسور تونس وقصبتها فهي من بناء بني الاغلب * قلت
ولعل البناء الضخم هو من بناء الاغالبة ويشهد لذلك ما هو مكتوب في
القبعة التي فوق المحراب اسم امير المومنين المستعين بالله العباسي سنة
خمس ومائتين وزيد فيه على بنائه الاول كما زيد فيه في ايام بي حفص
والله اعلم * وقال ابن الشباط وتونس اسواق كثيرة ومتاجر عجيبه
وفنادق كبيرة رفيعة وبها خمسة عشر جاما * قلت في وقتنا هذا
بها اربعون جاما * قال وعصادات ابواب دورها كلها رخام بديع وهي دار
علم وفقه ولي منها قضاء افريقية جماعة كثيرة * ويصنع بتونس غانية للماء
من الخزف شديد البياض في نهايتها الرقة تكاد تشف ليس يعلم لها نظير
في سائر الاقطار * ومدينة تونس من اشرف مدائن افريقية واطيبها ثمرة
وانفسها فاكهة وبها من اجناس الحوت الذي لا يكون مثله في غيرها *
قلت رحم الله ابن الشباط وغيره لو شاهدوا ما في هذا الوقت من خيراتها
وكثرة بساكنيها وجناتها لا عجزهم الوصف وراوا من الفواكه ما ليس له حد ولا
طرف وشهادة الله انه يوجد فيها ما لا يوجد في غيرها كثرة وحسنا بحيث
لا يدخل تحت حصر واذا افتخر المصريون بمصرهم قلنا لهم هذه اخوت مصر
وناهيك ان في فصل الخريف يدخل اليها كل يوم ازيد من الف حمل من
العنب هذا خلاف ما يباع مع العنب من ثين وبطينخ وغيرها من الفواكه
الرطبة واليابسة * ولقد اخبرني بعض خدمة المحتسب في سنة احدى وستين
والف انه حصر ما بيع للخمارات من العنب فكان مقداره ستين الف
حمل خلاف ما بيع في اسواقها وقس على هذا القدر وفيه كفاية واما الخزف
فهو اقل شيء في الفخر وهم اهل الحضرة اعلى من ذلك * وقال صاحب
اقتباس الانوار وتونس من بلاد افريقية بينها وبين القيروان اربع مراحل
وهي مما بناه بنو امية والمدينة القديمة الرومية اسمها قرطاجنة وينسب الى
تونس جماعة من العلماء منهم ابو الحسن علي بن زياد التونسي سمع من مالك
الموطا وتفقهم عليه وتفقهم به سحنون وعاش بعد مالك نحو من خمس سنين

وقبره بداره داخل باب المنارة * وقال ابن الشماع ومنهم الشيخ الامام
العابد سيدي حرز بن خلف وقبره بداره داخل باب السويقة . وبقبلي
مدينة تونس جبل يعرف بجبل الثوبه لا يثبت شيئا وهو المسمى بجبل
الجلاز وفي اعلاه قصر مبني مشرف على البحر * قلت القصر الذي
ذكره هو مقام الشيخ العارف بالله سيدي ابي الحسن الشاذلي نفعنا الله ببركاته
والعجب كيف غفل عن التعريف بالمقام مع ان الشاذلي متقدم على ابن
الشماع بزمان او لعل المقام لم يشتهر إلا من بعده * قال وشرقي القصر غار
منحني الباب يسمى بالمعشوق وبالقرب منه عين جارية * قلت
لم يبق له اثر إلا ان يكون المغارة التي تنسب للشاذلي ايضا في زماننا
هذا والغار الذي ادركناه قبل اليوم تحت الجبل وبه عين ماء يقال لها الحمام
وخرب واليوم في موضعه ماجل وهو على الطريق على شاطئ البحيرة * قال
وجامع تونس يرقى اليه من ناحية المشرق على اثنتي عشرة درجة وقد تقدم هذا
النقل عن غيره بزيادة ايضا * وقال ابن الشباط ومحاسن تونس ومبانيها
في عصرة مما يقصر عنه الوصف وأنشد لبعض الشعراء يمدحها

فتونس تونس سن جاءها * وتدركه حسرة حيث سار
فلو حل عنها لارض العراق * لحن اليها حنين الحـوار
يحن اليها ويشواقها اشـتياق الفرزدق فقد النوار

والنوار امرأة الفرزدق الشاعر المشهور وله فيها عدة قصائد في محبته اياها *
وذكر البلاذري ان زهير بن قيس افترقها * وقال البكري افترقها
حسان بن النعمان وقائل النصارى بفحصها فاذعنوا له وسالوه ان لا يدخل
عليهم ويضع الخراج عليهم ويقوموا له بما يحمله واصحابه فاجابهم الى ذلك
وكانت لهم سفن فاحتملوا فيها اموالهم واهليهم ليلا واسلموا المدينة فدخلها
حسان فحرق وخرب وبني فيها مسجدا وخلف فيها طائفة من المؤمنين قال
واغارت الروم من البحر على من بقي فيها من المسلمين فقتلوا وسبوا وغنموا ولم
يكن للمسلمين شيء يحصنهم من عدوهم ووصل الخبر الى حسان فرجل الى

تونس وارسل اربعين رجلا من اشراف العرب الى عبد الملك بن مروان وكتب اليه بما نال المسلمون من البلاء فلما بلغ ذلك عبد الملك عظم عليه الامر وكان اذ ذاك التابعون متوافرين وفيهم اثنان من الصحابة انس بن مالك وزيد ابن ثابت فقتلا للمسلمين من رابط يوما برادس فلم الجنة وقالوا لعبد الملك ادرك هذه البلاد وانصر اهلها ليكون لك ثوابها فانها من البلاد المقدسة فكتب عبد الملك الى اخيه عبد العزيز وهو وال على مصر ان يوجه لتونس الف قبضي باهله وولده وان يحملهم من مصر ويحسن عونهم حتى يصلوا الى ترشيش وهي تونس وكتب الى حسان بن النعمان يامره ان يبني لهم دار صناعة تكون قوة وعدة للمسلمين الى آخر الدهر وان يصنع بها المراكب ويغير منها على سواحل الروم . فوصل القبط الى حسان وهو مقيم بتونس فنجري البحر من مرسى رادس الى دار الصناعة وجعل فيها المراكب الكثيرة وامر القبط بعمارتها * قال ابن الشباط وقد تقدم ان عبيد الله بن الحجاب هو الذي بنى دار الصناعة فلعل من روى ذلك يزيد ان عبيد الله جددها وزادها تحصينا فلم تنزل تونس معمورة من يومئذ يغزو منها المسلمون بلاد الروم ويكثرون فيهم النكاية والاذاية * وذكر البكري ان حسان هو الذي خرق البحر من مرسى رادس الى دار الصناعة * وقال غيره ان الوليد ابن عبد الملك بن مروان لما علم ان الروم اغاروا على تونس وبلغ ذلك من المسلمين كل مبلغ وان علماء المشرق كتبوا الى اهل افريقية من رابط يوما برادس هاجنا منه حجة وعظم قدر رادس عند العلماء وزاد فضلها وان حسان بعث الى الوليد يعلمه باذاية الروم كتب الوليد الى عمه عبد العزيز بن مروان وهو وال على مصر وافريقية ان يوجه الف قبضي والى قبضية ويحملهم الى بلاد افريقية وامره ان يخرق البحر الى تونس * وذكر غيرها ان الذي خرق البحر الى تونس هو موسى بن نصير وجعل دار الصناعة بتونس وجر البحر اثني عشر ميلا حتى اقحمه دار الصناعة فصارت ميناء للمراكب وامر بصناعة مائة مركب وغزا بها بلاد الروم وعقد لولده عبد الله

عليها وامره بالانصراف الى صقلية وكانت اول غزوة غزيت في بحر افريقية
فسار عبد الله الى صقلية فافتتح فيها واصاب ما لا تدرى قيمته ثم انصرف
قافلا سالما وكانت تسمى غزوة الاشراف وعقد بعد ولده لبعض اصحابه على
مراكب اخر فوصل سرقوسة وملكها والله اعلم بحقيقة ذلك * وحاصل
الامر ان تونس ليست محتاجة الى تعريف وذكرها طبق الوجود فهي كما
قيل في المثل طابق الاسم المسمى لانها تونس الغريب وقلما يوجد غريب
دخلها إلا وحصلت له بها علاقة ولا يفارقها إلا وهو متحسر عليها وتن قطن
بها حنت عليه وحن لها ان فارقها وعزت عليه * وذكرها غير واحد من
العلماء واثني عليها بحاسن كثيرة لا تعد ولا تحصى * وزعم الحداة بذكرها
في المسجد الحرام والمسجد الاقصى - وكيف يصح في الاذهان شيء : اذا احتاج
النهار الى دليل - وهي حرسها الله واسطة البلاد الافريقية كما ان افريقية
واسطة البلاد الغربية فهي بمنزلة الراس من الجسد بل بمنزلة العين من
الرأس واذا ثبت ما قلته وتقرر ما نقلته فالذي صح عندي انها قديمة من
بناء الاولاد والذي ذكر فتحها هو اقرب من غيره وان حسان هو الذي
فتحها وبنى بها مسجدا وعبيد الله بن الحبحاب زاد في ضخامته كما ان
زيادة الله بن الاغلب زاد فيه وضخمه وكملت ضخامته في ايام بني حفص
كما سيأتي بعد ان شاء الله تعالى * وحسان بن النعمان هو الذي فتح
قرطاجنة وقطع عنهم القناة المجلوب عليها الماء وفتح تونس واتخذ بها
مسجدا وهو الجامع الاعظم وسمي بجامع الزيتونة كما مر في اول الكتاب *
وتونس لا شك انها قديمة البناء وكانت معاصرة لقرطاجنة * واسمها ترشيش
وقيل هذا الاسم علم لها من قديم الزمان الذي هو تونس * وسالت
بعض النصارى ممن لهم علم بالتاريخ فقال اسمها تنس في كتبنا وهذا الاسم
باللسان الاعريقي معناه تقدم واوقفني على كتاب عنده في التاريخ وكتبا
المدينتين فيه مصورتان تونس وقرطاجنة والحناينة ووادي مجردة وتونس اصغر
جمعا من قرطاجنة وسالته عن تاريخهما فقال ازيد من الفي عام * والنصارى

لهم اهتمام بهذا العلم والبلاد كانت لهم وصاحب الدار ادرى بالذي فيها ولا يعلم الغيب إلا الله تعالى * واما سن قال بناها بنو امية في حدود الثمانين والذي بنى الجامع ودار الصناعة عبيد الله بن المجحاب سنة اربع عشرة ومائة فبعيد اذ كيف يمكن ان يقال مكثوا نيف وثلاثين سنة بغير مسجد وهؤلاء القوم كانوا في صدر الاسلام إلا ان يكون تاسيس المسجد في الاول والبناء الضخم في الآخر وبهذا يرتفع الاشكال بحول الله * واما السور فمن بناء بني الاغلب والقصة ايضا وكانت عمال افريقية سكناهم القيروان واول من سكن تونس من العمال الاغالبة * قال ابن ناجي رحمه الله واتخذ بنو الاغلب تونس لمنزلاتهم وبنوا الجامع الاعظم * قلت ومات بتونس عبد الله بن احمد بن ابراهيم بن الاغلب سنة ست بعد التسعين والمائتين مقتولا قتلهم بعض خدمته باتفاق من ابنه زيادة الله واستقل بالملك بعك * وبالجملات فان مدينته تونس لها حظ وافر * وحسن باهر * حازت قصبات السبق في البلاد الغربية * وعظم شأنها بين جيرانها وحبائنها الافريقية * ولا سيما في هذه الدولة التركية * والسلطنة الحساقانية * خلد الله ايامها * وسير بالعدل احكامها * تميزت بجمع الحاسن * وصفا منها كل اسن * واتسعت عماراتها * وكثرت خيراتها * وعمرت فيها الاسواق والدور * وبنيت فيها المنازة والقصور * وظهر فيها كل حسن غريب * وهاجر اليها البعيد والقريب * وطابق الاسم المسمى كما يقال تونس الغريب * إلا انها في هذا الزمان اصبحت بالحن * وقام بها سوق الخوف من بعد الامن من شدة الفتن * عسى الله ان يجعل بعد عسر يسرا * واهلها ولله الحمد لهم اخلاق رضية ونفوس ابية * وعقل ثاقب * وراي صايب * وعلو شان * وحدة اذهان * وعلماوها مميزون عن سن سواهم بالذكاء والنباهة حتى ان الواحد منهم اذا لازم الاشتغال يحصل له في سنة ما لا يحصل لغيره في عدة سنين * ورزقها الله تعالى سرا تميزت به بين البلدان * واعظم سرها جامعها الاعظم كانه بين المساجد مسجد سليمان * وذكرها العبدلي في رحلته واثنى على اهلها خيرا * وذكر

علياءها بما هم اهلها ولما ذكر مصر قال سماعك بالمعيدي وسن كابر في النقل
فلينظر الاصل * وكان العلامة الشيخ ابو عبدالله محمد بن مصطفى الازهري
نزىل تونس رحمه الله لما استوطن هذه الديار التونسية وتانس بها وحضر
عند اهلها وامرائها يقول لو سئلت عن ثلاث لاجبت بلا ولو قطع راسي
لو قيل لي هل رايت اعلم من الشيخ ابراهيم اللقاني لقلت لا . ولو قيل لي
هل رايت اسر من جامع الزيتونة لقلت لا . والسؤال الثالث ياتي في محله
ان شاء الله تعالى * ولقد غالى بعض العلماء في مدح تونس وحريمها حتى قال
سن لم يتزوج بتونسية ليس بمحسن وفي هذا القدر كفاية * لمن له خبرة ودراية *
ولو تتبعنا محاسنها لظال بنا الكلام وخرجنا عن الشرط * ولما مد القلم لسانه
في هذا المحل حكىنا عليه بالقط * وعسى ان نصل الى ما هو اهم * وننتقل
من الخصوصية الى ما هو اهم * وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وهو رب
العرش العظيم *

الباب الثاني في التعريف بافريقية

افريقية من بلاد المغرب وعند اهل العلم ان اطلق اسم افريقية فانما
يعنون به بلد القيروان واما اهل السير فيجعلونه اقليما مستقلا وله حدود ولهم
اختلاف فيه وافريقية اوسط بلاد المغرب وخير الامور اوسطها * وقيل انما
سميت بافريقية لانها فرقت بين المشرق والمغرب ولا يفرق بين الاثنين
إلا احسنهما * وقيل سميت افريقية باسم اهلها وهم الافارقة والافارقة من
ولد فاروق بن مصرايم وقال آخرون الافارقة من ذرية قوط بن حام بن نوح
عليه السلام سموا باسم البلاد * وقيل ان افريقش بن ابرهة بن ذي القرنين
لما غزا بلاد المغرب ودوخ البلاد بنى مدينة سميت باسمه فقالوا افريقية
وسموا اهلها الافارقة ذكره المقرئزي * وقيل اسمه افريقين بن قيس بن صفى

الحميري افتتحها وقتل ملكها واسمه جرجير فسميت به ويومئذ قال لاهلها
ما اكثر بربرتكم فسموا بربر قاله ابن خلكان * وقيل كان اسمه افريقس
بالسين المهملة فعربت بها العرب بالشين المعجمة * ونقل ابن الشباط عن
بعضهم انه كان يقول اسمها ابريقية من البريق لان سماءها خال من السحب
قلت وهذا القول بعيد لان افريقية كثيرة السحب حتى قال
بعضهم ان القيروان لا تخلو من السحب في غالب السنة ويعبر عن فحص
القيروان بمزاق لان السحب تتمزق منه حتى قال بعضهم تنشأ السحابة
بالقيروان وتمطر بصقلية وغالب بلاد افريقية كثيرة البرد والامطار وغالب
اللاوقات لا تخلو من السحب * وسمعت بعض الفقهاء يقول معنى قوله
تعالى - اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز - يعني الارض المخرشفة على
احد التأويل ولا يوجد في غالب العمور اكثر خرشفا من افريقية والله
علم * وافريقية اقليم عظيم جمع المحاسن الجميلة * والفوائد الجليلة *
والمدن العظيمة * والمزارع الكريمة * والمياه العذبة * والفواكه اليابسة
والرطبة * والمباني المنيفة * والمعادن الشريفة * والمسارح المعدة للصرع *
والاثار البديعة للزرع * وجميع ما يحتاج اليه * وتقبل النفوس عليه *
وجعلوا حدود المغرب من سيب بحر النيل بالشرق الى ساحل البحر المحيط
من ناحية المغرب * وحد افريقية بالطول من برقة الى طنجة وعرضها من
البحر الشامي الى الرمال التي اول بلاد السودان قاله غير واحد * قلت
في زماننا هذا لا يعبر بافريقية الا من واد الطين الى بلد باجة * وقال
ابن الشباط واصاف افريقية اشهر من ان تذكر * او يخاف عليها من ان
تجحد وتنكر * ولم يزل بها على مر الزمان من العلماء والكتاب * وذوي البراعة
في المعارف والاداب * سن نزدان باوصافه الاقطار * ونشرق بانوار كلامه
الاسطار * وذكر احاديث شريفة في فضل المغرب وفضل افريقية * ونقدمه
ابن الدباغ في ذلك واورد احاديث وردت في فضل المنستير ورادس * وقال
ابن ناجي لا شك ان الاحاديث التي في المنستير ورادس موضوعة * وها انا

أورد من تلك الأحاديث ما ثبتت صحته على وجه التبرك * ذكر ابن الشباط
قال في كتاب مسلم حدثنا يحيى بن يحيى قال حدثنا هشام عن داود
ابن أبي هند عن أبي عثمان عن سعد بن أبي وقاص قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم - لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة *
وفي كتاب الطبقات في علماء إفريقية حدثني فرات بن محمد قال
حدثنا عبد الله بن أبي حسان اليحصبي عن عبد الرحمن بن زياد عن أبي
عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
- ليأتين أناس من امتي من إفريقية يوم القيامة وجوههم أفضل نوراً من نور
القمر ليلة البدر * وذكروا عدة أحاديث وردت في إفريقية وأن المنستير
باب من أبواب الجنة * ولا شك أن لها فضلاً وشاناً والله أعلم * وحكى
بعض المؤرخين عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم أنه قال كانت إفريقية
من طنجة إلى طرابلس ظلاً واحداً وقرى متصلة عامرة فاخربت جميع ذلك
الكاهنة وذلك لما هزمت حسان بن النعمان الغساني بعد ما فتح قرطاجنة
وتونس وهزم البربر هزيمة شنيعة وفروا أمامه إلى برقة ورجع إلى القيروان
فسأل هل بقي أحد ممن له شوكة قوية من البربر ف قيل له امرأة ساحرة
يقال لها الكاهنة وهي بجبل أوراس في عدد عظيم * فسار إليها والتقى
معيها فاقستلوا اشد قتال فقتل من العرب خلق كثير وانهزم حسان واتبته
الكاهنة حتى خرج من عمل قابس وأسرت من أصحابه ثمانين رجلاً وذلك
في خلافة عبد الملك بن مروان * وكتب حسان إلى عبد الملك يخبره
بما لقي المسلمون فوافاه الجواب يأمرة بالمقام حيث أدركه كتاب أمير المؤمنين
فأدركه وهو في عمل برقة فاقام هنالك خمسة أعوام بموضع يقال له قصور
حسان وبه سمي إلى الآن * ومثلت الكاهنة إفريقية خمس سنين منذ
انصرف حسان عنها وقالت للبربر أن العرب يطلبون من إفريقية المدائن
والذهب والفضة ونحن إنما نطلب منها المزارع ولا نرى لكم إلا خراب
إفريقية حتى يياسوا منها وأرسلت قومها إلى كل ناحية لقطع الشجر والزيتون

فخربت البلاد بأسرها وهدمت الحصون وكانت كلها قرى متصلة * وفي
تواريخ النصارى انه كان لملك افريقية وهو صاحب قرطاجنة مائة الف
جفن بين حصن ومدينة يحكم عليها وانه لما غزا الى رومة المدائن اخذ
من كل بلدة رجلا ودينارا وسار اليها على ناحية المغرب على بحر الزقاق من
ناحية لاندلسية وفرنجة واناخ على رومة وحاصرها حصارا شديدا وبعث
صاحب رومة عسكريا في البحر الى قرطاجنة واناخ عليها ووقع القتال بينهم
على وادي مجردة وكان بينهم قتال شديد وكان الحيلة من اهل قرطاجنة ثمانين
الفا غير الرجال فعند ذلك رحل صاحب قرطاجنة عن رومة ورجع الى
بلاده ومن ذلك الوقت بقيت الافارقة في لاندلسية وملكوها مئين من
السنين والله اعلم * وقال الملشوني لم يدخل افريقية نبي قط واول
من دخلها بالايمان حواري عيسى عليه السلام * قلت الحواري الذي
دخلها اسمه متى العشار وقتل بقرطاجنة وهو اول من كتب الانجيل بلسان
العبراني بعد رفع المسيح بتسع سنين * وقال غيره بل دخلها نبي الله
خالد بن سنان العبسي وكان في زمن الفترة ولكن لم يدخلها بدعوة وهو
مدفون في المغرب في بلد بسكرة وانكر بعض الفقهاء ذلك وصحبه آخرون
والشيخ التواتي ممن اثبت انه هو * ورايت بخط والدي رحمة الله عليه
قال حضرت الشيخ المذكور وهو متوجه لزيارة نبي الله خالد بن سنان
العبسي وله كتاب صنفه الشيخ وثبت عنده صحته وهو في تلك البلاد
يسمونه خالد النبي ويزورونه ويتبركون بمقامه صلى الله عليه وسلم *
ومن مدن افريقية - برقة - وطرابلس - وغدامس - وفزان - واوجلة -
وودان - وكوار - وقفصة - وقسطيلية - وقابس - وجربة - وتيهرت -
وباجة - والاريس - وشقبنارية - وصبرة - وسيطة - وباغايتة - وليس -
واذنة - ودرعة - وجمانة - وسوسة - وبنزرت - وزغوان - وجلولا -
وقرطاجنة - وتونس - وكل هذه وقع عليها الفتح * وانما كانت دار الملك
اولا في قديم الزمان بقرطاجنة لما كانت بيد الافارقة لاغريقين الى ان

دخلت عليهم البربر من بلاد المشرق بعد ما قتل ملكهم جالوث وتفرقوا في
البلاد فانحاز اكثرهم الى افريقية والمغرب واستوطنوا البلاد سهلها ووعرها الى
ن ظهر فيهم دين النصرانية فتغلبت الروم على سواحل البلاد وصارت الى
سن لهم ذمة * وكانت قرطاجنة اعظم مدن المغرب وهي قديمة البناء قال
بعضهم انها بنيت في زمن داود عليه السلام وان بين بناتها وبناء رومة
اثنتين وسبعين سنة ولم يذكر ما السابق منهما * قلت هذا بعيد
جدا إلا ان يكون بناءها الثاني او الثالث لقول احد المفسرين ان الذي
كان ياخذ كل سفينة غصبا هو صاحب قرطاجنة * وموسى كان قبل داود
عليهما السلام بزمان طويل * وذكر ان بجمع البحرين برادس والجدار
بالمحمدية وهي طنبذة واهل تلمسان ايضا يسمون بلدهم بالجدار الى الان
والله اعلم * ويشهد لقدمها ما روت الثقة عن عبد الرحمن بن زياد بن
انعم قال كنت وانا غلام مع عمي بقرطاجنة نتمشى في اثارها ونعتبر بعجائبها
فاذا بقبر مكتوب عليه بالحمرية - انا عبد الله بن الاوسي رسول رسول الله
صالح * وفي رواية بعضهم - شعيب بعثني الى اهل هذه القرية ادعهم الى
الله تعالى اتيتهم صحن فقتلوني ظلما حسيهم الله * وذكر بعض المورخين
ان موسى بن نصير لما فتح الاندلسية ذكر له بها شيخ كبير فدعا به
فاذا الشيخ وقعت حاجباه على عينيه فقال له اخبرني كم اتى عليك من
السنين قال خمسمائة عام فساله عن اشياء فاجابه الى ان قال له اين
بلدك قال قرطاجنة قال له كم عمرت بها قال ثلثمائة عام وبهذه البلاد
ماتت عام فساله عن خبر بناء قرطاجنة فقال بقيت من قوم عاد الذين
اهلكهم الله بالريح العقيم فعمروها ما شاء الله ثم خربت وبقيت الف سنة
خرابا حتى اتى النمرود بن لاوذ بن النمرود الجبار فبناها على البناء الاول
ثم احتاج الى الماء العذب فبعث الى ابيه وكان ابوه بالشام والعراق وعمره
على السند والهند فارسل اليه ابوه المهندسين والفعلت فهندسوا له الماء حتى
اوصلوه الى المدينة ومكثوا يرتادون الماء اربعين سنة * ولما حفرها

اساسه وجدوا حجرا مكتوبا عليه بالخط الاول سبب خراب هذه المدينة
اذا ظهر فيها الملح فينما نحن ذات يوم عند غدير بدار الصناعة بقرطاجنة
اذ نحن بالملح منعقد على الحجر فعند ذلك رحلت الى هنا وكن كان على مثل
راي في ذلك ، وسالته عن عمر الملك فقال عمر سبعمائة عام والله اعلم *
وهذه الحناية من اعجوبة الدنيا واذا افتخر المصريون بالاهرام تفخر
اهل افريقية بهذه الحناية على مصر لان اصل الماء منبعث من عين جنثار
واليوم اسمها الحميدية وهي وراء زغوان بمسافة بعيدة وجلبوا ماء زغوان معها
وكلما وجدوا في طريقهم ماء جلبوه من اليمين والشمال عدة فراسخ وكانت
من اولها الى اخرها مخوفة بالبساتين والامياه جارية بينها * وفي توارينج
النصارى ان طول مسافة الحناية من منبعثها الى المدينة ستون ميلا على
الاستقامة وتعريجها وعطفاها ثلثمائة ميل ونيف وثلثون ميلا وانها كملت
في ثلثمائة سنة واربع سنين * قلت لا يستغرب طول هذه المدة
لان هذا البناء من اغرب الابنية واذا كان طولها ثلثمائة ميل ونيف وثلثين
ميلا فلا يبعد ان يكون البناء في كل سنة ميلا مع هذا الاتقان الذي
بها وطول اعمار القوم وكن شاهدتها حكم بعقله بصحة ذلك * وعند
النصارى كان بقرطاجنة ثلثة اسوار دائرة بها والبحر يضرب في سورها وهي من
اعجب بلاد الله وكان تكسيها اربعة عشر الف ذراع وهي من اعظم بلاد
افريقية * وقال البكري لو دخلها الداخل ايام عمرة لراى كل يوم
اعجوبة وبها قصر يعرف بالمعلقة مفرط في العلو فيه طبقات كثيرة مطل على
البحر * قلت لم يبق مما ذكر إلا هذا الاسم وبقيت خرائب بها يسمونها
المعلقة الى الان * قال وبها قصر يسمى الطياطر فيه دار الملعب وقصر
يقال له ترمس فيه سوارى من رخام مفرطة في الطول يتربع على رأس
السارية عشرة رجال وبينهم سفرة وسبعة مواجيل تعرف بمواجيل الشياطين
فيها ماء لا يدري من اين دخلها * قلت المواجيل موجودة ليومنا
هذا * قال ودخل المدينة مينا تدخلها السفن بشرعها وهي اليوم

ملاحة عليها قصر ورباط يعرف ببرج ابي سليمان * قلت الملاحة التي ذكرها وبرج ابي سليمان هي الآن البلد التي عمرها الاندلس وبرج ابي سليمان بها معروف وملاحة اخرى قريبة من اوهام المرسى والله اعلم ايها كانت * قال وبها قصران من رخام يعرفان بالاخين فيهما ماء مجلوب من قبل الجوف لا يعرف من اين منبعه * قلت هو والله اعلم الماء الذي عليه ابار سكرة مجلوب من الجوف من تحت الجبل الذي خلف جعفر وفيه ايضا ماء مجلوب من تحت الملاحة التي بها لانهم وجدوا ارض سكرة كثيرة المياه والغالب عليها الرمل فحسروا الماء بتحكيم البناء العظيم وجعلوه متصلا ببعضه ببعض واداروا بالبناء كالحلقة لجمع الماء فيها وانحصاره ولها منفذ الى نحو قرطاجنة * واخبرني بعض من اطلع عليها انه رأى المنفذ الجاري ورأى بعض بنيانها من ناحية الجوف والذي من ناحية قمرت من تحت الملاحة * ويقول من لا خبرة له ان هذا الماء بقصد بساتين سكرة وهذا شيء لا يفي بعضه ثمن سكرة اضعاف مرات وانما هذا من عمل الملوك لامر مهم * وكذلك الحناينة لما احبب بعضها المولى المنتصر الحفصي وجلب الماء عليها الى بساتينه بابي فهر ويعبر عنه اليوم بالبطوم عجز عن بنائها بالحجر وجعل اقواسها طابيتة وهي اقواس يسيرة وجلب الماء الى البركة التي هنالك وهي باقية الى الآن هذا مع ضخامة ملكه وعلو سلطته وارتفاع صيته لم يستطع اصلاح بعض ما فسد منها ولا قدر على ردها كما كانت اول مرة * وبقية الحناينة واثارها باقية الى يومنا وهي تدل على امر عجيب * واما اثار المدينة فلم يبق منها الا بقية خراب يعبر عنها بالمعلقة فيها اماكن كان يستقر بها الماء * واثار المدينة يراها من يركب البحر وبقية البنيان ظاهرة من تحت الماء وهي ممتدة في البحر بين القبلية والشرق * ولا شك ان البحر الذي في حلق الوادي اليوم لم يكن قبل هذا الوقت وانما حدث بعد ما خربت قرطاجنة * واذا كانت المعلقة قصرا من قصورها وبرج ابي سليمان متصل

وبها وحسوب منها بل كما قالوا انه من البناء الذي في وسطها تكون مسافتهم
ازيد من اثني عشر ميلا والله اعلم * وسمعت سن يذكر ان باب جهنم من
بعض ابوابها وهي متصلة الى الجبل الذي بازاء بلد سليمان المسماة به
في زمننا هذا * وفي سليمان المذكورة قصر ابي سليمان السابق ذكره
وبه داموس لم يعلم احد منتهى طرفه * فسبحان المتصرف في البلاد
والعباد * وسبحان سن ايد دين الاسلام وعصابتها بالنصر على اهل العناد *
وتمزيقهم في كل واد * وفتح الله تعالى هذه المملكة العظيمة على يد حسان
ابن النعمان * في خلافة عبد الملك بن مروان * في سنة تسع وسبعين من
الهجرة ودخل الى افريقية في جيش لم يدخل بمثله احد قبله ومقداره اربعون
الفا * ولما نزل على قرطاجنة وبها خلق عظيم التقى الفريقان والتحم
الحرب وقتل حسان شجعانهم وابطالهم فاجتمع رايهم على الهرب وكانت لهم
مراكب معدة فارتحل الملك ومن قدر معه ليلا * فمنهم من هرب
الى لاندلس ومنهم سن هرب الى جزيرة صقلية * ولما علم اهل بواديتها
بهروب الملك تحصنوا بها فقاتلهم حسان وحاصرهم الى ان دخلها بالسيف
وارسل الى سن حولها وامرهم بهدمها وكسر القناة المجلوب عليها الماء وذلك
من قبل ان ينفذ البحر الى تونس وانما حدث من بعد والله عاقبة الامور *
وانما اطلت الكلام عليها لانها بديعة الاثار قريية من هذه الدار واثارها
تنبى من اخبارها والله يعلم وانتم لا تعلمون *

الباب الثالث

في فتح جيوش المسلمين افريقية وذكر كل امير دخل اليها في زمن الصحابة
وفي زمن التابعين وفي زمن الخلفاء وسن بعدهم الى ان
ينتهي بنا الغرض ان شاء الله تعالى

امسلم ان الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم فتح في ايامهم جل
بلاد المشرق ولما فتح عمرو بن العاص مدينة مصر والامكندرية بعث عقبة

ابن نافع إلى برقة وزويلة وما جاورهما من البلاد فصارت تحت ذمة
الإسلام وسار عمرو بن العاص فغزا مدينة طرابلس وفتحها وافتتح جبال نفوسة
وكانوا على دين النصرانية كل هذا في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى
عنه في سنة ثلث وعشرين * وفي إقامة عمرو بن العاص على طرابلس
بعث بشر بن أرطاة ففتح ودان وجبال نفوسة ولم يتجاوز عمرو بن العاص
إلى إقليم إفريقية ورجع إلى مصر قافلاً رضي الله تعالى عنه *

الخبر عن قدوم عبد الله بن أبي سرح

وفي خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه أقر كل
عامل كان لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب وكان لا يعزل أحداً إلا عن شكاية
فاقر عمرو بن العاص على مصر وكان عبد الله بن سعد بن أبي سرح من
جند مصر * فأمرة عثمان على الجند وسرحه إلى إفريقية وكان أخا عثمان
من الرضاعة وسرح معه عبد الله بن نافع بن عبد القيس وعبد الله بن نافع
ابن الحصين فساروا حتى وصلوا إفريقية وأوغلوا فيها ونازل قابس في طريقه
ورحل عنها وبث سراياه في إفريقية وكان معهم من الجند عشرون ألفاً
إلى أن وصلوا سيظلة * وكان الملك إذ ذاك جرجير وهو أعظم ملك
بإفريقية * وقيل أنه كان عاملاً لهرقل وطلع طاعة هرقل واستقل
بالملك وضرب الدينار باسمه أي باسم جرجير وكان سلطانه من برقة إلى
طنجة ودار ملكه سيظلة وكانت بين عبد الله بن أبي سرح وبين جرجير
مراسلات فابى جرجير عنها وتاهب للحرب وجعل ابنته على ديدبان عال
واقسم بدينه لا يقتل أحد أمير العرب إلا زوجها ابنته * وبلغ الخبر إلى
عبد الله بن أبي سرح فاقسم بالذي جاء به محمد لا يقتل أحد جرجير إلا
نقله ابنته * والتحم القتال وكان عسكر جرجير مائة ألف وعشرين ألفاً *
فناصر الله المسلمين وقتل جرجير قتله عبد الله بن الزبير وأخذ ابنته
جرجير * وقتل المسلمون المشركين وهزموهم إلى أن دخلوا مدينتهم *
فنزل عليها المسلمون وحاصروهم بها وفتحها الله عليهم وذلك في سنة سبع

وعشرين واصابوا فيها ما لا يحصى من ذهب وفضة وبعث بالفتح الى امير المؤمنين عثمان بن عفان وكان رسوله ابن الزبير فيقال انه بلغ المدينة في خمسة وعشرين يوما وبث عبد الله بن ابي سرح سراياه فبلغت خيله قصور قفصة فذلت الروم بافريقية والتجوا اكثرهم الى الحصون وداخلهم الرعب وبعثوا الى عبد الله يطلبون الصلح وبذلوا له ثلثمائة قنطار من الذهب وان يرجع من حيث جاء * فاجابهم عبد الله الى ذلك وصالحهم وقبض المال ثم انصرف عن افريقية بعد اقامة سنة وشهرين وكر راجعا الى مصر بعد ما اذعن له بلاد افريقية كلها وقسم الغنائم على الجند * وقسـيل انه بعث عبد الله بن نافع بن الحصين وعبد الله بن نافع بن عبد القيس من فورهما ذلك الى الافرنجة والاندلسية فاتياها من قبل البحر وغنموا ما شاء الله * وقسـيل لما رجع عبد الله الى مصر استعمل على عمله عبد الله ابن نافع بن عبد القيس وهذا قول سنن قال ان الاندلس كان فتحها في زمن عثمان واكثر الناس من المورخين يقولون في زمن الوليد بن عبد الملك وهو الصحيح او لعل الفتح مرتان قاله غير واحد والله اعلم *

الخبر عن قدوم معاوية بن حديج الى افريقية

وفيه خلاف بين المورخين

قسـيل انه غزا افريقية في سنة اربع وثلثين قبل مقتل عثمان رضي الله تعالى عنه وله ثلث غزوات الاولى سنة اربع وثلثين والثانية سنة اربعين والثالثة في خلافة معاوية ولم يذكر احد من المورخين ما كان في خلافة امير المؤمنين علي بن ابي طالب ولا ولده الحسن الا ان معاوية بن حديج كان سنة خمسين وكان معاوية بن ابي سفيان اذ ذاك خليفة وسنة اربعين كان الحسن بن علي رضي الله تعالى عنه والله اعلم * وفي سنة خمس واربعين في زمن معاوية بن ابي سفيان ارسل معاوية بن حديج الى افريقية في عشرة آلاف مقاتل وكان معه عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير بن العوام وعبد الملك بن مروان ويحيى بن

أبي الحكم بن العاص وعدة أشراف من قریش ففتح مدينة سوسة وكان أرسل إليها عبد الله بن الزبير وقاتل النصارى الذين بها وظهرت منه شجاعة قوية على باب سوسة بحيث أنه صلى صلاة العصر والعدو قريب منه ولم يكثر به ورجع إلى معاوية بن حديج وأرسل ابن حديج عبد الملك ابن مروان إلى جلولا فحاصرها أياما وقتل من أهلها عددا كثيرا وفتحت عنوة وسبوا الذرية وأصابوا مغنما كثيرا وقسم معاوية الفئ بين المسلمين والله أعلم هل كانت في سنة أربع وثلاثين أو خمس وأربعين وبين جلولا والقيروان أربعة وعشرون ميلا وبقرج جلولا متنزعة لبني عبید يعرف بسرذانية ليس بافريقية أجل منه وكانت كثيرة الثمار وأكثر رباحينها الياسمين والورد وبها قصب السكر * قال ابن ناجي كان يدخل إلى القيروان أربعون حملا ورذا جلوليا في اليوم وبوردها يضرب المثل * وأرسل معاوية بن حديج جيشا في البحر في مائتي مركب إلى صقلية ففتحوها وسبوا وغنموا وأقاموا شهرا وأنصرفوا بغنائم كثيرة * وبعث معاوية بالخمس إلى معاوية بن أبي سفيان * وفي سنة إحدى وأربعين فتح بنزرت وكان معه عبد الملك بن مروان فشذ عن الجيش فمر بامارة من العجم فقرته وأكرمه فشكر لها ذلك ولما ولي الخلافة كتب إلى عامله بافريقية أن يحسن لها ولاهل بيثها * وبنزرت قديمة البناء وهي أجل بلاد على ساحل البحر * قلت وسمعت سن يقول معنى قوله تعالى - وثمود الذين جابوا الصخر بالوادي - هي بنزرت * وسمعت سن يقول في قوله عز وجل - وستلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر - هي بنزرت * وسمعت سن يقول كان الحاكم بها يهوديا في الزمن السابق ولما ضعف أمرهم وصاروا تحت الذمة عاملهم المسلمون الذين تملكوهم بأن جعلوا سوقهم يوم السبت نكاية لهم من ما سبق من أذاهم حتى لا يتصرفوا معهم في معاشهم يوم السبت والله أعلم بحقيقة ذلك * وبعث معاوية بن حديج روفيع بن ثابت الأنصاري إلى جربة ففتحها وهي جزيرة في البحر تقرب من قابس وبيثها وبين

البر بجاز وفيها بساتين كثيرة وزيتون كثير * وقيل ان رويح بن ثابت كان عاملا لمعاوية بن حديج على طرابلس سنة ست واربعين فغزا افريقية من طرابلس سنة سبع واربعين وفتح جربة والله اعلم * ورجع معاوية بن حديج الى مصر فلما وصل مصر عزله معاوية بن ابي سفيان عن افريقية واقرة على مصر ووجه معاوية عقبة بن نافع الفهري الى افريقية في عشرة آلاف من المسلمين وقاتل سن بها من النصارى والبربر حتى افناهم واتخذ قيروانا للعسكر وهي القيروان التي في زماننا هذا * وسبب بنائها المذكور في غير هذا المكان مبسوط بزيادة بيان واختط بها الجامع الاعظم وصلى فيه * وكان عقبة رضي الله تعالى عنه مستجاب الدعوة * وقيل ان غزوته هذه كانت سنة اثنتين واربعين والله اعلم * وفي سنة احدى وخمسين عزل معاوية بن ابي سفيان عقبة عن افريقية وولى مسلمة بن مخلد على مصر وافريقية *

الخبر عن ولاية مسلمة بن مخلد الانصاري

فلما وصل الى مصر بعث مولى له اسمه دينار ويكنى بابي المهاجر الى افريقية فلما وصل اليها كره ان ينزل في بلد اختطه عقبة فبعد عن القيروان وبني مدينته واخلى القيروان وامر الناس بعمارة تلك واسمها تيكروان فلما سمع عقبة بذلك حنق عليه ودعا الله تعالى ان يمكنه من ابي المهاجر فاستجاب الله دعاءه وسياتي بعد * وفي ولاية ابي المهاجر فتحت جزيرة شريك * قسـلت جزيرة شريك هي الجزيرة المعلومـة في زماننا هذا التي بها حمام لانف وبنائها لاندلس مثل سليمان وتركـي وغيرهما واليها ينسب باب الجزيرة في يومنا والله اعلم * وجزيرة شريك كانت عامرة في ذلك الوقت وبها مدن وقصور كثيرة وخيرات ومزارع حسنة وهي بين مدينتي سوسة ومدينة تونس * وسميت جزيرة شريك نسبة الى شريك العبسي الذي كان واليا عليها وبعث اليها ابو المهاجر حنش بن عبد الله الصنعاني فافتكها وغنم منها وقتل اهلها وسبى سبيا عظيما * ورجع عقبة الى

المشرق فشكى الى معاوية ما فعله ابو المهاجر به فوعده بالرجوع الى عمله * وتوفي معاوية رضي الله تعالى عنه واستخلف ولده يزيد بعده فولي عقبة بن نافع افريقية في سنة اثنتين وستين من قبل يزيد بن معاوية فسار عقبة حنقا على ابي المهاجر * فلما بلغ افريقية اوثقه بالحديد وامر بتخريب مدينته التي بناها واعاد الناس الى القيروان وعمرها واجمع عقبة على الغزو في سبيل الله * واستخلف زهير بن قيس البلوي على القيروان ومضى في عسكر عظيم حتى نزل مدينة باغاية وهي قريبة من جبل اوراس والجبل مطل عليها وكان قد لجأ اليها جمع من البربر والنصارى فقاتلهم عقبة قتالا شديدا وهزم الروم والبربر وغنم منهم خيالا لم يزلوا احسن منها * ولجأ جليلهم الى الحصن وارتحل عنهم الى مدينة ليس وهي اذ ذاك من اعظم مدائن الروم فقاتلهم اشد قتال وهزمهم الى باب الحصن * وليس قرية من بلد قسطنطينية وبينهما مرحلتان واكثر اشجارها التين والعنب والخوخ والجوز * فاستحمت في ايام عقبة غدامس ايضا ولكن في ولايتها الاولى سنة اثنتين واربعين فقتل وسبي وبلغ في غزوته الى بلد السودان وعامة بلاد البربر وفتح قران وفتح وذان وقفصة وقسطنطينية فتكا ثانيا لانها فتحت قبله وارتدوا فاعادهم بغزوته هذه حتى اذعنوا له * وكذلك نبطية وتقيوس وقابس والحامة * ولما غزا قران خرج اليه ملكهم فصالحه على ثلثمائة عبد وستين عبدا * وغزا قصور كوار وفرض على اهلها ثلثمائة عبد وستين عبدا وهنالك ادركه هو واصحابه العطش فضلى ركعتين وسال الله سبحانه وتعالى الماء فجعل فرسه يبحث برجليه حتى طلع الماء وهو الذي يقال له عين الفرس الى زماننا هذا * وصايق على اهل كوار ورحل عنهم واخذهم بغتة بعد ما رحل عنهم واظمانوا فاباح ما في مدينتهم وسبي نساءهم وذرايرهم ثم انصرف الى زويلة ثم رجع الى معسكرة فاقام فيه عدة اشهر وسار بعد ذلك الى قفصة وقسطنطينية * وذكروا ان بانى سور قفصة غلام النمرود * ثم توجه الى المغرب ففتح مدينة سبتة ومدينة طنجة * وسبستة

مدينة على بحر الزقاق من ناحية المغرب وكان صاحبها اليان وهو الذي اعان طارق بن زياد على دخول بلاد الاندلس * وهي مدينة قديمة من بناء الاول وهي في زماننا في يد اعداء الدين اعادها الله للاسلام * فصالحه صاحبها واقرة على بلاده وسار الى طنجة ففتحها وقتل رجالها وسبى سن فيها وهي طنجة البيضاء وكانت دار ملك لملوك المغرب * وقيل انه كان ملك من ملوكها في عسكرة ثلاثون فيلا وهي اخر حدود افريقية في المغرب وبينها وبين القيروان الف ميل وهي اليوم في يد الكفرة اعادها الله تعالى للاسلام وما ذاك الا من اصل الفتن التي كانت بين ملوك المغرب الاشراف الذين كانوا بمدينة مراكش حرسها الله وملكوا العرايش والمعمورة والبريجة ووهران ومدة اماكن بالمغرب اعادها الله تعالى للاسلام وذلك بعد االف من الهجرة * ووصل عقبة الى السوس الادنى والسوس الاقصى ومن طنجة الى تاجرا مدينة السوس الادنى عشرون يوما وليس في بلادهم شجر ولا نخل ولا زيتون وعندهم القمح والشعير والاعناب ولباسهم الصوف * ومن تاجرا الى طرفلة مدينة السوس الاقصى مسيرة شهرين * وليس وراء طرفلة انيس في المغرب الى متهى بحر الرمل * ومن طرفلة الى غانة ثلثة اشهر والله اعلم * قال وقاتل عقبة اهل السوس وسبى منهم سبا كثيرا وفتح مدينة على وسبى منها سبا لم ير مثله حسنا * وكانت الحارثية منه تباع بالف واكثر من ذلك اي الدنانير * وفتح درعة وهي مدينة عظيمة لها وادي يجري بالماء وعليه اسواق بعدد ايام الجمعة كل يوم سوق وربما كان سوقان في اليوم الواحد في اماكن متفرقة وذلك لكثرة اهلها وطول صارتها * وفتح مدينة نفيس وكانت حصينة واليها التجا كثير من البربر والنصارى لحصانتها فحاصروهم عقبة وقاتلهم حتى فتحها واصاب غنائم كثيرة * ووصل الى درعة من بلاد السوس الاقصى ودخل الى بلاد لمتونة في الصحراء وفر الناس امامه لا يقوم بين يديه احد ولا يعارضه الى ان بلغ الى البحر المحيط - قال فادخل فيه قوائم فرسه وقال - وعليكم السلام -

فقال له اصحابه وعلى سن تسلم يا ولي الله فقال على قوم يونس ولولا البحر
لا ريتكم اياهم * ثم قال - اللهم انك تعلم اني انما اطلب السبب الذي طلبه
وليك ذو القرنين الا يعبد إلا الله - ثم كر راجعا وتخلي الناس عن طريقه
خوفا من جيوشه وقد دوخ البلاد وليس بافريقية من يخالفه * ووصل
الى مدينة طنبه وكان ملكهم كسيلت فتقدمت جيوش عقبة وبقي في نفر
يسير من اصحابه الى ان بلغ تهودة وبادس فغلقوا ابوابهم دونهم وشتموه من
اعلى اسوارهم ودعاهم الى الله فلم يجيبوا وبعثوا الى كسيلت وكان ممن اسلم
على يد ابي المهاجر لما فتح تلمسان * ثم صار في عسكر عقبة فاستخف به
عقبة وكان ذبح غنائم اصحابه فامر كسيلت بسلخ شاة فقال كسيلت ايتها
الامير هولاء غلمانني فابي عليه فقام مغضبا وجعل يسلخ الشاة ويمسح يده
على ذقنه والعرب تسخر منه فمر بهم رجل من العرب فقال ان البربري
يتوعدكم * وقال ابو المهاجر لعقبة ان الرجل قريب عهد بالاسلام
فلا تهنه فلم يلتفت اليه عقبة * ولما ارسل له الروم امكنته الفرصة
فقال ابو المهاجر لعقبة عاجله قبل ان يجتمع اليه امره فزحف اليه عقبة
ففر امامه ووافاه بمقبرة من تهودة فنزل عقبة وصلى ركعتين واطلق ابا
المهاجر وقال له عقبة الحق بالمسلمين فقم بامرهم وانا اغنم الشهادة فقبال
ابو المهاجر وانا اغنمها ايضا فكسرا اعماد سيوفهما وتن معهما من المسلمين
والتحم القتال بينهم فتكاثر العدو فقتل عقبة وابو المهاجر وتن كان معهما
ولم يفلت إلا القليل * واجتمع الى كسيلت جميع اهل المغرب من الروم
والبربر واشتعلت افريقية نارا وزحف كسيلت الى القيروان فلما سمع زهير
جرى الناس على لقائه فامتنعوا منه واقبل كسيلت الى القيروان بعساكر
البربر فخرج اهل القيروان هارين منه ولم يبق بالقيروان إلا الذراري
والضعفاء فبعثوا الى كسيلت وطلبوا منه الامان فامنهم ودخل كسيلت القيروان
وفر زهير بمن معه الى برقة واقام بها الى ان مات يزيد بن معاوية بن
ابي سفيان وتولى ذلك معاوية الاصغر ومات واجتمع الناس بالشتام على

مروان بن الحكم وتوفي سنة خمس وستين وقام بالامر بعده ولده عبد الملك بن مروان * فلما اشتد سلطانهم سالوه ان ينظر في احوال افريقية وتخليصها من يد كسيلة فقال ما ارى لها الا زهيرا لدينه وورعه وهو اعرف الناس بسيرة عقبة فبعث له زهير وامده بالجيوش والاموال وارسله الى افريقية * فلما ترادفت عليه الجموع اقبل الى افريقية في جيش عظيم وذلك في سنة سبع وستين وقيل تسع وستين من الهجرة والله اعلم بحقيقة ذلك *

الخبر عن امارة زهير بن قيس البلوي

ولما قادم زهير الى افريقية وسمع به كسيلة رحل عن القيروان ونزل على ليس وقيل ممس * ولما بلغ زهير خبره لم يدخل الى القيروان واقام على بابها ثلاثا وارتحل رابع يوم حتى اشرف على كسيلة فنزل الناس وباتوا على مصافهم ولما اصبح صلى بالناس ثم زحف بهم والتحم الحرب فقتل من البربر خلق كثير وفر كسيلة وقفل الى ممس ومضى المسلمون في طلب البربر يقتلونهم كيف شاءوا ورجع زهير الى القيروان فخافه جميع سن بافريقية وتحصنوا بمعاقلمهم ولم تقم لهم شوكة بعد ذلك وفتح تونس على احد اقوال بعض المؤرخين كما سبق * وقيل ان حسان بن النعمان افستحها وقد مر في اول الكتاب * وقيل ان زهير كانت ولايته من قبل عبد العزيز بن مروان وعبد العزيز على مصر من قبل عبد الملك اخيه ثم ان زهير راى بافريقية ملكا عظيما فكره لاقامته بها لرفاهيته عيشها وقال انما جئت للجهاد واخاف ان تميل بي الدنيا وكان من الزاهدين العابدين فكثر قافلا الى المشرق فلما انتهى الى برقة امر العسكر بالمسير على الطريق واخذ هو في مصابة قليلة على طريق البحر فوجد اقواما من النصارى اخذوا جملة من المسلمين اسارى فاستغاث به المسلمون فوقع فيهم بمن معه فاستشهد رجته الله عليه ومن معه * ولما انتهى الخبر الى عبد الملك بن مروان عظم عليه ذلك وكانت مصيبتهم به

مثل مصيبة عتبة رجهما الله . واستغاث المسلمون لعبد الملك وسالوه ان ينظر في امر افريقية فاتفق رايه على حسان بن النعمان الغساني وكان بمصر في عسكر عظيم عدة لما يحدث . وفتحت في ايام زهير بن قيس باجة وشقبنارية وهي اليوم تسمى الكاف والاربع وهي قرية قريبة منها ومدينة تونس وقرطاجنة على اختلاف في هذين البلدين والله اعلم .

الخبر عن ولاية حسان بن النعمان الغساني

فكتب اليه عبد الملك يامره بالتوجه الى افريقية واطلق يده على اموال مصر يعطي منها ما شاء لمن يرد عليه من الناس فوصل افريقية في اربعين الفا ولم يدخل افريقية اعظم منه قبله وذلك في سنة سبع وسبعين وقيل في سنة ست وسبعين وقيل تسع وسبعين . فلما بلغ القيروان سال عن اعظم ملك بافريقية فقيل له صاحب قرطاجنة . وكانت مدينة عظيمة تضرب امواج البحر سورها وبينها وبين تونس اثني عشر ميلا وبين تونس والقيروان مائة ميل وقد سبق التعريف بها ولكن جئت بها هنا لاتمام الفائدة . واعجب ما بقرطاجنة دار الملعب ويسمون الطياطر وقد بنيت اقواسا على سوارى وعليها مثلها . وصور في حيطانها جميع الحيوان واصحاب الصنائع . وفيه صور الرياح فصورة الصبا وجه مستبشر وصورة الدبور وجه عبوس . ورخام قرطاجنة لو اجتمع اهل افريقية على نقله لم يمكنهم ذلك لكثرتهم . قلت لم يبق بها في زماننا من الرخام شيء . وضبط ابن الشباط قرطاجنة بفتح القاف وسكون الراء المهملة وبعدها طاء مهملة وفتح الجيم وتشديد النون وتاء موحدة وقيل بكسر الجيم . وقال سمعت سن يقول قرطاجنة بفتح الجيم وكانت دار الملك بافريقية . فبسعث اليها الخيل وضايق بها وقطع القناة التي جلب عليها الماء وكان البحر لم يخرق الى تونس وانما خرق بعد ذلك . وهدم المدينة وشئت اهلها واستقام امره . ثم ان حسانا بلغه ان النصارى تجمعوا له وساعدتهم البرابرة . فسار اليهم وهزمهم الى برقة ورجع الى القيروان فاستراح بها

وسال هل بقي احد اذا قتل خافت البربر والنصارى ف قيل له امرأة يقال
لها الكاهنة وهي بجبل اوراس تخافها النصارى والبربر فتوجه الـ لقائهما
وعلمت الكاهنة بامره فقدمت اليه في عسكر عظيم من البربر والروم * فالتقى
الجمعان واقتلوا قتالا شديدا ففر حسان منهزما وقتل من العرب خلق كثير
واسرت من اصحاب حسان ثمانين رجلا واتبعت حسانا حتى خرج من
عمل قابس ونزل في برقة بمكان يعرف به الى اليوم يقال له قصور حسان
وقد سبق في اول الكتاب بما فيه كفاية ومكث هنالك خمسة اعوام الى
ان جاءه كتاب عبد الملك بن مروان وامده عبد الملك بالمال والرجال وكر
راجعا الى افريقية * فلما سمعت به الكاهنة بعثت الى عمال افريقية
كلها وقطعت اشجارها وخربت مساكنها علما بان العرب لا يطلبون الا المدن
واذا اخلت المدن لم يكن لهم ارب في افريقية واسم الكاهنة دامية بنت
ينفاق وهي من عظماء البربر الذين ملكوا افريقية وكما سبق في اول الكتاب
انها كانت طلا واحدا من طرابلس الى طنجة * وكانت الكاهنة اطلقت
سن اسرته من العرب الا واحدا اسمه خالد فاخذت بينه وبين ولديها
وقالت لهم اني مقتولة وكانها تنظر الى راسها يركض به الى ناحية المشرق
ثم امرت ابنيها وخالدا ان يمشوا الى حسان ويستامنوه فتوجهوا الى حسان
واعلوه بالخبر * ثم تقدم حسان حتى التقى بها واقتلوا قتالا عظيما حتى
ظن الناس انه القنا * فانهزمت الكاهنة وتبعها حسان وقتلها بمكان يعرف
ببئر الكاهنة وقيل في طبرقة وبعث براسها الى عبد الملك * وعقد لولدي
الكاهنة على اثني عشر الفا من البربر الذين اسلموا وبعثهم الى المغرب
يجاهدون في سبيل الله ولم يبق له بافريقية منازع فرجع الى القيروان
وقد دانت له البلاد وذلك في سنة اربع وثمانين وكتب الخراج على
النصارى وعلى سن تمسك بدين النصارى من البربر وتقدم ان زهيرا افتتح
تونس نقله ابن الشباط عن البلاذري وعن البكري ان حسانا افتتحها *
قـال ابن الشباط واعل الفتوح كان مرتين والله اعلم * وسبق في اول

الكتاب ان حسانا هو الذي خرق البحر الى تونس وانه بعث الى عبد الملك بن مروان يخبره بحال تونس حتى بعث له القبط كما مرء انفا ومهد قواعد افريقية الى ان عزل بموسى بن نصير والله اعلم *
الخبر عن اماره موسى بن نصير القرشي

من قبل الوليد بن عبد الملك بن مروان بعد ما عزل عنها حسانا وقيل انه استعفى منها وان الوليد اراده الى افريقية فامتنع منها وحلف عنها فكتب الوليد الى عمه عبد العزيز ان يبعث موسى بن نصير الى افريقية وقطع افريقية عن عمه عبد العزيز وارسل اليها موسى بن نصير فقدم لافريقية سنة ثمان وثمانين فوجد البلاد خالية لاختلاف ايدي البربر عليها ولمسا سمعوا به فروا امامه الى المغرب فتبعهم يقتل ويسبي ولا يدافع احد حتى بلغ السوس الادنى فاستامن البربر فامتهم وولى عليهم واليا واستعمل على بلاد طنجة طارق بن زياد مولاه وترك معه سبعة عشر الف فارس من العرب والبربر ثم رجع الى افريقية ففتح بجانة * وقيل كان فتحها على يد بسر بن ارطاة استعمله موسى بن نصير وبعث بخمسها الى الوليد وفتح زغوان وكان بها عدة قرى وبها من البربر عالم عظيم فغزاها موسى بن نصير وقل جمعهم وسبي منهم سبيا عظيما فبلغ سبيهم عشرة آلاف وهو اول سبي دخل القيروان في ولاية موسى بن نصير وغزا هواره وزناتة وصنهاجة * وقيل ان موسى كانت اول ولايته من قبل عبد الملك بن مروان سنة ثمان وسبعين ولم يزل الى ايام الوليد بن عبد الملك فتوالت عليه فتوحات موسى ابن نصير فعظمت منزلته عند الوليد * وقيل ان موسى هو الذي خرق البحر الى تونس وبنى دار الصناعة وصنع بها مائة مركب وغزا صقلية * وبعث ولده مروان الى السوس الاقصى في خمسة آلاف فارس فغنم منه ما لا يبلغ الحصر * قيل ان السبي بلغ اربعين الفا * وبلغ موسى الى ما لا يبلغه غيره الى البحر المحيط ورأى عجائب يقصر عنها الوصف وهي مدونة في غير هذا الموضع يطول شرحها لمن تتبعها ورأى ما لم يره غيره * وبعث الى

الاندلس طريفا مولاد ولقبه ابو زرعة في سنة احدى وتسعين وبلغ الى جزيرة
طريف وبه سميت الى الان * وفي سنة اثنتين وتسعين بعث مولاد طارفا
الى الاندلس وكان عامله على طنجة واعانه على الدخول اليها اليان صاحب
طنجة وقيل صاحب سبتة وقيل اليان وصل الى القيروان مستنجدا بموسى
ابن نصير لامر حدث عنده من قبل رديق ملك الاندلس ودهون على موسى
فتح بلاد الاندلس وان موسى كتب الى طارق يامره بالمسير الى الاندلس *
وكانت دار الملك بها مدينة طليطلة وركب طارق في البحر ونزل في
جبل الطار هكذا اسمه في زماننا هذا وانما اسمه جبل طارق لانه سمي
به واعانه اليان صاحب الجزيرة الخضراء من عمل طنجة وشرحه يطول
ذكر ذلك صاحب كتاب المغرب وفي الاكتفاء لابن الكردبوس والطبري
وصاحب المختصر وغير واحد من اهل السير والعمدة عليهم * ولما حل طارق
بجبل طارق وسمع به رديق ملك الاندلس حشد جيشه وجمع جموعه
واقى الى طارق فالتقى معه وكانت ايام القتال بينهم ثمانية ايام فهزم
الله الكافرين ومنح النصر للمسلمين * وكان مع طارق اثني عشر الفا
وعسكر الروم شيء عظيم واصاب المسلمون من السبي ما لا حد له من
الذهب والفضة والجوهر حتى ان الرجل منهم اذا صلعت دابته وجد في
حافرها مسيارا من ذهب او فضة او حصبات من جوهر وهذا شيء لم يسمع
بمثله * وفتح اشبيلية وقرمونة وشذونة ومورور واستجة وقرطبة وطليطلة
وباجة وماردة وسرقسطة واكثر بلاد الاندلس * ولما سمع موسى بن
نصير بهذا الفتح احب ان يكون شريكا معه فاستخلف ابنه عبد الله على
افريقية وشخص بنفسه وذلك في سنة ثلث وتسعين وكان في عشرة آلاف
فارس * فسار على غير الطريق التي سلك عليها طارق وفتح في طريقه
غدة مدن اخر * وغزا موسى من طليطلة الى الجلالقة فطلبوا الامان من
موسى وسار على سرقسطة مسيرة عشرين يوما وبين سرقسطة وقرطبة مسيرة
شهر * وكانت اقامته بالاندلس عشرين شهرا وخرج عن الاندلس

وقدم الى الوليد كتابا يقول فيه - يا امير المؤمنين انه الحشر وليس بالفتح - واقبل بمائة عجلة وثلاثين عجلة مملوءة بالذهب والفضة واللؤلؤ واثاث لا يعلم قيمتها إلا الله ومن ابناء الملوك والاسرى ما يقرب من ثمانين الف اسير والمائدة التي كانت لسليمان بن داود عليه السلام واق افريقية سنة اربع وتسعين واستخلف ولد عبد الله على افريقية وعلى الاندلس ولد عبد العزيز * واقبل يجر الدنيا خلفه ووصل الى مصر سنة خمس وتسعين ورحل الى الشام فوجد الوليد في شكايته التي مات فيها * وبعث اليه سليمان اخوه يامره ان لا يدخل في ايام الوليد لانه كان ولي العهد فخالفه موسى ودخل دمشق والوليد في مرضه فلما ولي سليمان الخلافة حقد على موسى بن نصير وصادته بمائتي الف دينار * وحج سليمان ومعه موسى فمات في تلك السنة بعد ما طلب في مصادرتهم في احياء العرب وقاسى كرها حتى ان خادمهم هم بالهروب عنه لما قلق منه فلما رأى موسى ذلك دعا الله ان يقبضه فاصبح ميتا رجته الله تعالى عليه وكان مجاب الدعوة فسبحان المعز المذل بعد ما ملك ما لم يملكه غيره وحاز نصف المعمور من الدنيا لم يمت حتى احتاج الى السؤال في اقرب مدة ومات في مصادرتهم رجته الله عليه * وانما اطلت الكلام هنا لان غالب اهل بلدنا ليس لهم اعتناء بالاعخبار فاذا نظر احد في هذه الاوراق علم ان افريقية لها صيت في كل زمان * وان هذه البلاد كلها فتحت على يد عمال افريقية * وكانت دار الامارة بالقيروان * ومنها فتحت صقلية ايضا في آخر المائة الثالثة كما سيأتي ان شاء الله تعالى * وموسى بن نصير هذا من التابعين يروي عن تميم الداري رضي الله تعالى عنه * وكان عاقلا كريما شجاعا لم يهزم له جيش قط ذكره ابن خلكان واثني عليه بزيادة ثناء * ونقل عن الليث بن سعد انه قال بلغ الخمس ستين الف راس في غزوة افريقية على يد موسى بن نصير وانه وجه ولد عبد الله فاتاه بمائة الف راس من السبايا ووجه ولد مروان الى ناحية اخرى

فأثاء بمثلها * وقال الصديقي لم يسمع بشئ سبايا موسى بن نصير في
الاسلام واستصحب عند قدومه الى الوليد سبعة وعشرين تاجا مكللة بالدر
والياقوت تيجان ملوك الاندلس اليونانيين ومن الرقيق ثلاثون الف راس
وقيل ان الوليد بن عبد الملك هو الذي تقم عليه واقامه في الشمس
يوما كاملا حتى خر مغشيا عليه * والاصح انه صادرة سليمان بن عبد الملك
وحج معه في سنة تسع وتسعين وقيل سبع وتسعين ومات في الطريق بوادي
القرى والله اعلم ذكره المسعودي وابن خلكان وغالب المؤرخين ببسط
من هذا * وكانت ولايته بافريقية ست عشرة سنة ومات وله من
العمر ثلث وسبعون سنة * ولما ولي سليمان بن عبد الملك الخلافة
سنة ست وتسعين عزل عبد العزيز بن موسى بن نصير عن الاندلس *
وقيل عبد العزيز هذا كان اخا موسى بن نصير * وبعث اليها الشيخ
ابن مالك * وكانت ولاية عبد العزيز على الاندلس سنة * وبعث
الى افريقية عبد الله بن كريز واقام بافريقية الى ايام امير المؤمنين عمر بن
عبد العزيز رضي الله تعالى عنه * وعبد الله بن كريز هذا هو القائل كنت
عامل افريقية في ايام عمر بن عبد العزيز فشكوت اليه الهوام والعقارب
التي بافريقية فكتب الي وما على احدكم اذا امسى ان يقول - وما لنا
لأ نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما ءاذيتهمونا وعلى الله فليتوكل
المتوكلون - قلت وعلى راس المائة الاولى دانت له جميع افريقية من
برقة الى السوس الاقصى ولم تقم بعد قائمة للنصارى والبربر الذين بها *
فمنهم من دخل في الاسلام ومنهم من ضربت عليه الجزية * وكانت
بها عدة قرى عامرة بالكفر الى بعد المائة الرابعة * وكانت الاساقفة
ثلاثي من الاسكندرية من قبل البترک الذي بها الى نصارى افريقية
والان طهر الله تعالى هك البلاد من دنس الشرك والله الحمد * وكانت
الولاية في الرستن اول سكناهم القيروان ويبعثون بعمالهم الى اقصى المغرب *
وفي ايام عمر بن عبد العزيز عزل عبد الله بن كريز الذي كان عاملا

اسليمان بن عبد الملك وبعث الـ الاندلس حذيفة بن الاخصوص *
وبعث لا فريقيته محمد بن زيد الانصاري فاقام بها الـ ولاية يزيد بن عبد
الملك بن مروان * فعزله يزيد بن عبد الملك بن مروان وبعث الـ
افريقيته يزيد بن ابي مسلم الذي كان وزير الحجاج بن يوسف الثقفي
وكان سجنه سليمان بن عبد الملك بن مروان وبقي في السجن ايام سليمان
وايام عمر بن عبد العزيز فلما استخلف يزيد بن عبد الملك اطلقه من السجن
وبعث الـ افريقيته واليا عليها فلما قدم افريقيته واجتمع بمحمد بن يزيد
الانصاري قال له يزيد الحمد لله الذي مكنتني منك والله لو حال القضاء
بيني وبينك لسبقتك اليك * وقيل كان بك عنقود من العنب وانه قال
والله لو سبقتني ملك الموت عن اكل هذا العنقود لسبقتك اليك وامر بتقييدك
وحطه في النطع فيينما هم في المحاورة اذ اقيمت صلاة المغرب فقام يزيد ليصلي
بالناس فلما سجد طعنه رجل فقتله و اشار الـ محمد بن يزيد ان سر في
امن الله قال محمد فسرت وانا متعجب من صنع الله ذكره ابن خلكان باسط
من هذا * وذكره صاحب الفرج بعد الشدة * وقيل سبب قتل يزيد
ابن ابي مسلم انه اراد ان يسير في الناس بسيرة الحجاج فدسوا عليه سن
قتله * وقيل ان الذي قتله من الخوارج * وقيل ان اهل افريقيته
كتبوا الـ امير المؤمنين يزيد بن عبد الملك - انا لم نخلع لك طاعتنا وانا
عاملك سار فينا بالجور فقتلناه - فرد عليهم محمد بن يزيد الانصاري وصرفه
ببشر بن صفوان الكلبي * وبعث الـ الاندلس عقبته بن الحجاج واقام
بشر بن صفوان الكلبي بافريقيته الى سنة خمس ومائة * فقتل من افريقيته
بهديته عظيمته الـ يزيد بن عبد الملك فباغوه في الطريق وفاة يزيد فاقبل
بهديته الـ هشام بن عبد الملك فرد الـ عمله بافريقيته فلم يزل بها الـ
ان مات في سنة تسع ومائة * واستخلف بشر على افريقيته ابن قرط
الكلبي فعاتب بها * ولما بلغ خبره الـ هشام عزله وولى مكانه عبيدة بن
عبد الرحمن القيسي وذلك في صفر سنة عشر ومائة فلما قدم عبيدة الـ

أفريقية بعث المستنير بن الحارث غازيا إلى صقلية فاصابهم ريح فاغرقتهم
وسلم المركب الذي به المستنير والقتل الريح إلى طرابلس ✽ فكتب
عبدة إلى عامله بطرابلس يأمره بإمساك المستنير وأن يشد وثاقه ويرسله
إليه ففعل به ذلك وأرسله إلى القيروان فلما وصل إلى عبدة جلك وطيف
به في القيروان والقاه في السجن ✽ وأما انتقم من المستنير لأنه أقام بارض
الروم حتى دخل الشتاء واشتدت عليه أمواج البحر حتى عطبت المراكب
ولم يزل محبوسا إلى ولاية عبيد الله بن المحجّاب فاطلفه ابن المحجّاب
وبعثه إلى تونس كما مر في أول الكتاب وسيأتي بقية خبره أن شاء الله ✽
قُـسـمـت وهذا ينافي ما تقدم من أن عبيد الله بن المحجّاب هو الذي
بنى دار الصناعة بتونس - ودار الصناعة عبارة عن المكان الذي ينشأ به
المراكب لأن المراكب غزت من بحر تونس من قبل أن يتولى عليها ابن
المحجّاب بزّسن طويل - ويؤيد قول سنّ قال أن الذي بنى دار الصناعة
هو حسان بن النعمان أو سنّ قال أن موسى بن نصير هو أول سنّ غزا في
بحر تونس أو غيره ✽ وابن الشماع صرح أنك أن الباني لدار الصناعة عبيد
الله بن المحجّاب والعقل والنقل يشهدان بخلاف ذلك والله أعلم وسيأتي
بمزيد إيضاح ✽ ولم يزل عبدة بن عبد الرحمن القيسي إلى سنة عشر ومائة
فقفل إلى المشرق وقدم على هشام من أفريقية ومعه هدايا كثيرة ✽ وكان في
ما قدم به من العبيد والامباء والجواري المتخيرة سبعمائة جارية وغير ذلك
من الخصيان والخيل والدواب والاوناني من الفضة والذهب فقدم على هشام
بهداياه واستعفاه فاعفاه ✽ وكان خلف على أفريقية عقبة بن قدامة التميمي
الخبر عن ولاية ابن المحجّاب

فكتب هشام إلى عبيد الله بن المحجّاب وكان عامله على مصر فأمرة
بالمسير إلى أفريقية وولاه إياها وذلك في ربيع الآخر سنة عشر ومائة
فاستخلف ذلك على مصر وقدم إلى أفريقية فاستخرج المستنير من السجن
وولاه تونس ✽ وبـعث حبيب بن أبي عبدة بن عقبة بن نافع إلى

السوس وارض السودان فغنم مغنما لم ير مثله واصاب ذحبا كثيرا وكان في ما اصاب جاريثان من جنس تسميم البربر اجان ليس لكل واحدة منهم إلا ثدي واحد * ووجهه خالد بن ابي حبيب الفهري الى البربر بطنجة ومعه وجوه اهل افريقية من قريش ومن الانصار فقتل خالد وسن معه ولم ينج منهم احد فسميت غزوة الاشراق وقفل عبيد الله بن الحبحاب الى هشام في جمادى الاولى سنة ثلث وعشرين ومائة ذكره صاحب كتاب الاكتفاء ابن الكردبوس * ونقل ابن الشباط ان عبيد الله بن الحبحاب ارسل حبيب ابن ابي عبيدة في البحر غازيا الى صقلية في سنة اثنتين وعشرين ومائة فظفر ظفرا لم ير مثله ونزل على سرقوسة وهي اعظم مدنها بصقلية فقاتلهم وقاتلوه حتى ضرب بابهما بالسيف فاثر فيه فهابته النصارى فاذعنوا باداء الجزية فاخذها منهم ورجع سالما الى عبيد الله بن الحبحاب * وكان ابن الحبحاب رئيسا نبيلًا واميرًا جليلًا وكاتبًا بليغًا حافظًا لآيام العرب وهو الذي بنى الجامع بتونس ودار الصناعة سنة اربع عشرة ومائة كما تقدم كذا نقل ابن الشباط وذكر عن غيره ان ولايته كانت سنة ست عشرة ومائة وقفل الى المشرق في جمادى الاولى سنة ثلث وعشرين ومائة والله اعلم *

الخبر عن ولاية كلثوم بن عياض القيسي

قال صاحب الاكتفاء وفي جمادى الثانية من سنة ثلث وعشرين ومائة وجه هشام ابن عبد الملك كلثوم بن عياض القيسي الى افريقية فلما قدمها غزا الى طنجة فقتله البربر هنالك ولم يذكر وفاته وانما ذكر ذلك اجالا لا تفصيلا ولم اطلع على خبره في غيره ولعل صاحب تاريخ القيروان ذكره باسط من هذا واني متشوق الى رواية هذا التاريخ ولم اتصل به ولعل ما ذكرته في هذا المجموع هو موجود في تاريخ القيروان بزيادة ايضاح وما جمعت هذا القدر اليسير الا من غيره ولي العذر فيما جمعته من تشتت البال وترادف المحن والاهوال ومن ضيق الوقت وكثرة المقت وقلته الاطلاع وقصر الباع وقلته اساعد وكثرة الناقد والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله *

الخبر عن ولاية حنظلة بن صفوان

قال بن الكردبوس ولما سمع هشام بن عبد الملك بوفاة كلثوم بن عياض ارسل الى افريقية حنظلة بن صفوان في صفر سنة اربع وعشرين ومائة فاقام بها الى ايام مروان بن محمد * وفي ايام هشام بن عبد الملك عزل عقبة بن الحجاج عن الاندلس وولى مكانه الحسام بن صرار الكلبي فاقام واليا بالاندلس تسعة اعوام وهو الذي جوز اليها من اهل الشام عشرة آلاف رجل وهزم بهم ابن يفرن الزناتي اذ كان قام بها عليه فظفر به وصلبه وصلب عن يمينه كلبا وعن يساره خنزيرا وخلفه قردا وامامه دبا واسكن اهل دمشق البيرة واهل فلسطين شذونة واهل الاردن وشقة واهل قنسرين حيان واهل مصر باجة واهل حص اشيلية وبهم سميت اشيلية حص ومات بها في ايام هشام فولى عوضه الهيثم بن الكلبي وما ذكرت هذه النبذة إلا لابين ان الاندلس كانت من تحت ايدي ولاية افريقية ومنها فتحت والمزينة لافريقية عما سواها من بلاد المغرب وكل بلد بالمغرب كانت تحت ايدي البلاد الافريقية ولم تزل الولاة تتردد اليها من ايام الفتح من قبل الخلفاء الامويين الى ايام هشام بن عبد الملك * ولما توفي هشام سنة خمس وعشرين ومائة في ربيع الاخر وكانت خلافته تسع عشرة سنة وسبعة اشهر وعشرة ايام قام بالامر بعد الوليد بن يزيد بن عبد الملك في اليوم الذي مات هشام فيه * وكان يحب اللهو والصيد واطهر الملاهي وانهمك في شرب الخمر وجاهر بالكبائر وعم الجور في ايامه حتى كاد يقال فيه جبار بني امية ومثالبه مذكورة في غير ما موضع وقام عليه يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضوان الله عليهم فبعث اليه الوليد جيشا فقتل يحيى في تلك الحروب وجيء براسه الى الوليد وصلبت جثة زيد ولم يزل مصلوبا الى ايام ابي مسلم * والوليد هو الذي قرا في المصحف قوله تعالى - واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد - فنصبه غرضا للنشاب وجعل يقول تهددني بجبار عنيد فيها انا ذاك جبار عنيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب مرقني الوليد
فلم تطل أيامه حتى عاجله. القدر وقام عليه ابن عمه يزيد بن الوليد
فلم يترك له عينا ولا اثرا وقطع رأسه وحمله إلى دمشق وكانت خلافته
سنة وشهرين وقام بالامر بعد الوليد المذكور ابن عمه يزيد *
الخبر عن خلافة يزيد بن الوليد

ابن عبد الملك بن مروان

بسويح بعد موت ابن عمه الوليد في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين
ومائة ويسمى يزيد الناقص * وقام عليه مروان بن محمد بن مروان بن
الحكم غضبا لما فعله يزيد بالوليد * وأما دخل دمشق فر يزيد فظفر
به مروان بن محمد فقتله وصلبه وكانت خلافته ستة أشهر * وقام
بالامر بعك أخوه إبراهيم *

الخبر عن خلافة إبراهيم بن الوليد

ابن عبد الملك بن مروان

بسويح في اليوم الذي مات فيه أخوه يزيد فلم تطل أيامه ولم يكن
له في دولته اقبال فكانوا تارة يسمونه بـأمير المؤمنين وتارة بالأمير فقط
وقام عليه مروان بن محمد وسار إليه في سبعين ألفا * وبعث إبراهيم إليه
سليمان بن هشام في مائة ألف فاقتتلوا بغوطة دمشق فظهر عليهم مروان
وقتل منهم خلقا كثيرا ودخل دمشق * وخلع إبراهيم نفسه وكانت
خلافته شهرين وبعد شهرين من خلعه قتله مروان بن محمد واستقل
بالامر بعك *

الخبر عن خلافة مروان بن محمد بن مروان بن

الحكم ابن أخيه عبد الملك بن مروان

بسويح في صفر سنة سبع وعشرين ومائة ولقبه مروان الحمار ومروان
المجدي * وأما ولي الخلافة نبش قبر الوليد وأخرجته وصلبه وعزل عبد
الملك بن قطن عن الأندلس وقدم عليها ثوابته بن نعيم لأنصاره فقام

واليا بالاندلس اربع سنين الى ان ظهرت الدولة العباسية فبقى الامر بالاندلس سدى وانتفى رايهم على ان يقدموا يوسف بن عبد الرحمن الفهري فاقام واليا عشر سنين الى ان دخل اليها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان كما سيأتي ان شاء الله * ولما سرجع الى ذكر مروان الجعدي * وفي ايام خلافة خالفت عليه حص فتحتها وهدم سورها ولم يزل في تشتيت من امرة واضطراب النواحي وهو في ذلك يقيم الحج الى سنة ثلثين ومائة وقام ابو مسلم الخراساني بدعوة بني العباس سنة تسع وعشرين ومائة * وكانت حروب كثيرة بينهم وفر مروان بن محمد وتبعه جيش بني العباس الى قرية من قرى الصعيد يقال لها - ابو صير - سنة اثنتين وثلثين ومائة * وكانت خلافة خمس سنين وعشرة اشهر وبه انقضت دولة بني امية من المشرق وظهرت دولة بني العباس * وكانت ايام بني امية الف شهر * ولما دانت لبني العباس بلاد المشرق قتلوا سن وجدوة من بني امية الا سن استخفى منهم او سن كان دخل الى بلاد المغرب * ومن الذين دخلوا المغرب عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم دخل بلاد الاندلس سنة تسع وثلثين ومائة فوجد احوال الاندلس غير مجتمعة ولم تصل اليهم ولا من قبل الخليفة والناس فرق بين هاشم وامية فاجتمع الى عبد الرحمن كل سن كانت في باطنه حارة او موجدة عن يوسف بن عمر الفهري فانضاف الى عبد الرحمن وقاسى بها عبد الرحمن خطوبا * ولمسه بها وقائع مشهورة الى ان دانت له البلاد * وقاتل الفهري وهزمه وقتله وملك مدينة قرطبة ودانت له البلاد وبقي ملكا ثلثا وثلثين سنة وتداولتها بنوه من بعده ولم يخطب احد منهم لبني العباس ولم يدخل تحت طاعتهم الى ايام عبد الرحمن الذي تلقب بالناصر لدين الله وتسمى بامير المؤمنين - لما ظهرت بنو عبيد في افريقية وتسموا بامراء المؤمنين تسمى عبد الرحمن بامير المؤمنين * وقيل ان سن تقدمه من ابائه

كان يخطب لبني العباس وعبد الرحمن هذا الذي تلقب بالناصر هو ابن
محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد
الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي توفي
سنة خمسين وثمانمائة * وكانت امارته خمسين سنة ونصف سنة وعمره
ثلاث وسبعون سنة * ولما مضت من امارته سبع وعشرون سنة ورأى
ضعف الخلافة بالعراق وظهور العلويين بأفريقية تسمى بأمير المؤمنين *
وتولى بعك ابنه الحكم وتلقب بالمستنصر وتوفي سنة ست وستين
وكانت امارته خمس عشرة سنة وخمسة اشهر وعمره ثلاث وستون سنة وسبعة
اشهر * وعهد له ولك هشام وعمره عشرة اعوام وتلقب بالمويد وهو الذي
حجبه محمد بن عبد الله بن أبي عامر الملقب بالمنصور واستحكم على امر
المويد هشام وأمال اليه الجند ولم يبق للمويد إلا الخطبة والسكة فدانت له
ملوك الشرك وانزلهم من صياصيتهم وحكم على ملوكهم وجعلهم عمالا له ودخلوا
في طاعته * وكان حازما عاقلا وأكثر الغزوات في بلاد الكفرة حتى اذلهم
الله على يده وجعلهم ينقلون التراب من اقصى بلادهم الى قرطبة وبني به
الجامع وفعل بهم ما لم يفعلهم غيره ممن تقدمه وكان يقال في حقه انجب
مولود ولد في الاسلام * ونقل ما في خزائن بيت المال وجعله تحت يده
وكان خراج الاندلس حصر في زمن عبد الرحمن الناصر فبلغ خمسة آلاف
الف دينار فكان يجعل ثلثه في بيت المال والثلث للتجند والثلث الباقي
لبنائه وصلاته للشعراء والعلماء وغير ذلك * وما اطلت في هذا الفصل
إلا لكون الاندلسية اصل افتتاحها من هذه البلاد ومنتبت بناء الحكاية ليتصل
بعضها ببعض وربما لم يخل هذا الموضع من فائدة وان كانت في غير هذا
ابسط من هذا وليعلم الواقف على هذه النبذة ان افريقية لها الشرف
السابق بين بلاد المغرب لان الاندلسية فتحت منها في زمن الجاهلية وفي
زمن الاسلام وكذلك الصقلية فتحت منها * وكانت عمالها من تحت
عمال افريقية منين من لاعوام * وكانت دار ملك بني الاغلب القيروان

ثم قامت بها بنو عبید الفواطم ثم تملك عليهما ملوك صنهاجة * وكان لهم ضخامة ملك وهم صال للفواطم عندما رحلوا إلى بلاد المشرق * وكان حكم بني الاغلب وسن كان قبلهم من الامراء وسن كان بعدهم من صنهاجة إلى جد السوس من بلاد المغرب إلا ما خرج عن ايدي بني الاغلب عند تمكن الادارسة من بلاد المغرب * وكان اولهم ادريس بن عبد الله بن حسين بن الحسين بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه. وذلك بعد السبعين والمائة في ايام المهدي امير المؤمنين العباسي وادريس بن ادريس هذا هو الذي بنى مدينة فاس * وبقيت اخبارهم تأتي بعد ان شاء الله تعالى عند ذكر الخلفاء الذين كانوا بالمغرب وملوك لتونة وبني عبد المومن الذين يقال لهم دولة الموحدين لكي يرتبط النظام بدولته بني حفص وسن بعدهم ان شاء الله من الامراء الذين كان استيلاؤهم بتونس وكيف تنقل الامر من حال إلى حال والله هو المتصرف في البلاد والعباد لا يسال عما يفعل وهم يسالون * ولما بنا الغرض إلى هنا نذكر الآن سن دخل افريقية من امراء بني العباس ونسرد اسماءهم على الولاة من غير اطناب إلا ما تمس الحاجة بنا اليه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل *

ذكر الولاة من قبل العباسية

ولما كان قيام بني العباس بالمشرق وتشتت جمع بني امية وكثرت الفتن بافريقية واشتغل بنو العباس بتمهيد البلاد في المشرق وهاجرت فتن الخوارج بالمغرب قام ابو الخطاب راس الخوارج بافريقية وكثر ضررهم واشتدت شوكتهم فارسل ابو جعفر المنصور محمد بن الاشعث بن عقبة الخزازي سنة اربع واربعين * وقسالة ابن نباتة الذي بعث محمد بن الاشعث امير المؤمنين عبد الله السفاح سنة ثلث وثلثين ومائة والقول الاول اصح * فحارب الخوارج وقتل ابا الخطاب وشرد الصفرية وبددهم وبني سور القيروان من الطوب سعة عشر اذرع وذلك في ربيع الاول من السنة المذكورة وكمل في رجب الفرد الاصب

سنة ست وأربعين وهو أول قائد للسودة * والسودة كناية لبني العباس
لان شعارهم السواد وكانوا يلبسون السواد وكانت اعلامهم سودا وخلعهم
سودا لانهم خرجوا طالبين لدم الحسين وزيد رضي الله تعالى عنهما فجعلوا
شعارهم السواد * فمنهم — عمر بن حفص من ولد قبيصة بن ابي
صفرة اخو المهلب بن ابي صفرة المشهور لنسبته ذكره ولقبه هزار مرد
معناه الف رجل بالفارسية لغة فارس وما لقب بهذا إلا لشجاعته كان
يقوم مقام الف فارس في الحرب * وكان بطلا شجاعا اولاه المنصور امير
المومنين واسمه عبد الله المنصور اخو امير المومنين عبد الله السفاح ولي الخلافة
سنة ست وثلثين ومائة وكنيته ابو جعفر وكان مقدما لعمر بن حفص
ولاه ولايات منها البصرة والسند وغيرها وسيرة الى افريقية سنة احدى
وخسين ومائة ومعه خمسمائة فارس واجتمع اليه وجوه اهل القيروان فواصلهم
واحسن اليهم واقام الامور المستقيمة ثلث سنين واشهرها ثم سار الى الزاب
وبنى مدينة طينة وذلك بعد ان ورد عليه كتاب المنصور وقتلته الخوارج
بافريقية * ومنهم الامير يزيد بن حاتم بن ابي قبيصة بن المهلب بن
ابي صفرة دخل افريقية سنة خمس وخسين ومائة من قبل المنصور وكان
معه خمسون الفا من العسكر فقتل الخوارج الذين قتلوا عمر بن حفص
المقدم ذكره ومهد البلاد ودانت له العصاة ودخل القيروان لعشر بقين
من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ورتب امر القيروان وجعل كل صناعة
في مكانها وكان جوادا مشهورا * وحكى عنه سحنون انه كان يقول
والله الذي لا اله الا هو ما هبت شيئا قط كهيبة رجل واحد يزعم اني ظلمته
وانا اعلم انه لا راحم له الا الله يقول ببني وبينك الله * وهدم جامع
القيروان ما عدا المحراب وبناء واشترى العمود الاخضر بمال جزيل *
وكان جوادا سريا يعد من الكرماء * ولما رحل عن العراق كان في
صحبه يزيد السلمي عامل مصر فكان يزيد بن حاتم ينفق على الجيشين من
عنه وهذا غاية الكرم * وقصصك جماعة من الشعراء فاحسن اليهم وقصصك

مروان بن ابي حفصة الشاعر فانشك هذين البيتين -
اليك قصرنا النصف من صلواتنا مسيرة شهر ثم شهر فوملهم
فلا نهن نخشى ان يخيب رجأونا . لديك ولكن انا البر عاجله
فسامر للجند بعطايهم وقال سن احبني يعطي هذا الشاعر درهما
فحصل له خمسون الف درهم وزاده من عنك خمسين الفا فرجع الشاعر
بمائة الف درهم في بيتين * قلت انظر ايها المتامل الى نفاذ سوق
الادب في ذلك العصر وقلته نفاذه في زماننا هذا حتى ان الشاعر في هذا
الزمان ربما جهد جهلك في مدح انسان ويود ان يحصل له من المدوح
السماع فضلا عن الجائزة فلا يحصل على شيء وكفى بمن يخل بسمعه والامر
لله وكانت ولاية يزيد خمس عشرة سنة ومات بالقيروان سنة سبعين
واسستخلف ولك من بعك فعزله امير المؤمنين هارون الرشيد باخيه
روح بن حاتم رحم الله تعالى الجميع * ولانسير روح بن حاتم بن
قبيصة بن المهلب بن ابي صفرة الازدي اخو يزيد بن حاتم المقدم
ذكره كان عالي الهمة ولي الولايات الكبار الخمسة من الخلفاء - السفاح
- والمنصور - والمهدي - والهادي - والرشيد - ودخل افريقية سنة
احدى وسبعين بعد موت اخيه يزيد واقام بها اربع سنين * ومن
الاتفاق الغريب انه كان واليا على السند واخوه يزيد على المغرب فلما مات
اخوه يزيد كان الناس يقولون ما ابعد قبري هذين الاخوان احدهما
بافريقية والاخر بالسند فاتفق ان الرشيد عزله عن ولاية السند وبعثه الى
افريقية فمات بها في شهر رمضان سنة اربع وسبعين ومائة ودفن مع اخيه
في قبر واحد والله عاقبة الامور * وفي ايامه ظهرت دولة الادارسة بالمغرب
وبسويح الامام ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن
ابي طالب بمدينة ولى يوم الجمعة الرابع من شهر رمضان سنة اثنتين
وسبعين ومائة واستفحل امره بتلك البلاد وسياتي بقيته من خبره ان
شاء الله تعالى * ومنهم الامير هرثمة بن اعين الهاشمي ولاة امير

المومنين هارون الرشيد افريقية سنة تسع وسبعين وقدم الى افريقية يوم
الخميس لثلاث خلون من ربيع الاخير من السنة المذكورة واقام بها الى
سنة ثمانين * وفيها بنى بلد المنستير قاله ابن خلكان * ونقل ابن
الشباط انه بنى القصر الكبير بالمنستير سنة ثمانين على يد زكرياء بن
قادم * وبنى سور مدينة طرابلس وامن الناس في ايامه * وقفل الى
المشرق في رمضان سنة احدى وثمانين ومائة بعد ما كتب الى الرشيد
يستغفیه عن الولاية لما رآه من الخلاف فاعفاه الرشيد * وكتب اليه
بالقدوم الى المشرق وعاش الى ايام امير المومنين المامون وكان يعتمد عليه
في الامور العظام * وفي سنة مائتين حقد عليه وجسمه ثم ارسل اليه من
قتله في السجن رحمه الله * وكان من اكبر قتاد المامون ممن عاضد
طاهر الحسين في محاربة الامين * ومنهم ابراهيم بن لاغلب كان
سنة اربع وثمانين ومائة من قبل هارون الرشيد وقيل خمس وثمانين وهو
الذي بنى مدينة القصر على ثلثة اميال من القيروان * وهدم دار الامارة
التي كانت بالقيروان قبلي الجامع وانتقل الى القصر وجعله دار الامارة
وعمرت بازائه مدينة القصر وصار بها اسواق وحمامات وفنادق وجامع
وذلك في سنة اربع وثمانين ومائة ومات سنة خمس وثمانين ومائة *
ومنهم — — — زيادة الله بن ابراهيم بن لاغلب استقل بالامور في سنة احدى
ومائتين واقام في الولاية الى سنة ثلث وعشرين ومائتين * وقسم عليه
منصور الطنبذي وحاصره اثنتي عشرة سنة وسبب اهل القيروان الى الجور
وآخر الامر انتصر على الطنبذي وهزمه * وكان الطنبذي قام مع جماعة
من الجند وملك مدينة القيروان وافريقية وكانت بينهما واقعات وفي آخر
الامر انهزم منصور الطنبذي وفتح الله عز وجل لزيادة الله وعاد اليه ملك
افريقية وهو الذي سور مدينة القيروان وحضر الجامع بها وانفق عليه
سنة ثمانين الف دينار بعد ما هدمه ما عدا المحراب ايضا وبنى سور
مدينة سوسة * وفي ايامه بعث الى صقلية اسد بن الفرات وكان

قاضي بالقيروان ومعه من الجيش نحو عشرة آلاف فركب البحر من سوسة
وسار إلى صقلية والتقى بصاحبها بلاطه * ويقال أنه كان في
مائة ألف وخمسين ألفاً فهزم الله الكافرين وغنم المسلمون أموالهم وبددوا
شملهم واستفتحوا من صقلية مواضع كثيرة * وتوفي أسد بن الفرات وهو
محاصر لسرقوسة في ربيع الآخر سنة ثلث عشرة ومائتين ودفن هالك
وسكنها المسلمون واستوطنوها ما شاء الله وتداولت عليها الولاة من قبل
القيروانيين وكان محمد بن عبد الله بن الأغلب والياً على صقلية سنة ثمان عشرة
ومائتين ومات سنة سبع وثلاثين وفتح فيها فتوحات عظيمة وكان مقامه
في بليوم لم يخرج منها وإنما يبعث سراياه ومدة إمارته تسع عشرة سنة
لأنه أخذها منهم العدو وذلك بعد الأربعين وخمسائة وسبعمائة بقية
خبرهم فيما بعد أن شاء الله * وتوفي زيادة الله سنة ثلث وعشرين
ومائتين رحمة الله عليه * ومنهم أبو عقاب واسمه الأغلب بن إبراهيم
ابن الأغلب أخو زيادة الله المتقدم ذكره وتوفي أبو عقاب سنة ست
وعشرين ومائتين رحمة الله عليه * ومنهم أبو العباس أحمد بن إبراهيم
وكان في زمانه سحنون بن سعيد وفي أيامه منع سحنون أهل الأهواء
من المسجد الجامع وكانوا قبل ذلك يجتمعون فيه ويتظاهرون بمذاهبهم مثل
الاباضية والصفورية والمعتزلة فمنعهم سحنون من الاجتماع * وكان عامله
بصقلية ابن عمه محمد بن عبد الله بن الأغلب المتقدم ذكره ومات بها
سنة سبع وثلاثين ومائة * وتولى بعك العباس بن الفضل بن يعقوب بن
فزارة وسبعمائة بعد أن شاء الله تعالى * ومنهم محمد بن إبراهيم بن
محمد بن الأغلب وكان في سنة أربعين ومائتين * وفي أيامه عصى أهل
تونس عليه فغار عليهم وسبى منهم خلقاً كثيراً * وله واقعة مشهورة مع الإمام
سحنون في رد المسبيات ومنع بعض أمرائه من التصرف فيهن واستخرجهن
من دارة * وبسبب الأمير محمد إلى سحنون في ردهن فاقسم لا
يردهن ما دام قاضياً إلا أن يرفع يده عن القضاء فكف عنه رحم الله الجميع

وفي أيامه فتح العباس بن الفضل بن يعقوب بن قرارة مدينة بانه من صقلية وبنى بها مسجدا وصلى فيه الجمعة وهي دار الملك عندهم وكان الملك قبل ذلك يسكن سرقوسة وتوفي بها سنة سبع وأربعين ومائتين وتولى بعك ولد عبد الله بن العباس أميرا على الجزيرة * ومنهم إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن الأغلب قام بالامر بعد أبيه ومات في سنة تسع وأربعين ومائتين * ومنهم زيادة الله بن محمد بن إبراهيم بن الأغلب قام بالامر بعد أخيه وكانت ولايته عاما وستة أشهر وتوفي سنة إحدى وخمسين ومائتين * ومنهم ابن أخيه أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن محمد بن إبراهيم بن الأغلب تولى بعد عمه زيادة الله سنة إحدى وخمسين ومائتين في جادى الأولى وكانت إمارته عشر سنين وخمسة أشهر ومات سنة إحدى وستين ومائتين * وكان عامله على صقلية خفاجة بن سفيان أرسله من إفريقية فغزا فيها عدة غزوات وفتح فتوحات عظيمة ولم يزل بها إلى أن اغتاله رجل من مسكنة فقتله وفر إلى العدو وأقام الناس ابنه محمد بن خفاجة وأرسل إليه الأمير محمد فاقرة على عمله ولم يزل إلى سنة سبع وخمسين ومائتين فقتله خدمه الخصيان واستعمل بعك الأمير محمد الأغلب على الجزيرة أحمد بن يعقوب * ومنهم الأمير محمد سنة إحدى وستين ومائتين * ومنهم الأمير أحمد بن محمد بن أحمد ابن محمد بن إبراهيم بن الأغلب قام بالامر بعد أبيه وهو الذي بنى ماجسل القيروان وجامع تونس وله واقعة مشهورة * ومنهم الأمير إبراهيم بن أحمد بن محمد الذي بنى مدينة رقادة وانتقل إليها وأبدا بناءها سنة ثلاث وستين ومائتين فكملة سنة أربع وستين وسكنها واتخذها دارا لملكه * وكان يكثر الإقامة بتونس وكان ذا فطنة عظيمة وصاحب معروف وطالت مدته وكانت ولايته سنة إحدى وستين ومائتين وبعث إلى صقلية الحسن بن العباس عاملا عليها فبعث الحسن سراياه وفتح عدة أماكن مشهورة ودانت له البلاد وصلاح حالها في أيامه وانتقل من إفريقية إلى صقلية بعد ما

استخلف ولده ابا العباس احمد وجاهد في الله حق جهاده * وفتح
الفتوحات العظيمة وتوفي بالدرب وحل الى القيروان سنة تسع وثمانين
ومائتين وتصدق بجميع ماله رحمة الله تعالى عليه * وكانت امارته
ثمانى وعشرين سنة * وفي ايامه ظهر ابو عبد الله الشيعي بارض كتامة
يدعو الى ازال البيت وسياتي بقية خبره * ومنهم الامير ابو العباس
احمد بن ابراهيم بن احمد المتقدم ذكره استخلفه ابوه على افريقية عند مسيره
الى صقلية واقام بها بعد وفاة والده الى ان توفي سنة ثمان وثمانين
ومائتين وقام بالامر بعك ولك عبد الله بن احمد * ومنهم الامير عبد الله
ابن احمد بن ابراهيم بن احمد بن محمد وكان حسن السيرة كثير العدل صاحب
معروف واحسان انتقل اليه الامر بعد ابيه سنة ثمان وثمانين وكانت
اقامته بتونس وقيل سنة تسع وثمانين ومات بتونس سنة خمس وتسعين
فقتلوا قتله ثلثة من الضغالة باتفاق من ابنه زيادة الله لانه سجنه عن
شرب الخمر فاتفق معهم على قتل ابيه فقتلوه واحضروا راسه بين يدي
زيادة الله ولك وهو في السجن فلما تولى زيادة الله امر بقتلهم فقتلوا وهو
الذي كان امر بذلك * ومنهم الامير زيادة الله بن عبد الله بن احمد
استقل بالامر بعد ابيه ولما تم له الامر انعكف على لذاته ولازم المضحكين
واهل احوال الرعية والمملكة وقتل من اعمامه واهل بيته من قدر عليه
وفي ايامه استفحل امر ابي عبد الله الشيعي القايم بدعوة الفاطميين
بالمغرب * وارسل زيادة الله عسكريا مع ابن عمه ابراهيم وقديره اربعون الفا
فهنزهم ابو عبد الله الشيعي * ولما رأى زيادة الله هزيمة عسكره
وضعفه عن مقاومته جمع ما قدر عليه من الاموال وخرج عن ملكه فارا الى
المشرق وذلك في خلافة المستدر بالله العباسي فوصل الى مصر وبها النوشري
عاملا عليها * فكشب الى المستدر يخبره بزيادة الله ثم سار زيادة الله الى
ان بلغ الرقة فوافاه كتاب امير المؤمنين بالعود الى بلاده لقتال الشيعي
ويامر عامل مصر ان يملك بما يحتاج اليه من المال والرجال * فرجع الى

مصر فمات له العامل بها وزيادة الله في اثناء ذلك منعكف على لذاته واستماع الملاهي وشرب الخمر فلما طال مقامه تفرق جمعه وفرت عنه اصحابه وتنابت به الامراض فتوجه الى بيت المقدس لقصد لاقامة بها فمات بالرملة ودفن بها ولم يبق بالمغرب من بني الاغلب احد * وكانت مدة ملكهم مائة واثنى عشرة سنة تقريبا * فسبحان من لا يزول ملكه ولا يفنى دوامه وتتصرف في العباد احكامه يفعل في ملكه ما يشاء وهو على كل شيء قدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم *

الباب الرابع في ذكر الدولة العبيدية

وابتداء امرهم والقائم لاصلاح دولتهم

فاولهم ابو عبد الله الشيعي واسمه الحسين بن احمد بن محمد بن زكرياء من اهل صنعاء وقيل من اهل الكوفة اخذ اسرار الدعوة عن ابن حوشب وارسله الى المغرب فقدم الى مكة ايام الحج واجتمع بجماعة من المغاربة من اهل كتامة وكان عندهم طرف من ذكر مال البيت فجلس اليهم وتحدث معهم وذكر لهم فضائل اهل البيت فانسوا به واعجبهم ومالوا اليه وسالوه عن قصصه فاطهر لهم انه يريد مصر لقصد التعليم فاستصحبوه معهم الى مصر * ولما ان رجليهم اخذ يودعهم وقد عز عليهم فراقه فسالوه الصحبة معهم الى بلادهم اذ كان قصص التعليم والثواب فاجابهم لما طلبوه وقفل معهم الى المغرب ولم يظهر لهم مرادة وفي اثناء ذلك يسالهم عن خبر بلادهم وعشائيرهم الى ان اجاب بها خبرة * ولما وصلوا الى بلادهم تنافسوا فيه وعند سن تكون اقامته الى ان كادت ان تكون بينهم فتنة * فعند ذلك سالهم عن فج الاخيار ولم يكن سالهم عنه قبل ذلك فعجبوا منه وقال اذا جئناه ناتي كل قبيلة منكم في مكانها فرضوا بذلك وكان اسمهم عندهم ابا عبد الله المشرقي وقدم المغرب منتصف ربيع الاول سنة ثمانين ومائتين واتاه البربر من كل مكان وذلك في زمن ابراهيم بن احمد الاغلبى * فلما سمع به استصغر امرة واحتقرة * ثم مضى ابو عبد الله الى تيهرت فملكها واتته وفود البربر من كل فج ولا زال في زيادة من امرة

الى ايام زيادة الله الاحول فبعث اليه عدة الوف فهزمهم ابو عبد الله واما
راى زيادة الله ابا عبد الله يتزايد امره فر باهله وماله الى المشرق كما تقدم
ولما اتصل الخبر بابي عبد الله ان زيادة الله حرب وكان اذ ذاك في بلد
سببته رحل عنها وقدم بين يديه عروبة بن يوسف بن ابي خنيزر في
الف فارس فارسلهم الى رقادة وامرهم ان لا يتعرضوا لاحد بمكروه * فلما
سمع اهل القيروان بذلك خرجوا الى ابي عبد الله وهنوه بالفتح ودخل رقادة
يوم السبت اول رجب سنة ثلث وتسعين ومائتين * واما حضرته
الجمعة كتب كتابا لخطيب رقادة وخطيب القيروان بما يقولان * ونقش
على السكة من وجهه - بلغت حجة الله - وعلى الوجه الاخر - تفرقت اعداء
الله - ولما استقام له الامر ومهد البلاد واجتمع باخيه ابي العباس استخلفه
وخرج من رقادة في اول رمضان من سنة ست وتسعين وتوجه الى سجلماسة
فاقتزله المغرب وخافته زناتة وقبائل العرب والبربر المخالفون له فطلبوا منه
امانا * ولما قرب سجلماسة سمع به اليسع بن مدرار وكان عاملا لبني الاغلب
وكان زيادة الله كاتبه يخبره بخبر المهدي وهو اذ ذاك في بلد فبعث الى
المهدي وساله عن حاله فانكر وكان وصل الى بلاده في زي التجار
فتجاوز عنه ولما بلغه الخبر عن ابي عبد الله الشيعي امسك المهدي وسجنه
فلما سمع ابو عبد الله بامساكه للمهدي كاتب اليسع وتلطف اليه فلم
يغن عنه شيئا وخرج اليه اليسع فقاتله ساعة من نهار وانهزم فدخل ابو
عبد الله البلد واستخرج المهدي وولاه من السجن وقرب اليهما مراكب
رائعة فركبا ومشى ابو عبد الله ووجوه القبائل بين يدي المهدي وابو عبد
الله يبكي من الفرح ويقول هذا مولاي ومولاكم وانزلني في فسطاط اعد له
ورحل ابو عبد الله في طلب اليسع فظفر به وقتله بعد ما طيف في العسكر
وضرب بالسياط واقام المهدي في سجلماسة اربعين يوما ثم نهض الى
افريقية وكان دخوله اليها في ازيد من مائتي الف بين فارس وراجل *
وكان وصول المهدي الى رقادة يوم الخميس لعشر بقين من ربيع الاخر

سنة سبع وتسعين ومائتين ونزل بقصر من قصورها وفرق باقيها والسدور على جميع الاجناد * وكتب الى جميع البلاد فاخذ البيعة وامر الخطباء ان يذكروا اسمه على المنابر واستبد بالامر ودون الدواوين وهو اول من تسمى بامير المؤمنين * وفي هذه السنة زالت دولة بني مدرار من سجماسة الذين اخرهم اليسع بعد مائتين وستين سنة ودولة بني رستم من تيهرت بعد ثلثين ومائة سنة ودولة بني الاغلب بعد مائة واثنى عشرة سنة والله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين *

الخبر عن خلافة الامام المهدي

هو ابو محمد عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى ابن جعفر بن محمد بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم نقله ابن خلكان عن صاحب تاريخ القيروان وقال ابن خلكان وجدت في نسبه اختلاف * قلت للناس مذاهب في نسبهم والله سبحانه وتعالى اعلم ومولده بسمليته وقيل ببغداد سنة ستين ومائتين واستقل بالامر سنة سبع وتسعين وكان جيلا مهيبا حسيبا عالما بكل فن عارفا بالسياسة والتدبير للملكة ولما تم له الامر باشر الامور بنفسه وبعث العمال وجبى الاموال واستعمل على صقلية ابا عبد الله الحسين بن احمد بن محمد بن زكرياء الشيعي * ولما استبد بالامر دخل ابا العباس الحسد واخذ في تغيير قلوب اهل الدولة وظهر الخبر والمهدي مسر لذلك الى ان فشا بين الناس فتقسم المهدي على ابي عبد الله وعلى اخيه ابي العباس فقتلها سنة ثمان وتسعين ومائتين * وكان ابو عبد الله الشيعي يلبس الخشن من ثياب الصوف وياكل الخشن من الطعام ويظهر الزهد والورع وهو الذي بنى اساس بيت الفواطم في مملكة المغرب وكان كالباحث عن حقه بظلمه * واستقام الامر للمهدي وعهد الى ولده ابي القاسم محمد ونفذت الكتب عنه بولي عهد المسلمين وعصمت عليه صقلية فبعث اليها اسطولا وفتحها وبعث اليها عاملا من قبله * وخالفت عليه طرابلس فبعث اليها جيشا ففتحها واغرم اهلها ثلثمائة الف

واربعين الف دينار * وفي سنة ثلثمائة خرج بنفسه الى تونس وقوطاجنة
يرتاد لنفسه موضعاً يمنع لان عنده خبر برجل يخرج على دولته فوقع
اختياره على المهدية فبناها وحصنها ولما مد الخيط على اول حجر من اساس
البلد امر راميا فرمى بالقوس فانتهى السهم الى موضع المصلى فقال - الى
هذا الموضع اي موضع السهم يبلغ صاحب الحمار - يعني ابا يزيد الخارجي *
وامر بقياس مسافة الرميته فبلغت مائتي وثلاث وثلاثين ذراعاً فقال - هذا
مقدار ما تقيم المهدية في ايدينا * وبعث ولده ولي العهد الى مصر فملك
الاسكندرية والفيوم وحاربه عامل مصر فهزمه ورجع الى المغرب ثم رجع
ايضا سنة سبع وثلثمائة الى المشرق فوقع الوباء في عسكره فكر راجعاً
الى المغرب * وفي سنة خمس عشرة خرج ولي العهد الى المغرب وبلغ
الى تيهرت وامر ببناء مدينته وسماها المجدية وهي المسيلة وامر عامله
ان يخزن من الاقوات بها ويستكثر منه * ولما دانت له العباد وصفت
البلاد عاجله حكامه ودنت ايامه وتوفي للنصف من ربيع الاول سنة
اثنين وعشرين وثلثمائة عن ثلاث وستين سنة * وكانت خلافته خسا
وعشرين سنة رحمة الله عليه ودفن بالمهدية وبلغت دعوته من برقة
الى المغرب * وفي ايامه انقرضت الفواطم الادارسة عن المغرب ولم تكن
لهم قوة بعد ذلك * وكانت عماله بفاس واعمالها الا مدينته سبتة كانت
لبنى امية * وملك مدينته فاس سنة خمس وثلثمائة على يد قائده مطاله
وباعه صاحبها وسياتي ان شاء الله تعالى *

الخبر عن خلافة القائم بامر الله ابي القاسم

نزار - وقيل محمد - بن المهدي

تولى بعهد من ابيه مقام مقام ابيه واتبع سيرته وجهز اسطولا وامر
عليه علي بن اسحاق فسبى مدينته جنوة وبعث ميسور الفتى في عسكر
صخم الى المغرب فبلغ الى مدينته فاس * وفي ايامه ظهر ابو يزيد بن
كيداد الخارجي * ولندكر طرفاً من اخباره - هو ابو يزيد مخلد بن

كيداد مولدة ببلد السودان واصل ابيه من مدينته توزر وهو زناتي لاصل
واقى به ابوه الى المغرب فتعلم القراءة العظيم وخالط جماعة من النكار
فتعلم مذهبهم الخبيث * وكان يعلم اولاد المسلمين وكانوا يتصدقون عليه *
ومذهبه تكفير اهل السنة واستباحة اموالهم * وسكن تقيوس ولزم بها
مسجدا يعلم الاطفال * فكان يلبس جبة صوف وعلى راسه قلنسوة صوف
وفي عنقه سبحة وكان يعتقد الخروج عن السلطان وصار له جماعة
يعظمونه ويسمعون منه وذلك في ايام المهدي ولم يزل على ذلك الى ان
اشتدت شكيمة وقويت شوكته فنشر غاراته في بلاد البربر * وفي ايام
القائم عظم امرة وافسد البلاد وحصر باغاية وقسطيلية وفتح بجانة وهنالك
اهدي له حمار اشهب كان يركبه وبه دخل افريقية ونهب بلد الاربع
ففر الناس الى جامعها فقتلهم فيه واقتض اصحابه فيه الابكار وفعل بهم
ما لا يفعله مسلم * وارسل القائم جيشا مع بشر الفتى لحراسة بلاد باجة
فسمع به ابو يزيد فرحل اليه وجعل كل ما مر على مكان افسده وسبى
حريمه والتقى مع بشر فهزمه بشر اولا وعاود معه القتال ثانيا فهزم بشرا وفر
بشر الى مدينته تونس ودخل ابو يزيد باجة بالسيف واباحها ثلثا وحرق
ديارها وسبى حريمها وعبث بالاطفال الرضع وفعل باهلها العجائب فخافته
جميع القبائل واتوه طوعا وكرها * وعمل الاخوية والبنود وبعث جيشا الى
بشر وهو بتونس فخرج اليه بشر بالتونسيين وهزمه * ووقعت فتنة بتونس
فكانت اهل تونس ابا يزيد فامتهم وولى عليهم رجلا منهم ونزل ابو يزيد
بفحص ابي صالح * قلت هو الفحص المعلوم في زماننا قريب من بلد
زغوان واقتتل مع الفتى بشر على هرقله فانهزم عسكري ابو يزيد مرة اخرى
وقتل منه اربعة آلاف رجل واسر خمسمائة فانفذهم الى المهدي فقتلوا
هناك * ورجع ابو يزيد فجمع جوعا اخر وانصرف الى الحريرية بقرب
القيروان فاقتتل مع طلائع الكتامين فهزمهم الى رقادة * ونزل ابو يزيد على
اربعة اميال من القيروان ومن الغد نزل في شرقي رقادة في مائة الف بين

فارس وراجل وزحف إلى القيروان فاقتتل مع أهلها فهزمهم * وأتى أبو
يزيد إلى ماجل باب تونس من القيروان وركن بنوده * ودخلت البربر
إلى القيروان فنهبوا وافسدوا * ونزل بعد ذلك في رقادة وخرج شيوخ
القيروان وطلبوا منه الأمان فقال - هلا طلبتم قبل اليوم - فاستذروا له
فمأطلمهم وعسكرة مع ذلك ينهبون في البلاد ويقتلون * فسأله ثانيا وقالوا له
قد خربت القيروان - فقال لهم - وما عسى أن يكون خربت مكة ومكة
المقدس مرتين - ثم امنهم بعد ذلك وأثناء الخبر أن عسكرا قادم عليه من
فحو القائم فنادى في القيروان - سن تخلف عن الجهاد معي حل دمه
وماله - فنفر معه خلق كثير والتقى مع عسكر القائم بعد ذلك فكانت
الهزيمة أن تقع على أبي يزيد ثم انتصر وملك الأخيصة والفازات وهزم
عسكر القائم حتى بلغ المنهزمون المهديّة فوجلت قلوب الناس إذ ذاك
وانتقلوا من الرض إلى المدينة وأقام أبو يزيد في قيطنة ثمانية وستين
يوما وهو يبعث سرايا إلى جميع بلاد إفريقية والحصون التي بها على البحر
وأخذ جميع ما فيها من اقوات وسلاح * وبعث جيشا إلى بلد سوسة
فدخلها بالسيف وحرق المنازل وسبى النساء ومثل بالناس بقطع الأيدي
والأعضاء وشق فروج النساء وبقر بطونهن وفعل بأهل سوسة ما لا تعلم
أعداء الدين ولم يبق بإفريقية منزل عامر * وفرت الناس إلى القيروان
حفاة عراة ومات أكثر أهل إفريقية جوعا وعطشا ونهب مدينة تونس
وأخذ منها اثني عشر ألف خاوية زيتا غير الأموال والعبيد وقد مر خبرها
في أول الكتاب * ونهب من غيرها من البلاد ما لا يحصى وحمل ذلك
البربر إلى بلادهم لأن عامة جنده بربر * وكتب إلى قبائل البربر
يحثهم على الجهاد إلى المهديّة * وفي سنة ثلث وثلثين وثلثمائة أمر
القائم بحفر خندق على أرباض المهديّة * وانسفذ الكتب إلى صنهاجة
وكتامة يستفزهم إلى المهديّة ويحرضهم على قتال أبي يزيد * ورحل أبو
يزيد ونزل قريبا من المهديّة ونهب ما حولها وخرج إليه جيش القائم

واقْتتلوا معه فهُزِمهم وسار ابو يزيد الى الخندق المحدث بخاصته واقْتتل مع الحراس الذين هنالك فهُزِمهم * واقْتتحم ابو يزيد وسن معه البحر الى ان وصل الماء صدور الدواب وجاوز السور وبلغ الى مصلى العيد ولم يبق بينه وبين المهديّة إلا رمية سهم واصحابه في زويلة ينهبون ويقتلون ثم قويت نفوس اهل المهديّة وتحاموا واقْتتلوا قتالا شديدا فازالوا ابا يزيد واصحابه من البلد ورجع ابو يزيد الى مقبضته وامر بحفر خندق على عسكرة واتته جميع القبائل من طرابلس وقابس ونفوسة والزاب واقاصي المغرب * وحاصر المهديّة اشد حصار ومنع عنها الداخل والخارج وزحف اليها مرة اخرى وكان بينهما حرب شديدة مات فيه وجوه عسكر القائم وزحف اليها مرة ثالثة فكان بينهما الفناء الاعظم فانْتصر فيه عسكر القائم وانهزم ابو يزيد وقُتل من اصحابه خلق كثير ورجع الى موضعه مخزيا * وزحف اليها المرة الرابعة فكان بين الفريقين القتال الشديد * واشتد الغلاء في المهديّة وخرج منها عالم عظيم من شدة الجوع * فعند ذلك فتح القائم خزائن الطعام المدخرة عنك من عهد ابيه ففرقها في جندة وعبيده * وعظم البلاء على الرعية حتى اكلوا الميتة والدواب والكلاب * وفر غالب اهل البلد حتى لم يبق مع القائم إلا جندة * والبربر كل سن وجدوة في الطريق شقوا بطنه لئلا يكون فيها ذهب وفعلوا بهم من المنكرات ما لا يحل * وكتب القائم الى كتامة واستفزه وفي اثناء ذلك تفرقت عساكر ابي يزيد لاشتغالهم بالنهب ولم يبق معه إلا اليسير فعلم القائم بذلك فتاهب للخروج لابي يزيد فخرج عسكرة والتقى مع ابي يزيد فتناوشوا الحرب ساعة ورجع كل الى موضعه واتصلت بينهما عدة وقائع والحرب تارة وتارة * ودخلت سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة وقع فيها اختلاف في عسكر ابي يزيد فتفرقت جوعه ولم يبق معه إلا ثلثون رجلا فرجع الى القيروان واسلم ما كان معه * فخرج الناس من المهديّة ونهبوا ما خلفه فصاحت حالهم ورخصت اسعارهم واخذوا جميع ما خلف من طعام وامتعة واخبية وفازات وغير ذلك * ولما وصل هوا

يزيد القيروان نزل بالقصر واسم يخرج اليه من اهل البلد احد والصبيان
يسخرون به ويضحكون منه * وبلغ القائم خبره فبعث عمالا الى البلاد
واخرجوا عمال ابي يزيد وتسامعت الناس انه هزم * ثم تقوى عزه مرة
اخرى وانتبه البرابر من كل فقه فبعث عسكريا الى تونس فدخلها بالسيف
يوم السبت لعشر خلون من صفر سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة وانتهبوها
وسبوا النساء والاطفال وقتلوا الرجال وهدموا المساجد * ولجأ كثير من
الناس الى البحر فماتوا غرقا ودخل غيرهم قناة قرطاجنة فماتوا جوعا * وبعث
القائم عسكريا الى تونس فالتقى بعسكر ابي يزيد عند وادي ملبان فاقتتلوا
فانهزم عسكر القائم ولجأ الى جبل الرصاص واعادوا القتال ثانيا فانهزم
اصحاب ابي يزيد ورجع عسكر القائم الى تونس فنهب وقتل سن بها من
النكار الخوارج واخذ لهم نحو ثلثة آلاف حمل من الطعام وذلك يوم
الاثنين لخمس خلون من ربيع الاول من السنة المذكورة ورجع الى المهديّة *
ولما سمع ابو يزيد بهذا الخبر جمع جيشا عظيما وزحف به الى تونس
فقتل سن عاد اليها من اهلها واحرق ما بقي منها وتوجه الى باجة ففعل
بها كذلك * وكان بافريقيّة من السبي والهرج ما لا يوصف
ولما وصل سبي تونس الى القيروان وثب الناس فانتزعوا السبي من ايدي
البرابر . وانتدب جمعا اخر فاجتمع له عدة اقوام ورحل الى سوسة وحاصرها
في جادى الاخير سنة اربع وثلاثين ومعه من البربر سبعة وثمانون الفا *
واقام على سوسة الى ان فوض القائم الامر الى ولده المنصور وجعله ولي
عهده في شهر رمضان سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة * وفي شوال من السنة
المذكورة توفي القائم بامر الله وتولى ولده المنصور الخلافة *

الخبر عن خلافة المنصور بالله

ابو الطاهر اسماعيل بن القائم بامر الله ابي القاسم نزار بن الامام المهدي
بويج بعد وفاة ابيه سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة ولما توفي والدته كتم موته
وبذل المال للجند وكان شجاعا قوي الجاش فصيحاً مفوها يرتجل الخطبة

ولما استوفى له الامر جد في قتال ابي يزيد وخرج في طلبه فزاله من مدينة
سوسة بعد عدة واقعات وانهمز ابو يزيد الى القيروان فمنعه اهلها من الدخول
وقتلوا سن دخل اليهم من اصحابه والتحق به المنصور الى القيروان وكانت
بينهما عدة وقائع والحرب سجال * وءاخرة انتصر المنصور بالله وهزم ابا
يزيد الى المغرب واسره بعد عدة وقائع جرت بينهما هنالك ومات ابو يزيد
بعد اسره باربعة ايام ءاخر المحرم سنة ست وثلاثين وثلثمائة فلما مات سلخ
جلده وملاء قطننا وبعث بالبشائر الى جميع عماله وقفل الى افريقية ولما
وصل القيروان خرج اليه الناس وهنوه بالفتح واطهر لهم ابا يزيد ووضع على
كتفه قردا وطيف به في الناس ثم حل الى المهديّة وصلب على السور
الى ان نسفته الرياح * وبني المنصور مدينة المنصورية بازاء القيروان فقالوا
بهذا النصر ورجع الى المهديّة واقام بها الى ان مهدها ورجع الى قصره
بالمنصورية ولم يظهر وفاة ابيه الا بعد ظفرة بابي يزيد وهناك تسمى بامير
المومنين * وفي ايامه اطاع زيري بن مناد وخدم بني عبيد هو وبنوه من
بعده وفي سنة ست وثلاثين بعث المنصور اسماعيل بن الحسن بن علي بن
الحسين عاملا على صقلية ودامت ولايته الى سنة ثلث وخمسين وثلثمائة
وبقيت في عقبه وفي سنة اربعين بعث المنصور اصطولا عظيما الى صقلية
لانهم سمع بملك الروم عازما على الحركة اليها وتوفي رحمه الله يوم الجمعة
ءاخر شوال سنة احدى واربعين وثلثمائة وعمره اربعون سنة وولايته سبع
سنين وثمانية عشر يوما وكان اكد بالعهد لولده ابي تميم معد ودفن بصبرة
في قصره رحمه الله تعالى * وكانت له مواقف مشهورة مع ابي يزيد
وباشر القتال فيها بنفسه وكادت تكون الدائرة عليه مرارا شتى لولا لطف
الله به وثبات جاشه وكان ابو يزيد قد استولى على جميع بلاد افريقية
حتى لم يبق للقائم ابيه ولا له الا المهديّة * ولما مات ابوه وابو يزيد محاصر
له اخفى موت ابيه وهو يدبر الامور ولم يظهر موت ابيه الا بعد ظفرة بابي
يزيد الحبث وكانت ايام ابي يزيد ازيد من ثلاثين سنة دمر فيها غالب

الاقليم الافريقي * والمنصور رحمه الله تعالى اربى عن ابيه وجده في الصبر وقوة الجاش والتخلق بالادب * قسسال ابو جعفر الموروردي خرجت مع المنصور يوم هزم ابي يزيد فسايرته ويده قضيب ريجان فسقط من يده فمسحته وناولته اياه وتفاءلت له وانشدته

فالقت عصاها واستقر بها النوى كما قرعنا بالاياب المسافر فقال - الا قلت ما هو احسن من هذا واصدق فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقى ما يافكون - فقلت انت ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت ما عندك من العلم وانا قلت ما عندي * وكان موته من ارق اصابه فعالجه طبيب اسحاق بن سليمان الاسرائيلي ونهسه عن دخول الحمام فلم يقبل منه ودخل الحمام فيبست الحرارة الغريزية ولازمه السهر والطبيب ملازم على معالجته والسهر باق على حاله فلما اشتد امره سال عن طبيب غيره فأتوه به فشكا اليه حاله وقلته النوم فعالجه بما ينام به فمات رحمه الله *

الخبر عن ولاية المعز لدين الله

ابو تميم معد بن المنصور بالله ابي الطاهر اسماعيل بن القايم بامر الله ابي القاسم محمد بن المهدي عبيد الله مولده بالمهدية سنة تسع عشرة وثلثمائة وبويع بعهد من ابيه في حياته وجددت له البيعة بعد وفاة ابيه في شوال وقيل في ذي القعدة سنة احدى واربعين وثلثمائة فدبر الامور وساسها واجراها على احسن احكامها وفي اليوم الاحد سابع ذي الحجة جلس على سرير ملكه ودخل اليه الخاص والعام وسلموا عليه بالخلافة وله من العمر اثنتان وعشرون سنة * وكان المعز عالما فاضلا جوادا سفحا شجاعا جاريا على منهاج ابيه من حسن السيرة وانصاف الرعية وفي سنة اثنين واربعين وثلثمائة رحل المعز الى المغرب ومعد الى جبل اوراس وجالت فيه خيوله وقاتل من به من العصاة حتى اطاعوا له وعقد الى مولاه قيصر بولاية المغرب كله وعلى اشير زيري بن مناد الصنهاجي وعلى المسيلة

واعمالها جعفر بن علي بن جردون المعروف بابن الاندلسي وعلى باغايت
واعمالها نصير الصقلي وعلى فاس احمد بن بكر وعلى سجلماسة
محمد بن واسول وقد عصى فيما بعد وتلقب بالشاكر لله وعلى قابس بن عطاء
الله الكتامي وعلى مدينة سرت باسيل الصقلي وعلى اجدابيت ابن كافي
الكتامي وعلى برقة واعمالها افلح الناسب وعلى خراج افريقية صولة
الكتامي واستوفت له امور البلاد كلها وهاداه ملك الروم * وفي سنة خمس
واربعين وثلاثمائة ارتفعت رتبة جوهر الكاتب وصار في رتبة الوزارة وجعل
مظفر الصقلي على اعنة الخيل وتحت يده من رقادة الى اعمال مصر يدبرها
ويجي اموالها * وفي سنة سبع واربعين وثلاثمائة في صفر بعث عسكرا
ضخما وولى عليه غلامه جوهر المذكور وكان جوهر رجلا حازما وامره ان
ياخذ من كل بلدة عددا معروفا فخرج جوهر بامم لا تحصي فدخل مدينة
افكان فنهبها وامر بهدمها وسار الى مدينة فاس وحاصرها فلم يفتحها ورحل
الى سجلماسة واسر صاحبها محمدا وكان قد خطب لنفسه وتسمى بالشاكر
لله ثم مضى لا يدافع احد له ان بلغ الى البحر المحيط وامر بصيد السمك
وجعله في قماقم بالماء وارسله الى مولاه المعز وكتب اليه كتابا وجعل فيه
من ضريع البحر ورجع الى فاس فنزل عليها وحاصرها وفتحها واخذ صاحبها
وقيده وجعله مع صاحب سجلماسة وجعل لهما قفصين من خشب وجعل
كل واحد في قفص وجعلهما على الجمال وقفل الى افريقية بعد ما دوح المغرب
وخطب لمولاه في سائر بلاد المغرب ما عدا سبتة وكانت غيبته ثلثين شهرا
ووصل الى المنصورية فطيف بصاحب فاس وصاحب سجلماسة في البلد
وسجنا واستوت للمعز البلاد ودانت له العباد ولم يبق بلد الا اجتمعت فيه
دعوته ودخل تحت طاعته الفواطم الذين في اقصى المغرب وبعث الى
صقلية الحسن بن عمار بن علي بن الحسين وتوفي بها سنة ثلث وخسين
وثلاثمائة وبعث المعز الى ذلك احمد بن الحسين بولاية صقلية وفي سنة
اربع وخسين خرج المعز مستشرفا على البلاد ومتمنزا وبلغ الى تونس وقرطاجنة

ورأى عجائبها ثم ارتحل إلى غيرها وأقام ثمانين يوما في غيبته ثم رجع إلى المنصورية * فلبست وهي المعبر عنها بصبرة إلى زماننا هذا * وفي سنة خمس وخمسين وثلثمائة أمر بحفر الآبار في طريق مصر وإن يبني له في كل موضع قصر وفي آخر جادى الثانية من السنة المذكورة جاءه الخبر بوفاة كافور صاحب مصر وفيها وجه مولاه جوهر إلى المغرب في عسكر عظيم فمهد البلاد وحشد سائر الأجناد وقبائل كتامة وجبى ما على البربر ورجع إلى مولاه سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وخرج المعز بنفسه إلى المهديّة وأخرج من قصور أبيه خمسائة حل دنانير ورجع إلى قصره ولما كان في يوم السبت لاربع عشرة خلون من ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وثلثمائة رحل القائد جوهر في عسكر عظيم من البربر وكتامة والزويليين والجند بعد ما وسع المعز عليهم بالارزاق والعطايا وانفق فيهم مالا جزيلا وأعطى من ألف دينار إلى عشرين دينارا حتى عمهم كلهم بالعطاء * وسار القائد جوهر في عدد يقصر عنه الوصف ومعه ألف حل من المال وأما الخيل والعدد والسلاح فلا تحصى * ودخل جوهر إلى مصر يوم الثلاثاء لاثني عشرة ليلة بقيت من شعبان من السنة المذكورة وصعد المنبر لعشر بقيت من شعبان ودعا لمولاه المعز * وفي النصف من رمضان وصلت النجف بالبشارة إلى المعز وصورة الفتح فعمه السرور وصار في كل وقت تصل إليه كتب القائد جوهر يحثه على الرحيل إلى مصر وإن الشام والحجاز تحت طاعته وقامت له الدعوة في تلك البلاد * وفي سنة ستين وثلثمائة وصل جعفر بن القائد جوهر بهديّة من عند أبيه وفيها من أواني الذهب والفضة والعماريات والسروج المحلات وأحمال الامتعة وصنوف الثياب وظرائف المشرق وذخائر الملوك ما لا يوصف ومعه القواد الذين حكم عليهم جوهر عند تملكه مصر فاقبل عليهم المعز وعفا عنهم وجلس لهم في زي عجيب وجعل التاج على رأسه ودخلوا عليه فسلم عليهم ولاطفهم وأكرمهم غاية الأكرام * وفي شوال سنة إحدى وستين عزم على المسير إلى مصر ورحل من المنصورية

واقام بسردانية ولحقه عماله واهل بيته وجع ما كان له في قصوره وكان
مقامه بسردانية اربعة اشهر وسردانية قريبة من القيروان وكانت قصورهم
وبساتينهم بها * وفي اول صفر رحل منها واطلق النار في زربها ولما حاذى
صبرة قال - سلام عليكم من مودع لا يرد ابدا * وخلف على افريقية
بلكين بن زيري الصنهاجي وكتب له بولاية المغرب كله وسياتي
خبره بعد ان شاء الله تعالى وكان بلكين فارقه من عمل قابس ورحل المعز
من قابس يوم الاربعاء عاشر ربيع الاول من السنة المذكورة ودخل
طرابلس يوم الاربعاء الرابع والعشرين من الشهر ورحل عنها يوم السبت
لثلاث عشرة بقين من ربيع الثاني فوصل الى سرت في الرابع من جادى
الاولى ورحل عنها ونزل بقصره الذي بني له باجدابية ورحل من اجدابية
فنزل بقصره المعروف بالمعزية في برقة وتم في سيرة منها الى ان وصل
الاسكندرية فنزل تحت منارها واتاه اهلها فسلموا عليه ولما دخل عليه
قاضي الاسكندرية سلم عليه ولم يسلم على ولي عهده فقال له المعز يا قاضي
هل حججت قال نعم يا امير المؤمنين فقال له هل سلمت على الشيخين قال لا
فقال له ولما ذا قال شغلني السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما
شغلني السلام على امير المؤمنين حين لم اسلم على ولي عهده فاعجب المعز
منه * وساله مرة اخرى فقال له هل رايت خليفة قط قال واحدا يا امير
المؤمنين فقال له ومن هو قال انت والباقون ملوك فسر بكلامه ودخل
الاسكندرية ومشى في منازلها ودخل الحمام بها * ثم رحل عنها ووصل الى
مصر يوم السبت لليلتين مضتا من شهر رمضان واقام هناك ثلثا واخذ العسكر
في التعدية باثقالهم وانزل الناس في مصر والقاهرة وغالب العسكر في الفازات
والمضارب بين مصر والقاهرة ، والقاهرة هي التي بناها القائد جوهر لاجل العسكر
لما ضاقت بهم مصر فسميت باسم استاذة المعز فيقال القاهرة المعزية وهي
التي فيها القلعة والجامع الازهر ومصر في ذلك الوقت هي مصر العتيق لان
ويقال لها الفسطاط بنيت في زمن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه

وامسا مصر فرعون فيقال لها منى والله اعلم * ويوم الثلاثاء لخمس خلون من رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة عبر المعز النيل ودخل القاهرة ولم يدخل مصر وتلقاه القائد جوهر عند الجسر الثاني فترجل عند لقائه وقبل الارض بين يديه ولما دخل القاهرة دخل القصر الذي كان معدا له فدخل مجاسا وخر ساجدا لله تعالى ثم صلى ركعتين وفي العشر الاخيرة من المحرم سنة اربع وستين عزل المعز القائد جوهر عن دواوين مصر وجباية اموالها وكان في المعز مدل وانصاف وكان ينظر في النجوم * والمعز لدين الله هو آخر الخلفاء العبيديين بالمغرب واول الخلفاء منهم بمصر واسكن الجند بالقاهرة واقتسموا منازلها وسكنت كل طائفة بمكان معروف بها فيقال حارة زويلة الى يومنا هذا ينسب اليها باب زويلة من اجل الزويليين سكنوا هناك وحارة كتامة والبرقية وعدة حارات بها باقية الى اليوم باسمائها وتوفي المعز لدين الله بمصر في سابع عشر ربيع الاول سنة خمس وستين وثلاثمائة وعمره خمس واربعون سنة وقيل ست واربعون وكانت خلافته ثلثا وعشرين سنة وخمسة اشهر وايام مقامه بمصر سنتان وتسعة اشهر وبقيتها ببلاد المغرب * وسبب موته ان ملك الروم ارسل اليه رسولا عدة مرار وتردد اليه بافريقية ومصر فخلا به بعض الايام وكان اسمه نكولته فقال له المعز لدين الله اتذكر اذ اتيتني وانا بالمهدية فقلت لك لتدخلن علي بمصر وانا ملك عليها قال نعم فقال له وانا اقول لك لان لتدخلن علي ببغداد وانا خليفة فقال الرسول ان امتني على نفسي ولم تغضب اقول لك ما عندي فقال له قل ما عندك وانت غامن قال بعثني اليك الملك ذاك العام فوصلت الى صقلية فلقيني غلامك بجيشه فرايت منه العجب ثم جئت الى سوسة فرايت بها من جندك وضخامته ما اذهل عقلي ثم سرت الى المهديّة فما كدت اصل اليك من كثرة اجنادك وخدمك وكثرة اصحابك فكدت اموت ووصلت الى قصرك فرايت نورا غطي بصري ثم دخلت عليك وانت على سريرك فرايت عظمتك فظننتك خالقا لا مخلوقا فلو قلت

لي اذك تعرج الى السماء لتتحقق ذلك ثم جئت اليك لان فما رايت من ذلك شيئاً ولما اشرفت على مدينتك هذه كانت في عيني سوداء مظلمة ثم دخلت عليك في قصرك فما وجدت عليك مهابة مثل ذلك العام فقلت ان ذلك كان مقبلاً وانه لان بضد ما كان عليه فاطرق المعز راسه وخرج الرسول من عنده واخذت المعز الحمى لشدة ما وجد وثقل مرضه واتصل به حتى مات رحمة الله عليه وعهد لولده ابي منصور نزار المتلقب بالعزيز بالله *

الخبر عن خلافة العزيز بالله

ابو منصور نزار بن المعز لدين الله ابي تميم معد بن المنصور ابي الطاهر اسماعيل بن القائم بامر الله ابي القاسم محمد بن المهدي عبيد الله مولده يوم الخميس رابع عشر المحرم سنة اربع واربعين وثلثمائة بالمهدية وولي الامر بعد وفاة ابيه في ربيع الاخير سنة خمس وستين وكان شجاعاً حسن العهد اديباً فاضلاً خطب له بمصر والشام وافريقية وفتح حصن وجا وحلب والموصل وخطب له باليمن وكان استناب بالشام يهودياً اسمه ميسما واستكتب عيسى ابن نسطور النصراني فاعتز بهما النصراني واليهود * فيكتب اهل مصر قصة وجعلوها في يد تمثال من قراطيس وفيها - بالذي اعز اليهود بميسما والنصارى بعيسى واذل المسلمين بك الا ما كشفت ظلماتي - فلما راي الرقة امر باخذها وقراها فعلم ما اريد بذلك فقبض عليهما واخذ من ابن نسطور ثلثمائة الف دينار ومن اليهود شيئاً كثيراً * وصعد المنبر يوماً فراى ورقة مكتوباً فيها بالظلم والجور قد رضينا * وليس بالكفر والحماسة

ان كان ما تدعيه حقاً * بين لنا كاتب البطاقة

لان العزيز كان يدعي علم الغيب وذلك انه كانت له عجائز يسرقن الاخبار من الدور ويأتينه بها فكان يقابل الناس ويقول ما بال احدكم قال كذا وفعل كذا فيتهم السامع ويظن ان ذلك عن سر اعطيه ويزعم هو انه يعلم المغيبات ولا يعلم الغيب إلا الله * وكان خليفته بافريقية خليفة ابيه بلكين ووزيرة يعقوب بن كلثوم كان يهودياً واسلم وكان

من عجائب الدهر وخبرة مشهور في غير ما موضع ولولا الاختصار لذكرنا جميع اخباره * وكتب العزيز بالله الى الحاكم صاحب الاندلس كتابا يسبه فيه فاجابه الحاكم قد عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك هجوناك يعني به انه دعى في نفسه وقيل ان الحكاية بالعكس والله اعلم بذلك ومات بمدينة بايس من امراض لحقت به الثقرس والقولنج وله من العمر اثنتان واربعون سنة في ثامن عشر رمضان سنة ست وثمانين وثلثمائة رجة الله تعالى عليه *

الخبر عن خلافة الحاكم بامر الله

ابو علي منصور بن العزيز بالله بن المعز لدين الله بن المنصور بالله بن القائم بامر الله بن المهدي عبيد الله مولده ثالث ربيع الاول سنة خمس وسبعين وثلثمائة وبويع بالخلافة بعد وفاة ابيه سنة ست وثمانين وثلثمائة وعمره عشر سنين وقيل احدى عشرة اخذ له البيعة برجوان خادما ابيه وكان خصيا ابيض اللون وهو الذي دبر دولة الحاكم بامر الله وبالغ في النصيحة له وقتله الحاكم بعد ذلك وبرجوان له بمصر حارة مشهورة الى يومنا هذا يقال لها حارة برجوان * وكان الحاكم متناقض الاخلاق يامر بالشيء ثم ينهى عنه واخباره في ذلك شهيرة وكان سفاكا للدماء قتل عددا كثيرا من اهل دولته ومات في ذي القعدة سنة احدى عشرة واربعمائة وعمره سبع وثلاثون سنة وايام خلافته خمس وعشرون سنة * وقيل ان اخته دبرت في قتله لامور ظهرت منه فامرت سن اغتاله وكان ينفرد بنفسه ويركب حارة ويطوف في الاسواق ويقيم الحسبة بنفسه * فاتفق ركوب الحاكم الى جبل جلوان وكان قد كمن له فيه سن قتله هناك واتوا به الى اخته سرا فدفتته * وكان بعض شيعته من المغاربة يزعمون انه يعود فكانوا اذا راوا سحابة في الجو سجدوا لها زعما منهم انه في السحاب * وقيل انه اراد ان يدعي الالهية - تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا - واخذت اخته البيعة له ولده ابي هاشم علي الظاهر لاعزاز دين الله *

الخبر عن خلافة الظاهر لاعزاز دين الله

ابو حاشم علي بن الحاكم بامر الله ابي علي منصور بن العزيز بالله ابي منصور نزار بن المعز لدين الله ابي تميم معد بن المنصور بالله ابي الطاهر اسماعيل بن القائم بامر الله ابي القاسم محمد بن المهدي عبيد الله مولده في رمضان سنة خمس وتسعين وثلثمائة بويج له يوم عيد النحر سنة عشر واربعمائة وكان جيل السيرة حسن السياسة منصفاً للرعية يحب الدعة والراحة * وفي ايامه طمع سن طمع في اطراف بلاده وتضعفت دولته ومات في منتصف شعبان سنة ست وعشرين واربعمائة وايام خلافته خمس عشرة سنة وتسعة اشهر وايام وبلغ عمره ثلثا وثلثين سنة وقام بالامر بعده ولده المستنصر بالله ابو تميم *

الخبر عن خلافة المستنصر بالله

ابو تميم معد بن الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم بامر الله مولده بالقاهرة المعزية سنة عشرين واربعمائة بويج بعد وفاة ابيه في شعبان سنة سبع وعشرين واربعمائة وجرى في ايامه ما لم يجر في ايام احد من اجداده منها الغلاء الذي وقع في ايامه حتى اكل الناس بعضهم بعضا * ومنها انه خطب له ببغداد سنة ولم تكن لغيره قبل وذلك سنة خمس وثلثين * ومنها قيام الطليحي باليمن وخطب له على منابرهما * ومنها انه لم تزل دعوتهم بالمغرب من اول امرهم الى ايامه قطعها المعز بن باديس الصنهاجي وسياتيه خيرة * وخطب له بالكوفة وواسط والموصل * ومنها انه ولي وهو ابن سبع سنين واقام في الخلافة ستين سنة وهذا شيء لم يبلغه احد من اهل بيته ولا من بني العباس * واقام الغلاء في ايامه سبع سنين حتى اتوجهت امه وبناته لبغداد من شدة الجوع وبيع الرغيف الواحد بخمسين دينارا وكان في هذه الشدة يركب وحاً وحاشيته مترجلون وربما استعار دابة يركبها صاحب المظلة من عند كاتب الاشياء ابن هبة الله وقاسى شدائد واستوزر بدر الجمالي وحسنت احواله فيما بعد وكانت وفاته في ثامن عشر ذي

الحجة سنة سبع وثمانين واربعمائة وعمره ثمان وستون سنة وهو اطول
العبيديين مدة واقام بالامر من بعده ولده المستعلي بالله *
الخبر عن خلافة المستعلي بامر الله

ابو القاسم احمد بن المستنصر بالله بن الطاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم
بامر الله بن العزيز بالله بن المعز لدين الله بن المنصور بالله ابي الطاهر بن
القائم بن المهدي عبيد الله مولده في المحرم سنة تسع وستين واربعمائة
بالقاهرة ولي الامر بعد ابيه سنة سبع وثمانين واربعمائة ولمن من العمر
احدى وعشرون سنة * وفي ايامه اخذ الافرنج انطاكية والعرقة والقدس
ووهنت دولتهم ولم يكن له مع الافضل ابن امير الجيوش حكم وانقطعت
دعوتهم من بلاد الشام وتغلب عليها الاتراك ومات في صفر سنة خمس
وتسعين وبلغ عمره تسعا وعشرين سنة وكانت خلافته ثمانين سنين واياما
واستخلف بعده ولده ابو علي *

الخبر عن خلافة الامر باحكام الله

ابو علي منصور بن المستعلي بالله ابي القاسم احمد بن المستنصر بالله
ابي تميم معد بن الطاهر لاعزاز دين الله ابي هاشم علي بن الحاكم بامر الله
ابي علي منصور بن العزيز بالله ابي منصور نزار بن المعز لدين الله ابي
تميم معد بن المنصور بالله ابي الطاهر اسماعيل بن القائم بامر الله ابي القاسم
محمد بن المهدي ابي محمد عبيد الله مولده في المحرم سنة تسعين واربعمائة
بويج له بالخلافة سابع عشر صفر سنة خمس وتسعين وهو ابن خمس سنين
ولم يقدر على الركوب وحده لصغر سنة ودبر دولته الافضل ابن امير
الجيوش * ولما اشتد الامر باحكام الله قتل امير الجيوش المتقدم ذكره
والافضل هذا لقبه شاهنشاه واسمه ابو القاسم بن امير الجيوش بدر الجمالي
الارمني قتل سنة خمس عشرة وخسمائة * والامر هذا كان قبسح السيرة ظلم
الناس واخذ اموالهم وسفك الدماء وارتكب القبايح * وفي ايامه علك
العدو كثيرا من بلادهم ومات سنة اربع وعشرين وخسمائة في صفر ولم

يكن اعرق منه نسبا في خلافة العبيديين لانه العاشر في الخلفاء على
نسق واحد ابا عن جد وتوفي قتيلا ايضا وتولى الخلافة بعده ابن عمه
الحافظ لدين الله *

الخبر عن خلافة الحافظ لدين الله

هو ابو الميمون عبد المجيد بن محمد بن المستنصر بالله بن الظاهر لايعزاز
دين الله بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي
مولده سنة سبع وستين واربعمئة وتولى يوم قتل ابن عمه في صفر سنة
اربع وعشرين وخسمائة وغلب على امره ابو علي احمد بن الافضل شاهنشاه
ابن امير الجيوش الجمالي وبقي الحافظ صورة معه من تحت حكمه وحبيه
وآخر الحال دس الحافظ على الوزير قتل واحد من الخاصة فبادر الاجناد
الى الحافظ واخرجوه من السجن وبايعوه مرة اخرى * وكان الحافظ ملازمه
مرض القولنج فصنع له شيرماه الديلمي طبل القولنج وكان مركبا من المعادن
السبعة والكواكب السبعة في اشرافها فاذا ضرب به صاحب القولنج خرج
منه ريح متتابعة فيستريح * وهذا الطبل وجده صلاح الدين في خزائهم
عند تملكه الديار المصرية * ومات الحافظ في جادى الاولى سنة اربع
واربعين وخسمائة فكانت خلافته عشرين سنة ولم من العمر بضع
وسبعون سنة وتولى بعده ولده اسماعيل بوصيته من ابيه وتلقب
بالظافر بالله *

الخبر عن خلافة الظافر بالله

ابو منصور اسماعيل بن الحافظ لدين الله ابي الميمون عبد المجيد بن
المستنصر بالله بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن
القائم بن المهدي عبيد الله مولده منتصف ربيع الاول سنة سبع وعشرين
وخسمائة بويع بالامر بعد ابيه وقتل في نصف المحرم سنة تسع واربعين
لاشياء اضربنا عنها لاجل الاختصار وهي مشهورة في كتب التواريخ وبويع
ولده ابو القباسم عيسى وتلقب بالفائز بنصر الله *

الخمسبر عن خلافة الفائز بنصر الله

ابو القاسم عيسى بن الطافر بالله بن الحافظ لدين الله بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله بويغ بالخلافة يوم قتل والده في المحرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة وله من العمر خمس سنين ولما أراد الوزير مبايعته أدخل الجند وقال هذا ابن مولاكم فبايعوه * وكان الوزير هو الذي قتل أباه فلما رآه الأجناد ضجوا بالبكاء في وجه الفائز وكان على كتف الوزير ففرع الطفل من ذلك وصار يعتريه الصرع والاضطراب إلى أن مات في رجب سنة خمس وخمسين وخمسمائة وهو ابن عشر سنين فكانت خلافته خمس سنين رحمة الله تعالى عليه *

الخمسبر عن خلافة العاضد لدين الله

أبو محمد عبد الله العاضد بن يوسف بن الحافظ لدين الله بن المستنصر بالله بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم ابن المهدي عبيد الله مولده سنة ست وأربعين وخمسمائة بويغ بعد وفاة الفائز بنصر الله في رجب سنة خمس وخمسين وخمسمائة واستولى على وزارته الملك الصالح طلائع بن رزيك فكان العاضد كالمهجور عليه * وكان رافضيا خبيثا * وفي أيامه دخل شاور بالغز من الشام وقتل طلائع ومات قتيلًا في أثناء ذلك شاور على يد أسد الدين شيركوه أرسله نور الدين إلى مصر وبعده تولى الوزارة ابن أخيه الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب بن شادي وتمكن من المملكة وبقي معه العاضد صورة إلى أن خلع * وخسب طرب في حياته لبني العباس والخليفة العباسي في ذلك الوقت الإمام المستضيء بأمر الله في بغداد وذلك في حياة العاضد وكان مريضًا فلم يعلم بشيء من ذلك ومات يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة وانقرضت دولتهم من سائر البلاد فسبحان من لا يفنى ملكه * قال ابن خلكان سمعت من أهل الديار المصرية أن العبيديين

في اول امرهم قالوا لبعض الكتاب اكتب لنا القابا تصلح للخلفاء حتى اذا ماتولى احد خليفة لقب بشيئ منها فكتب لهم ورقة فيها عدة القاب و اخرهم العاضد فكان هذا العاضد و آخر خلفائهم * وكانت ايامهم مائتي سنة وستين سنة منها في مصر مائتا سنة وثمان سنين واثنان وخمسون سنة بالمغرب و عدة خلفائهم اربعة عشر خليفة اولهم المهدي و اخرهم العاضد * و ما اطلنا الكلام عليهم إلا لارتباط اخبارهم واتمام الفائدة وانما غرضنا ان نذكر سن ملك افريقية لا غير * و ما كان اول ملكهم بافريقية وكان ظهورهم بالخلافة منها ورحلوا عنها للديار المصرية جذبتنا مسافة الاخبار عنهم الى نهاية ايامهم ولولا خيفة التطويل لاتينا من اخبارهم بما فيه الغرض و اخبارهم مطولة في غير هذا * و منهم من صحح نسبهم واثبتهم و منهم من ذم فيه ورفضهم ولا يعلم الغيب إلا الله و بقيت لنا نبذة من اخبارهم فاتي بها في و آخر الفصل الذي بعد هذا في محله ان شاء الله تعالى *

الباب الخامس

في الامراء الصنهاجيين

هذا الباب نذكر فيه ملوك صنهاجة وان كانوا في الحقيقة عمالا لبني عبيد فانهم بلغوا درجة الملوك وكانت لهم ضخامة وصيت وغالب اهل تونس لا يتحققون ولايتهم وانا استغفر الله اقول ان ايامهم ودولتهم اقوى من دولة بني حفص إلا ان بني حفص خطب لهم بامراء المومنين ولم يخطب لصنهاجة بهذا الاسم وزادت ايامهم على مايتي سنة واستقلوا بالامر في افريقية حين سار المعز لدين الله الى مصر فاستعمل على عمله ابا الفتح يوسف بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي وصنهاجة قبيلة من البربر وقيل صنهاجة فخذ من ولد عبد شمس بن وائل بن حير وان الملك افريقش بن وائل بن حير وقيل افريقس بن ابرهة بن ذي القرنين لما ملك حيرا وغزا المغرب وبنى مدينة افريقية خلف فيها من قبائل حير وزعمائها

صنهاجة وقدمهم على البربر ليدبروا امرهم وياخذوا خراجهم وقيل صنهاجة
ابو صنهاجة بن حصين بن سبا لصلبه وقيل هم فخذ من هواره وهواره فخذ
من حير وصنهاجة تنقسم على سبعين قبيلة منهم لتونة الذين ملكوا بلاد
المغرب وسياتي من اخبارهم شيء ان شاء الله تعالى وفي هذا القدر كفاية *
واول اتصال زيري بالمصور لما دخل المغرب في طلب ابي يزيد الخارجي
ودخل بلاد صنهاجة سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة هناك وافاه زيري بعساكرة
واهل بيته ودخل في طاعته فخلع عليه ووصله بصلته ونصب له فاقة وقلع
سيفا وطقد له على اهل بيته وسن اتصال به من اهل صنهاجة والبربر وعظم شأنه
وحضر مع المعز لدين الله عند دخوله للمغرب سنة اثنيتين واربعين وثلاثمائة
واستعمله على اشير وما والاها وكان حازما شجاعا شديد البأس وحضر
مع جوهر لما دخل المغرب في سنة ست واربعين وثلاثمائة على فاس وجوهر
محاصر لها فكان زيري سببا لفتحها فزادت رتبته في الدولة وزاده جوهر
ولاية تيهرت فضمها الى عمله واتسعت ولايته وكان بينه وبين جعفر
ابن علي المنعوت بالاندلسي وكان عاملا على المسيلة ضغائن في النفوس
بسبب الولايات * وجعفر هذا ابوه الذي بنى المسيلة وانضاف الى جعفر
عمل الزاب عن بلاد المغرب . وكان طائعا للدولة العبيدية ويخطب لهم في
بلادهم وكان يعد من الملوك * ولما هزم المعز لدين الله على التوجه الى الديار
المصرية بشاع بين الناس ان المعز يريد ان يستخلف يوسف بن زيري
على جميع بلاد افرقيية فعظم ذلك على جعفر بن الاندلسي وانفق ان المعز
ارسل الى جعفر يامره بالقدوم اليه وكرر ذلك مرارا فاطهر جعفر انه قاصد
له فخرج من المسيلة وفر الى زناتة فقبلوه وملكوه على انفسهم فخلع طاعة المعز
فلما بلغ الخبر الى زيري بادى بالخروج الى جعفر في عدد من صنهاجة
فالتقى معه وكانت وقعة عظيمة فتكبا بزيري فرسه فقتل ومات قدامه
خلق عظيم . وبعث جعفر بن علي اخاه يحيى الى الاندلس والخليقة بها
الحاكم الاموي يبشره بقتل زيري * ولما علمت زناتة ان يوسف بن

زيري يطالبهم بدم أبيه اضمرت الغدر لجعفر وعزموا على امساكه فلما احس بذلك فر الى الاندلس باهله واولاده فقبله الحاكم واجرى عليه الوظائف السنية وبقي عنك في اعلى مكان مدة ثم نقم عليه الحاكم ونكبه ثم افرج عليه بعد ذلك وعاد الى رتبته ولم يزل هنالك الى ايام الوزير ابن ابي عامر فقتله سنة سبع وستين وثلاثمائة وبعث براسه الى بلكين * وكان زيري المذكور حسن السياسة والتدبير في الرعية والتشديد على البرابر ما راي الناس مثل ايامه في المغرب واقام على حسن السيرة ستا وعشرين سنة * ولما مات كما ذكرنا وبلغ الخبر الى ذلك بلكين وهو باشير وكان هو المقدم عند البعذ يعظمه على جميع اخوته جمع اهل بيته وعبيك واختار من جنك سن احب وخرج طالبا لثارا ييه . فادرك زناثة وكانت له فيهم فتكات فقتلهم قتلا ذريعا وسبى نساءهم واطفالهم واجلاهم من البلاد * فبلغ الخبر الى البعذ فسر ما فعل وارسل اليه يامره برد السبي والقدم عليه فقدم على المعز بعد ما استخلف على عمله سن يثق به ومهد قواعد بلاده ونفذت كتبه الى عماله من يوسف بن زيري خليفة السلطان * ولم يترك في المغرب عند احد من البرابر فرسا ولا جلا ولم يترك الا سن يحرق ويحصد وقدم الى المنصورية وقد شاع بين الناس انه المستخلف في افر يقية فهادته على قدر مراتبهم وكثرة اموالهم وزادت مكانته * ولما وصل الى المعز جلس له في الايوان وادخل عليه فقبله احسن قبول وتحدث معه وشكر افعاله وقتلك سيفه وخلع عليه خلعة من لباسه وقاد بين يديه اربعين فرسا بسروج النخب المثقلة واربعين تحتا بالثياب الفاخرة وخلع على جميع اصحابه واكرمهم غاية الاكرام * ومن هنا نذكر توليته وبنيه من بعك * وما قدمنا هك النبك الا لتوطئة لخبرهم وليعلم الناظر في هك الاوراق مبتدا امرهم الى ان ياتي على اخرهم ان شاء الله تعالى لا رب غيره ولا خير الا خيرة *



الخبر عن ولاية الامير بلكين

هو يوسف بن زيري الصنهاجي ابو الفتوح بلكين فوض له الامر بافريقية والمغرب كافة ما عدا طرابلس وصقلية لم يدخلها في عمله وذلك يوم الاربعاء لسبع بقين من ذي الحجة سنة احدى وستين وثلاثمائة عند رحيل المعز لدين الله الى المشرق وكتب له سجلا وامر الناس بالسمع له والطاعة وسار معه الى قابس وكل يوم يوصيه ويؤكد عليه ولما اراد وداعه قال له - يا يوسف ان نسيت ما اوصيتك به فلا تنس ثلثا لا ترفع الجبايا عن البادية ولا ترفع السيف عن البرابرة ولا تول احدا من اهل بيتك فانهم يرون انهم احق بهذا الامر منك واوصيك خيرا باهل الحاضرة - وودعه وانصرف راجعا الى المنصورية فدخلها يوم الخميس لاحدى عشرة خلت من ربيع الاول سنة اثنتين وستين وثلاثمائة فنزل بقصر السلطان بصيرة وخرج اليه اهل القيروان فهنؤوا واطهروا السرور بقدومه واقام هنالك شهرين وبعث العمال والولاة الى جميع البلاد ونفذت اوامره في فريقية والمغرب * ولما مهد الامور بافريقية رحل الى المغرب في شعبان سنة ثلث وستين وثلاثمائة * وفيها عصى اهل تيهرت فنزل عليها وظفر باهلها فسبى الذرية ونهب الاموال وبلغه الخبر عن زناات انهم نزلوا على تلمسان وملكوها فرحل اليهم ففروا امامه وفتح تلمسان * وبعث اليه المعز كتابا يامره الا يتباعد عن افريقية ولا يتوغل في الدخول الى المغرب * وفي ايام امارته قام بالمغرب زيري بن عطية الزناتي فملك فاس وسجلماسة وما جاورهما وخطب فيهما لبني امية فسار اليهما بلكين بعساكر ضخمة ففتحهما وظرد عمال بني امية * ونسازل مدينة سبتة وحاصرها اياما ثم رحل منها واتى الى البصرة فنهبها * قتلت البصرة التي بالمغرب هي التي يقال لها اصيلت في زماننا هذا * وبعث هدية الى مصر سنة خمس وستين وثلاثمائة فبلغه خبر موت المعز وولاية ولده العزيز فرد الهدية من طرابلس ستائف هدية اخرى وسيرها باسم العزيز فكانت اول هدية قدمت عليه *

فكتب العزيز تجديدا بولايته على المغرب وبعث له سجلا ودرهما من
السكة التي ضربت باسمه اي باسم العزيز بالله صاحب مصر * وبعث
بلكين الى العزيز بالله يطلب منه - سر - واجدابية - وطرابلس - وان
يصيغها له عمله فانعم عليه بها وبعث بلكين اليها عماله وغزا بني فوطنة
فكانت بينهما حروب انتصر بلكين فيها وسبى منهم سبايا لم يدخل لافريقية
اعظم منها وتوغل في المغرب حتى لم يبق له به منازع . وهربت زناتة امامه
حتى دخلوا الرمال في الصحراء وخالفته اهل سبتة فدفعه منصور بن ابي
عامر عنها بان بعث اليه براس جعفر بن الاندلسي الذي قتل اباة زيري
وتقدم ذكره وكانت مكاتب معد الذي هو المعز بالله تصل اليه من مصر
الى مدينة فاس * وفي سنة سبعين وثلاثمائة بعث ولده المنصور الى القيروان
لتجهيز هدية الى مصر فوصل الى رقادة واقام بها مدة وبعث بالهدية
وكانت اول هدية خرجت على يده واول وصوله الى القيروان لانه لم يكن
دخلها قبل ذلك لان ولادته كانت في اشير واقامته بها ولم يدخل الى
افريقية الا في هذه السنة ورجع الى المغرب وفي سنة ثلث وسبعين وثلاثمائة
خرج ابن حزون وضرب على سجالسة فنهبا فوصل الخبر الى بلكين *
فرحل اليه بلكين فاصابه في طريقه قولنج فمات في مكان يقال له واركلان
لسبع بقين من ذي الحجة بعد ما اسند وصيته الى ولده المنصور رحمه الله *

الخبر عن ولاية المنصور بن بلكين بن زيري

استقل بالامر بعد وفاة ابيه وكان ببلد اشير فاخذ البيعة عن الاجناد
واطاعه الخاض والعام وخرجت الاوامر عن امرة وبعث الى العمال ونفذت
كلمته وكان رجلا عاقلا عفيفا عن الدماء يحب الرفق بالامور فجلبت الناس
على محبته ومهد الامور بتدبيرة وجلب القلوب باعطائه وتبذيرة ووفدت
اليه العمال بالهدايا فقبلهم احسن قبول وعظمهم بالعطايا وخرج من القيروان
القضاة والامناء ووجوه الناس قدر مائتي رجل لتنهيته بالملك وتعزيزه في
ابيه فوصلوا اليه باشير فوجدوه خارج البلد على جبلها فسلموا عليه وقبلوا

يده ودعوا له ففرح بهم وانزلهم منزلا حسنا * وفي ثاني يوم من وصولهم
جلس لهم مجلسا عظيما ودخلوا عليه وهو في زي عجيب من ضخامة الملك
واقف حوله الصقالبة والاجناد واظهر لهم من ابهة الولاية ما ابهر عقولهم
وقال لهم - يعز علي حركتكم في هذا الزمان إلا ان سروري بروتكم
احب الي من الدنيا وما فيها - وامر لهم بعشرة آلاف دينار ففرقت
فيهم وفي خامس يوم من وصولهم امر بهم فدخلوا عليه فلاطفهم ومما قال لهم
- ان ابي وجدي كانا ياخذان الناس بالقهر وانا لا آخذ احدا إلا بالاحسان
ولا اشكر على هذا الملك إلا الله سبحانه وتعالى - ثم امر لهم بالانصراف
الى بلادهم واولى عبد الله الكاتب جميع افريقية والنظر في جميع امورها على
ما كان عليه في ايام ابيه * وفي سنة اربع وسبعين وصل المنصور الى
رقادة فتلقاء اهل القيروان باجمعهم فسر بهم ووعدهم وعدا جيلا وانتبه العمال
من كل بلد بالهدايا واهدى اليه عامله على القيروان ما لا يدخل تحت
حصر * وامر بتجهيز هدية الى مصر وهي اول هدية بعث بها الى نزار
من قبله بعد وفاة ابيه ولكن وكانت قيمتها الف الف دينار وصام
رمضان برفادة وامر ببناء مصلى للعيد فيها وخرج يوم العيد للصلاة في
زي عجيب بسرج مكلل بالدر والياقوت * وفي اخر ذي الحجة رجع
الى المغرب وصحبته عيد الله الكاتب تخليفته على القيروان وخلف ولده
يوسف بن عبد الله المذكور وسلم اليه اعمال افريقية قاطبة وفي هذه
السنة يعني سنة اربع وسبعين وثلاثمائة ازداد للمنصور ولده باديس وكنيته
ابو مناد لاحدى عشرة خلون من ربيع الاول من السنة المذكورة * وفيها
بعث حركا مع اخيه يطوفت الى فاس وسجلماسة لتقلب زيري بن عطية
الزناتي عليهما فالتقى العسكران فكانت بينهما مقتلة عظيمة وانهمز حرك
المنصور وبلغ اخوه منهزما الى اشير فلم يتعرض المنصور بعد ذلك الى بلاد
زناتة * وفي سنة ست وسبعين بنى قصرا له بصيرة فيبلغ الانفاق عليه
ثمانمائة الف دينار وخرس حوله الاشجار من كل ناحية * وفي هذه السنة

قتل عبد الله الكاتب وولده يوسف واعطى اعمال افريقيته لمولاة يوسف
ابن ابي محمد وفيها دخلت عمال المنصور الى بلد كسامة وجبوا منها الاموال
ولم تكن قبل ذلك تدخل اليها * وفيها بعث نزار الخليفة بمصر
هدية الى المنصور وفيها خالف عليه عمه ابو اليهار ببلد تيهرت فزحف
اليه المنصور بعسكرة ففر امامه الى المغرب فدخل المنصور تيهرت فتهبها
وطلب اهلها الامان فامنهم ورجع الى اشير * وفي هذه السنة مات عامل
صقلية عبد الله بن محمد بن ابي الحسين واوصى الى ولده يوسف من
بعده واتاه سجل من نزار خليفة مصر بالولاية فصاحبت احوال صقلية
في ايامه يعني ايام يوسف بن عبد الله * وفي سنة احدى وثمانين
وثلاثمائة وصل المنصور بن بلكين الى قصره الذي بناه في صيرة وعيد فيه
عيد الاضحى وخرج للناس يوم العيد في زي عجيب من المركوب والملبوس
ورفع عن اهل البادية بقية خراج وكان مالا عظيما وعد ذلك من مناقبه *
وفي شهر ربيع الاول ختن ولده باديس واهدت له العمال على قدر مراتبهم
واتته هدية من عند ابن الخطاب عامله على زويلة فيها زرافة وطرف
من اثاث السودان وشي مستكثر * وقدم اليه عامل طرابلس بهدية جليلة
فيها مائة حل من المال سوى الخيل ولطائف المشرق * وفي هذه السنة
وصل اليه سجل من المشرق بولاية ولده باديس من بعده فسير بذلك
وفيها عزل عامله عن الارض وسير اليها مولاة قيصر فوجد في الخازن التي
للوالي المعزول ستمائة الف قفيز من الطعام * وفي ذي القعدة خرج مبتزها
الى سردانية وخرج اليه الشيوخ من اهل القيروان وسالوه ان يعيد عندهم
فاجابهم الى ذلك * وفي سنة ثلاث وثمانين خرج ولده ولي عهده باديس
الى مدينة اشير ومعه جدته يعلان * وفي سنة اربع وثمانين رجع من
المغرب الى المنصورية وكانت اول سفرة سافرها فخرج اليه ابوه واهل الدولة
وجميع اهل القيروان فسلموا عليه وكان يوما مشهودا * واتته من مصر هدية
سنة ومعه الفيل فركب المنصور بعسكرة وتلقاها * ولما كان يوم العيد

خرج باديس لصلاة العيد والفيل امامه وركب في مركب عظيم ولم يخرج معه ابوه ذلك اليوم * واقاما بافريقية ولم يرجعا الى المغرب * وفي سنة ست وثمانين وثلاثمائة توفي المنصور يوم الخميس لثلاث خلت من ربيع الاول ودفن في قصره الكبير الخارج عن صبرة وكانت امارته نحو ثلث عشرة سنة وكان رحمه الله كريما جوادا صارما حازما عاقلا عادلا بين الرعية وایامه طيبة * وفي هذه السنة في شهر رمضان كانت وفاة نزار خليفة مصر وتولى بعده ولده الحاكم بامر الله بعد وفاة المنصور بستة اشهر * ومن الملوك الصنهاجيين باديس بن المنصور بن يوسف بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي وكنيته ابو مناد تولى ملك افريقية بعد وفاة ابيه المنصور في ربيع الاول سنة ست وثمانين وثلاثمائة ورحل الى قصره بسردانية في رجاله وعبيده واثم الوفود بالتعزية في ابيه وتهنئته بالملك * واستقامت له الامور واحتفل بتجهيز هدية يرسلها الى خليفة مصر فجاءه الخبر بوفاة في شهر رمضان كما ذكر فبقيت بحالها في رقادة الى ان سيرها باسم الحاكم * وفي سنة سبع وثمانين وثلاثمائة عقد لعنه حاد بن بلكين على اشير والمغرب وجعله عاملا على تلك البلاد * وفي هذه السنة جاء تسجيل من الحاكم بامر الله الى باديس ولقبه بنصير الدولة يخبره بوفاة نزار والده ويعزيه في والده المنصور وبعث سن اخذ البيعة عن باديس واهل بيته من بني مناد * وقلد باديس امور افريقية لمحمد بن ابي العربي وخرج الى المهديتين متنزها فقصد سوسة فاقام بها اياما ولما وصل المهديتين لعبت المراكب بين يديه ورمى النفاطون بالنفط واقام بها اياما ورجع الى صبرة * وفي يوم العيد سنة سبع وثمانين وثلاثمائة خرج في زي لم ير مثله لمن تقدمه من ابيائه وبين يديه الفيل وزرافتان وجل ابيض ساطع البياض * وارسل له الحاكم خليفة مصر هدية تشتمل على جوهر نفيس واثاث وطرف من بلاد المشرق تولد العقل فتلقاها باديس ودخلت بين يديه لصبرة * وجاءه الخبر ان زيري بن عطية الزناتى خرج بالمغرب وقصده الى بلد

اشير فجهز اليه جيشا عظيما وارسله مع محمد بن ابي العربي عامله على افريقية
فالتقى بزيري بن عطية قريبا من تيهرت فكانت بينهما حروب انهزم
فيها عسكر باديس واحتوى زيري بن عطية على جميع الاثاث والاثقال
والمال والسلاح * فلما بلغ باديس خبر الهزيمة خرج بنفسه الى قتال
زيري بن عطية فخرج من رقادة بعساكرة وشيعة مشيخة البلد والفقهاء
واهل القيروان وجد في سيرة الى اشير وكان زيري محاصرا لها فلما بلغه خبر
باديس رحل عنها وتم باديس في طلبه الى ان ادخله المغرب وكر راجعا
الى اشير * وفي هذه السفرة خالف عليه اعمامه وكانت بينهم وبينه
حروب انتصر فيها باديس بعد ما كان بينهم الفناء ماتت فيها سبعة الاف
من زناتة الذين كانوا مع اعمامه ورجع الى القيروان منصورا وبعث
برءوس القتلى فطيف بها في المنصورية والقيروان * وقسم في ايامه
فلل زناتى وعاش في جميع اعمال باديس وكانت له مع فلل وقعات
عديدة * وخرج عنه بعض الثوار بطرابلس فخرج بنفسه اليه واستنقذ
طرابلس وولى عليها من قبله * وكانت ايامه كثيرة الحروب والثوار فليته
من اعمامه ومن الزناتيين وكان منصورا عليهم في ايامه * وفي سنة ثلث
واربعمائة جاءت هدية من الحاكم صاحب مصر وسجلات لنمل ولولده المعز
فخرج باديس الى لقاءها وخرج ولده المعز ولم يكن خرج قبل ذلك ومعه
القضاة واكابر الدولة وترجل لها وقرئت على الناس وفيها اضافة برقة الى
ما بيده من الاعمال فارسل عامله الى برقة * ولسم نزل ايام باديس في
مكافحة الاعداء ورحل الى المغرب عدة مرار وكان مقداما جوادا يعطي
العطاء الضخم وكان محسنا لاصحابه ويعفو عن اساءاتهم * وخرج الى
المغرب لقتال زناتة فادركه اجله على مدينة الحمديّة اواخر ليلة من
ذي القعدة سنة ست واربعمائة فكنتم اكابر دولته موته وتشاؤروا بينهم
فاتفقوا عليهم على توليته ولده المعز وكان صغيرا اذ ذاك لم يبلغ عشر سنين
فجعلوا باديسا في ثابوت ورجعوا به الى افريقية بعد ما حلفت الاجناد

لولده المعز وانتقادت له اجنادة بعد موته احسن انقياد واوصلوه في تابوته
الى المهديّة وكان ولده المعز بها خرجت به جدته للنزاهة وجعلتها حرزا
لاموالها لما كانت ترى من الفتن في دولته ولدها باديس فاستوطنت
المهديّة * وكانت ولاية بني زيري في مدينته اشير وانتقل المنصور بن
بلكين الى صبرة ثم ولده باديس كانت غالب اوقاته بصبرة إلا ان ايامه
كانت اكثرها حروبا * واول سن بويغ من بني مناد بمدينته المهديّة المعز
كما سنذكره ان شاء الله تعالى * ومسن ملوك صنهاجة المعز بن باديس
ابن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي بويغ بالامارة يوم وفاة
ابيه اخذت له البيعة على الاجناد بمدينته الحمدية لثلاث خلت من
ذي الحجة سنة ست واربعمائة وعمره اذ ذاك ثمان سنين وسبعة اشهر *
ولما وصل الخبر بموت باديس خرج عامل القيروان ومعه الفقهاء والشيوخ
من اهل البلد واكابر صنهاجة فوصلوا الى المهديّة وهزوا المعز في والده وهنوه
بالمك وكانت جدته تباشر الامور وتصرف الاحوال من رايها فاحسنت
لاهل القيروان وامرتهم بالرجوع الى بلادهم وركب المعز بالطبول ونشرت
البنود على راسه وقبل الوفود باحسن قبول وظهرت عليه مخائل الملك وفرح
الناس بما راوا منه من العقل والنجابة وشمائل الكرم مع صغر السن وقابل
كل لسان بما يليق به * وفي اول المحرم وصل العسكر الذين كانوا مع
ابيه واتوا به محمولوا في تابوت فدفن وجددت له البيعة مع الاجناد
وركب المعز للقائهم وعرضت عليه اكابر الدولة وتعرف احوالهم واحسن
اليهم ورحل من المهديّة الى مدينته صبرة فحل بها ونزل بقصره وفرح الناس
بهدمه * ولما استقر بصبرة خرجت طائفة من القيروان وقتلوا جماعة
من الشيعة لانهم كانوا يتجأرون بمذهبهم الخبيث فقتلت نساؤهم واولادهم
وكانت فحشة بالقيروان من اجل النهب والقتل ولجا طائفة منهم بالجامع
في المهديّة فقتلوا فيه * وكان لا يرى بالقيروان احد منهم في الطريق
إلا ضرب ضربا عنيفا وربما قتل واحرق واجتمع منهم قدر الف وخمسمائة

رجل تحت قصر المنصورية واستغاثوا بالمعز فامر بالكف عنهم * والمعز
هذا هو الذي طهر الله تعالى على يديه افريقية من مذهب الشيعة وان
كان من عمالهم إلا انه كان لا يتمذهب بمذهبهم * وجل الناس في ايامه
على مذهب الامام مالك رضي الله تعالى عنه وقطع ما عداه * وكانت
بافريقية مذاهب الصفريّة والشيعة والاباضية والنكارية والمعتزلة ومن
مذاهب اهل السنة الحنفية والمالكية فلم يبق في ايامه إلا مذهب الامام
مالك * والمعز هذا لما اشتدت سلطنته خرج عن طاعة بني عبيد وخطب
لبنی العباس كما سيأتي * وخرج عن طاعته عمه جناد بالمغرب وحاصر
اشير فزحف اليه المعز بغساكر لا تحصي وكانت بينهما وقعت وحروب
انتصر بها المعز على عمه وءاخر الحال رجع الى الطاعة وبعث ولده بكتاب
يسال فيه العفو عما سبق منه فعفا عنه * واجرى المعز على ابن عمه حماد في
اقامته كل يوم ثلاثة آلاف درهم وخمسة وعشرين قفيزا شعيرا لدوابه ودواب
اصحابه وخلع على اصحابه مائة خلعة واعطاه ثلثين فرسا بسروج الذهب
ومن الثياب المشققات ما لا يدخل تحت حصر وانفذه الى حضرة ابيه
وفرق عماله في جميع بلاد المغرب * وبعث اليه الحاكم خليفة مصر
تجديدا بولايته ولقبه بشرف الدولة * وفي سنة ثمان واربعمئة بعث
اليه مولاه صندل وكان عاملا على باغايت هدية فيها ثلثمائة وخمسة وثلثون
برذونا بالسروج المحلاة وعبيدا وشيئا مستكثرا * واهدى له الحاكم
صاحب مصر سيفا مكللا بالدر ليس له قيمة وكتب اليه تشريفا لم
يكتب مثله لاحد من اجداده قبلا * وتوفيت جدته سنة احدى عشرة
واربعمئة فكفنها بما قيمته مائة الف دينار وعمل لها تابوتا من العود
الهندى مرضعا بالجواهر وصفائح الذهب وسمر التابوت بمسامير الذهب
وزنها الف مثقال وادرجت في مائة وعشرين ثوبا وذر عليها من المسك
والكافور ما لا حد له وقلد التابوت باحدى وعشرين سبحة من نفيس
الجوهر * وقومت التجار قيمة ما صرف عليها فبلغ ما ذكرناه * وحملت

الى المهديّة فدفنت بها وامر المعز بخمسين ناقّة ومائة رأس من البقر
والف شاة فحرت وانتهبها الناس وفرق في ماتمها على النساء عشرة آلاف
دينار * وصنع وليمة لعرسه سنة ثلث عشرة واربعمئة لم يكن مثلها
لاحد في بلاد المغرب * ولما بدا بالحركة للعرس نصبت القباب خارج
المدينة ونشر ما هيا من الاثاث والياب وجل المهر على عشرة ابغال كل
بغل عليه عشرة آلاف دينار وحضر من آلات الملاهي ما لا يوصف وقوم
حذاق التجار ما حل للعروسة فكان ازيد من الف الف دينار * وبني
له مصانع وقصور لم ير مثلها وصنع ايوانه الاعظم وبني الخورنق تشبيها
بخورنق النعمان بن المنذر بالعراق * وايامه ملكه اربيت في الحسن
على ايام بني مناد * وفي ايامه اشتدت شوكة زناتة من ناحية طرابلس
وكانت له معهم حروب وله فيهم فتكات * قتل والزناطيون هم الذين
يشني عليهم عدد من العمال ويذكرون كثيرا من جلته اخبارهم عند ما
يذكرون سيرة بني هلال وما جرى لهم مع خليفة الزناطي ولاهل طرابلس اهتمام
بسيرتهم حتى لا يذكر بينهم حديث الا بها وكذلك عند عوام اهل مصر لها
صيت لاستماعها . والمعز كان اكرم اهل بيته بالمال وكان دينا يجتنب سفك
الدماء الا في حق وكان رقيق القلب حديد الذهن عارفا بعدد صنائع من
الاحمان والتوقيعات وعلم الاحجار وله شعر جيد وهداه ملك الروم بهديّة
جليّة وفتح جزيرة جربة * وفي سنة خمس وثلثين واربعمئة اظهر الدعوة
لبني العباس وورد عليه عهد من الامام القائم بامر الله العباسي وفي سنة
اربعين واربعمئة قطع خطبة بني عبيد وقطع بنودهم واحرقها بالنار * وفي
ايام المعز خرج غالب البلاد عن طاعته وكثرت عليه المخالفون وخالفت
سوسة وقفصة وصفاقس وباجة وخرج جل البلاد الغربية وفي ايامه كان
ظهور لمتونة ببلاد المغرب واستولوا على جميعها وسياتي بعض خبرهم ان شاء
الله تعالى * وفي ايامه جاءت العرب من المشرق وسكنوا بافريقية وسبب
دخول العرب الى افريقية ان المعز بن باديس لما قطع خطبة صاحب مصر

وهو المستنصر بالله كان يسب بني عبید سرا لے ان صرح به على المنابر
وكان یكاتب وزیر المستنصر ویستملہ ویعرض له بالتحریر علیهم وانما
یكتب له تلویحا لا تصریحا وكتب الیه قطعة بخط یدہ وتمثل فیها
بیت من الشعر وهو

وفیک صاحبت قوما لا خلاق لهم لولاك ما كنت ادري انهم خلقوا
فقال الوزير لبعض اصحابه الا تعجبون من صبي بربري مغربي یحب ان
یخدع شیخا عربيا عراقيا وانما اراد المعز ان یوقع بین الوزير وخليفته الشر
ولما خلع طاعة بني عبید وجاءته الخلع من بغداد اشار الوزير على المستنصر
العبيدي بارسال العرب فارسل المستنصر لے عرب الصعید الذین بمصر
وارسلهم لے المغرب واباح لهم من برقة الى ما بعدها واعانهم على ذلك بمال
وهم رباح وزغبة وعدي بطون من بني عامر بن صعصعة فلما وصلوا لے
افريقية عاثوا فیها کیف شاءوا وملئت ایدیهم من النهب فتسامعت
بنو عمهم بذلك فطلبوا من الخليفة الحاق بسن تقدمهم فمنعهم من ذلك
إلا ان یعطوه شیئا من اموالهم فاخذ منهم اضعاف ما اعطاه لبني عمهم
وسرحهم ولما وصلوا لے المغرب كانت لهم وقعات مع زناتة باقليم طرابلس
وكثر ضررهم وافسدوا البلاد ولما قربوا من افريقية خرج المعز في
جمع من صنهاجة وزناتة فاجتمع له عسكر عظیم فالتقى معهم وكانت
بینهم مصافی فخذلته زناتة وانهزمت صنهاجة حتی لم یبق معه إلا
عبدة وكان عدد العبيد عشرين الفا وثبت المعز في تلك الحروب ثباتا لم
یشبه امیر هزم جيشه وءاخر الحال انهزم ورجع لے المنصورية واقبل
العرب حتی نزلوا بازاء القيروان واقتتلوا بین رقادة والقيروان ومات بین
الفریقین خلق عظیم * ولما رای المعز ما حل به ركن لے الصلح ورفع
الحرب بین العرب وبنیه واباحهم دخول القيروان لیشتروا منها ما یحتاجون
الیه وظن انهم یرجعون لے بلادهم فلم یغن عنه ذلك وملكوا البلاد باسرها
واقسموا برابرها وافسدوا حواضرها وكان الخطب جلیلا * فلما رای المعز كثرة

صررهم وعجزة عن دفع اذاهم رحل الى المهديّة وبها حشمه وكان ولده تميم واليا
عليها وخرج في رمضان سنة تسع واربعين واربعمائة ونهبت العرب القيروان
وكان ذلك سبب خرابها وجلاء اهلها عنها ولما وصل الى المهديّة تلقاه ولده
تميم وترجل له وقبل يده وادخله البلد فسلم الامر الى ولده تميم في حياته فقام
بامور الدولة احسن قيام وتوفي المعز سنة ثلث وخمسين واربعمائة فكانت
ايام ولايته تسعا واربعين سنة وكان من الكرم على جانب عظيم قيل انه
اهدى لبعض اصحابه في يوم واحد مائة الف وسبعين الف دينار الا ان
ايامه كثرت فيها الفتن وقام كل عامل ببلده وخرج عن طاعته والملك لله
وحده * ومن الملوك الصنهاجية تميم بن المعز بن باديس بن
المنصور بن بلكين بن زيري مولده بالمنصورية سنة اثنتين وعشرين واربعمائة
وولاه ابيه المهديّة سنة خمس واربعين واستبد بالملك يوم وفاة ابيه ودخل
اليه الناس وهوى بما صار اليه وكثرت في ايام تميم الثوار من كل فج فقام
عليه اهل تونس وخرجوا عن طاعته فارسل اليهم جيشا عظيما فحاصرها سنة
وشهرين والقائم بتونس هو ابن خراسان فلما اشتد عليهم الحصار صالحوا عسكر
تميم على ما رضي به تميم وارتحلوا عنها وخالفت عليه بلد سوسة فحاصرها
وفتحها عنوة وحقق دماءهم وخرج عليه جو بن فلفل البرغواطي ببلد صفاقس
فخرج اليه تميم في جمع من البربر والعرب مثل رغبة وزياح فكانت بينهم
مصاف وانتصر تميم وانتهزم البرغواطي * وفي ايامه طردت بنو زياح رغبة
عن افريقية وباعت القيروان من الناظر بن علاء الناس بن حاد وجاءت
بنو قرة من ناحية برقة ونزلوا بازاء القيروان * وفي سنة سبع وستين
واربعمائة اضطلع تميم مع الناظر بن علاء الناس وزوجه ابنته وارسلها اليه
في عسكر عظيم وبعث معها من الاموال والذخائر ما لا يوصف وولى ولده
مقلدا على طرابلس وثم الصلح بينهما * وقام عليه مالك بن علي الصخري
بجمع كثير من العرب ونازل المهديّة فقاومه تميم حتى رحل عنها خائبا
الى القيروان فبعث اليه تميم بعسكر كثير فحاصره بها مدة فسلمها

علم مالك ان لا طاقة له فر عن القيروان وحاصر تميم قابس وصفاقس في وقت واحد وفي غيبته جاءت عمارة للمهدية من الجنوز والبنسيان فحو ثلثمائة مركب فنهبوا المهدية وزويله واضرموا النار في البلد ولم يكن بها مدافع لهم لغيبة الجند عن المهدية وكان عدد الروم ثلثين الف مقاتل فغنموا ورحلوا عنها * وفي ايام تميم كانت المجاعة العظمى يا فريقية والوباء الذي لم يسمع بمثله وذلك سنة ثلث وثمانين واربعمائة وغالب اوقاتهم كان مقاوما فيها لمن ثار عليه وقاسى حروبا مع الغرب وبني عمه وكان رحمه الله ذكيا مفرطيا في الذكاء وينظم الشعر ويحيز من مدخله ويحب المناجحة والاستماع ومن قدمائهم ابن رشيح القيرواني ولم فيه المدايح الطنانة وكان احلم بني مناد واعظمهم عن الامور العظام وانقدهم للشعر ولم اخبار عجيبة اضر بنا عنها خوف الاطالة * وفي ايامه استولى عدو الدين على جميع صقلية وكان ذلك سنة اربع وثمانين واربعمائة اعادها الله للاسلام * وحيث انتهى بنا مساق الحديث الى صقلية وان كنا اثينا بطرق من ذكرها فيما تقدم وجب الان ان نذكر طرفا منها لزيادة الفائدة ولكن على سبيل الاختصار وليكن المتأمل هنا على بصيرة من ان صقلية كانت تحت حكم افريقية برهة من الزمان * فاقول وبالله المستعان قد تقدم في اول الكتاب فتح الجزيرة على يد الشيخ البركة اسد بن الفرات من قبل ابراهيم بن الاغلب في خلافة امير المؤمنين عبد الله المأمون بن الرشيد ولذا ولتها العمال من قبل بني الاغلب الى ايام ابي عبيد ولما كان الخليفة العبيدي وهو المنصور بالله بن القائم بن المهدي متمكنا من البلاد الغربية وتم له الحكم على سائر اعمالها عقد ولاية جزيرة صقلية للحسن بن علي ابن ابي الحسن الكلبي وذلك سنة ست وثلثين وثلثمائة واستمر الحسن بها حتى مات المنصور وتولى ولده المعز واقبل الحسن الى افريقية واستخلف على صقلية ولده احمد في سنة اثنين واربعين وثلثمائة ووفد على المعز بجماعة من اهل صقلية فبايعوا المعز وخلع عليهم واعادته الى عمله * وفي

سنة احدى وخسين وثلاثمائة بعث اليه كتابا يامره بخشن اطفال الجزيرة وكسوتهم في اليوم الذي يختن فيه المعز ولده في مستهل ربيع الاول من السنة المذكورة فابتدا الامير اجد بخشن اولاده واخوته ثم الخاص والعام وخلع عليهم ووصلهم من المعز مائة الف درهم وخسون جلا من الصلات ففرقت بين المختونين وكانت جلتهم خمسة عشر الف طفل * وفي سنة اثنتين وخسين بعث الامير اجد بسبي طبرمين بعد ما فتحها وجملة الف وسبعمائة ونيف وسبعون راسا * وفي سنة ثلث وخسين وثلاثمائة بعث المعز اسطولا عظيما وقدم عليه الحسن بن علي والد الامير اجد فوصل الى صقلية وكان بينه وبين الروم حرب شديدة انتصر فيها الحسن وقتل من المشركين ازيد من عشرة الاف وغنم مغنما عظيما ومن جلته سيف منقوش عليه - طالما ضربت به بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم - فبعث به وبالسبي الى المعز وتوفي الحسن سنة ثلث وخسين وثلاثمائة وفيها استقدم المعز لدين الله الامير اجد من صقلية بماله ولده واستخلف يعيش مولى ابنيه على الجزيرة ولما وصل اجد الى افريقية ارسل المعز علي بن الحسن نائبا عن اخيه اجد وبعث المعز الامير اجد مقدما على اسطول الى مصر فلما وصل طرابلس اعتل بها ومات بها وبعث المعز الى الامير علي سجلا بولايته بعد اخيه فمكث اثني عشرة سنة ومات في غزوة بالارض الكبيرة بمكان يعرف بالشهيد عرف به لان مقتله هناك * وتولى ولده جابر من غير عهد من الخليفة وكان جابر سيئ التدبير فعزله الخليفة وبعث مكانه جعفر بن محمد بن الحسين وبقي واليا عليها حتى مات سنة خمس وسبعين وثلاثمائة * وتولى اخوة عبد الله وتوفي سنة تسع وسبعين * وتولى ولده ابو الفتح يوسف بن عبد الله وكان حسن السيرة واصابه فالج فتولى ولده جعفر في حياته واتاه سجل من الحاكم ولقبه تاج الدولة واحداث مظالم على اهل صقلية فخرجوا عن طاعته وحاصروه في القصر فخرج اليهم ابو يوسف في محفة وشرط للناس عزله وسكنهم وقدم عليهم اخاه اجد

ولقبه تاييد الدولة وذلك سنة عشر وأربعمائة وبقي الى سنة سبع وعشرين خرج عليه اهل الجزيرة فقتلوه وتولى اخوه الحسن ولقبه صمصام الدولة واضطربت الاحوال في ايامه وكثرت الثوار فاخرجوا صمصام الدولة وانفرد كل انسان ببلد فانفرد القائد عبد الله بن منكوت بمازر وطرابني وغيرهما وابن الخواص بقصر يانة وجرثنة وغيرهما والقائد ابن الثمنة بسرغوسة وقطانية وقامت بينهم الفتن فانتصر ابن الثمنة بالافرنج من مالطة وهون عليهم امر المسلمين وكان امير النصارى اسمه روجار فساروا مع ابن الثمنة الى البلاد التي بايدي المسلمين فحاصروها واستولوا على مواضع كثيرة من الجزيرة فحينئذ فارق الجزيرة جماعة من العلماء واتوا الى المعز يستجدونه فبعث اسطولا للجزيرة فلم يغن شيئا وذلك لاضطراب الجزيرة فلم يزل العدو ياخذ الجزيرة شيئا فشيئا ولم يثبت غير قصر بانة وجرثنة فحاصرها لافرنج اشد حصارا حتى اكلوا الميتة فسلم اهل جرثنة وبقيت يانة ثلث سنين ثم اذعنوا واستغلب روجار على سائر الجزيرة في سنة اربع وثمانين وأربعمائة ومات بعلة الخوانيق وعمره ثمانون سنة * وتولى بعده ولده فاربي عليه في الحزي وسلك طريقته ملوك المسلمين من الجنب والجنب واسكن الافرنج في الجزيرة مع المسلمين واكرم المسلمين وقربهم ومنع من التعدي عليهم وكانت اساطيلهم مشحونة بالمسلمين والافرنج واخذ كثيرا من بلاد الاسلام وهو الذي اخذ المهديّة وسوسة وجربة وطرابلس وامتدت يده في البلاد وملك عدة جزائر في البحر وبلغت بعوثة الى المشرق وملك انطاكية وكانت له فتكات لعنة الله عليه * وجزيرة صقلية من اجل الجزائر التي في البحر وبها مدن عظيمة وافخر مدائنها مدينة بليرم وهي المدينة العظمى على ساحل البحر محدقة بها الجبال وهي ثلث اسمطة وبها المدينة القديمة المسماة بالخالصة كانت مستقر السلطان * وكانت الخالصة في ايام المسلمين دار الصناعة لانشاء المراكب ومكثت في ايدي المسلمين مائتي ونيف وسبعين سنة اعادها الله للاسلام * وما ذكرت هذه النبذة إلا لكونها فتحت على يد عمال افريقية

ولم تزل تحت الحكم الى ان قدر الله بردها لاعداء الدين والسبب
المقصي للهلاك التماسد والفتن حسم الله هذه المادة عنا لاننا في طرف منها
عسى الله ان يعافينا ويطفئ بداركننا * ولخرج الى ما كنا فيه من يقية
اخبار تميم بن العز قال ابن ايوب وتوفي تميم بن المعز صاحب افر يقية
سنة احدى وخمسمائة وعمره تسع وثمانون سنة وَايام ولايته ست واربعون
سنة وعشرة اشهر وعشرون يوما وخلف مائة ولد ذكر وستين بنتا وتولى
ولده يحيى من بعده * ومن امراء صنعاجة الامير يحيى بن تميم
ابن المعز بن باديس بن المنصور بن يوسف بلكين بن زيري بن مناد ثم له
الامر يوم وفاة ابيه وعمره حيث ثلث واربعون سنة فركب على العادة با كابر
الدولة وغير لباس الحزن وفرق في الناس اموالا ووعدهم بالجميل ففرح
الناس به ولمسا استوثقت له الامور عدل في رعيته وجرد عسكريا الى
قلعة اقليبية ففتحها وكان ابوه لم يقدر عليها وبعث اسطولا الى بلاد
الروم فحتمت وكانت عمارته في البحر كل سنة منصورا وكان يبشر الامور
بنفسه عارفا بها وكان رحيم بالضعفاء مطالعا لكتب السير واخبار الزمان
عالما بالنجوم واحكامها وبصناعة الطب وينظم الشعر الجيد حسن الخلق
ودامت ولايته ثمان سنين وستة اشهر وتوفي وعمره اثنتان وخسون سنة
مات فجأة اول ذي الحجة سنة تسع وخمسمائة وخلف من الذكور
ثلاثين ومن البنات عشرين وكانت ايامه ايام عدل الا ان ملكه دخلته القهقرة
والمك لله الواحد القهار * ومن امراء صنعاجة الامير علي بن
يحيى بن تميم ثم له الامر بعد ابيه باتفاق من جنده وكان في صفاقين
فارساوا اليه خفية من اخوته فجاء الى المهديّة وقدم الى القصر فتولى
تجهيز ابيه ودفعه ودخل الناس عليه فهوة بالملك واستقام له الامر وابتدا
دولته بتجهيز اسطول الى جريّة فحاصرها وفتحها ولم تكن طاعت لمن
سلف من اجداده مع شدة ملكهم وكثرة جيوشهم وحاصر تونس وضيق عليها
فصالحها صاحبها احمد بن خراسان على ما اراد وبعث نجيشا الى جبل

رسالات فضايق به وفتحهم عنوة وكان اهل اذ ذاك اهل فساد ونفاق وعصى
عليه رافع عامله على قابس وبعث الى رجار صاحب صقلية فدخل تحت
طاعته وطلب منه الاعانة على الامير علي بن يحيى واجتمعت لرافع جموع من
العرب وقصد المهدية وحاصرها فمكر به الامير علي باستجلاب نفوس الاعراب
ووعدهم واعطاهم فخذلوا رافعا فمروا الى القيروان واقتسمت العرب بينهم
البلاد وقويت شوكة العرب في ايامه وكبرت بينه وبين صاحب صقلية
الوحشة فبعث اليه يهدده بغزوة المهدية فهيا الامير علي مراكب في البحر
واستخدم الاجناد وكثر من الرجال وعمر المدينة واخذ اهبة الحرب ومشى
بينهم مراسلات بالتهديد من الجانبين واراد علي ان يستنصر بامير المسلمين
يوسف بن تاشفين لان الامير عليا علم انه ليس له طاقة بصاحب
صقلية فاخذ بالحذر منه بقية حياته الا انه وقع بينهما الصلح في الظاهر
دون الباطن * وفي ايام علي دخل محمد بن تومرت الى المهدية وغير بها
المنكر وسيأتي خبره وتوفي الامير علي سنة خمس عشرة وخمسمائة من مرض
اصابه وفوض الامر في حياته لولده الحسن وعمره اثنتا عشرة سنة وبويع يوم
 وفاة والده والله يرث الارض ومن عليها * ومسن امره صنهاجة الامير
الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس ثم لم الامر يوم وفاة
والده وقام بتدبير دولته القائد صندل مولاة وركب على عادته وطاف البلاد
وفرح الناس به وفرق اموالا في العبيد والاجناد وخلع على اصحاب دولته
واكابر اجناده * وفي ايام الحسن تحرك صاحب صقلية على اخذ المهدية
ومنته نفسه ان يستاصل افريقية فحشد من جميع البلاد وجمع جيشا عظيما
وبعث باسطول عظيم الى المهدية فلما احس الحسن بمجيئ اهل صقلية ارسل
الى البلاد واستعد لهم استعدادا كليا واجتمعت له مائة الف رجل وعشرة
الاف من الخيل ونزلت طائفة من النصارى من الاحاسي وتحصنوا بقصر
الديماس فانذر المسلمون بهم فاخذوهم * وكان عدد المراكب الواردة
من صقلية ثلثمائة مركب منها ما هو مشحون بالسلاح والالات الحرب ومن

الخيل الف فرس وفرسان وكان غالب المراكب تطبت قبل وصولها من
شدة هيجان البحر فلم يرجع منها إلى صقلية إلا قدر مائة مركب ولم ينج
من الخيل إلا فرسان * وفي أيام الحسن قصد صاحب بجاية أخذ المهدية
لأنه سمع بالأمير الحسن أنه صالح الملك رجار الرومي صاحب صقلية
ووقعت بينهما الهدنة وكان ذلك لأن الحسن أرسل إليه بهدية وصالحه
منخافة من شره فتم الصلح وشرط اللعين عليه شروطا فقبلها فكاتب أهل
المهدية يحيى بن العزيز الحمادي صاحب بجاية واطمئنه بتسليم البلد
فوثق بهم وبعث إليها جيشا في البر ومراكب في البحر وبعث مقدم الجيش
الفقيه مظرفا فنزلها برا وبحرا وجاءته العربان من كل فج ولم يكن له
أرب في القتل لا طماع أهل البلد أياه وطال الحصار على أهل المهدية واتصل
الخبر برجار صاحب صقلية فبعث أسطولا عظيما لنصرة الحسن وأمر المقدم
على الأسطول أن يقتل عند أمر الحسن ونهيه فلما جاء أسطول اللعين
وانتشر حول المهدية طاح ما بيد صاحب بجاية وأراد النصراني أن يعكس
مراكب أهل بجاية فمنعه الحسن وأمره بالكف عن القتال لأنه كره
سفك دماء المسلمين وفرت مراكب بجاية بالخيبة ورحل الذين كانوا
منزلي المهدية من البر بعد اقامتهم عليها سبعين يوما وذلك سنة تسع
وعشرين وخمسائة ورجع الأسطول إلى صقلية وكتب الحسن كتابا إلى
الملك رجار يشكره على فعله وأنه داخل تحت أمره ونهيه فتأكدت بينهما
المخالصة وعند ذلك استقامت أمور الحسن * وفي هذه السنة أرسل عبدو الله
رجار أسطولا إلى جزيرة جربة مشحونا برجال المسلمين من أهل صقلية ورجال
من الأفرنجيين بعدد وقوة عظيمة ونزل جزيرة جربة وأخذها عنوة بالسيف
وقتل رجالها وسبى حريمها وباعهم في صقلية ورجع إليها سن سلم ودخل
تحت طاعة رجار وولى عليها عاملا من قبله وكتب لهم أمانا من عنده
وجعلهم خولا له ودانت له بلاد المهدية وجربة وخافتهم البلاد كلها وتشمخ
اللعين بانفتحه والحسن في غالب أوقياته يدافعهم عن نفسه بالقي هي أحسن

الى ان كانت سنة ست وثلثين وخمسمائة ابتدأت بينهما الوحشة بسبب
مال استسلمه الحسن من بعض وكلاء اللعين ومناطله به * فبعث مراكب
الى المهديّة واظهر شره فدافع بالحسن واهدى اليه عدة اسارى فلم تغن
عنه شيئا وارسل الحسن رسولا الى الملك رجاء ولاطفه وشرط اللعين شروطا
على الحسن فقبلها ودخل تحت طاعته وجعله عاملا من عماله وهدّاه هدنة
مكرمة * وفي سنة سبع وثلثين وخمسمائة نازل اللعين مدينة طرابلس
فهمزموه ولم يتعلق منها بشيء وفي هذه السنة بعث الى جيجل فاخذها
عنوة وسفك دماء اهلها وسبى حريمها واحرقها بالنار وهي من عمالة بني
حماد من ولاية بجاية * وفيها ملك جزيرة قرقنة وسبى اهلها وباعهم في
صقلية وسن سلم ورجع لها دخل تحت طاعته وخافته جل البلاد الافريقية *
وفي سنة احدى واربعين وخمسمائة ارسل مائتي مركب الى طرابلس
وفتحها عنوة وقتل وسبى وعفا عن الباقيين واحسن اليهم وامن سن جاء هاربا
واذعنوا لطاعته ولما ذاع خبر طرابلس خافته جميع البلاد الافريقية وكتب
اليه صاحب قابس يتضرع اليه ويتلطى وسلم له ما تحت يده ورضي
ان يكون عاملا له فكتب له سجلا بذلك وبعث له ما يشرف به من
تشاريف النصارى وجبى اموال قابس من تحت طاعته * قلت اعوذ
بالله من الخذلان والا كيف تعد هذه الطائفة من حزب المسلمين وانما
هي من حزب الشيطان لكن حب الدنيا والرياسة الجاهلهم الى هذه الرذائل
وحبك الشيء يعمي ويصمي * وفي هذه السنة كان القحط بافريقية حتى
فر غالب الناس الى صقلية * وفي سنة اثنتين واربعين وخمسمائة استعان
معمر بن رشيد بالحسن صاحب المهديّة وبجمع من الاعراب على يوسف
صاحب قابس وعاضده محرز بن زياد فحاصروا قابس وقتلوا يوسف
عاملا واحتوى محرز بن زياد عليها * وفسر القائد عيسى اخو يوسف
الى صقلية واعلم النصراني ان الحسن ممن اعان على قتل يوسف فانف
اللعين من ذلك لكون كل منهما تحت طاعته فعول على غزو المهديّة فحشد

جيشا عظيما وبعثه في مراكب مشحونة بالسلاح وعالات الحرب فدمموا
المهدية على حين غفلة فانذهل الناس عند ما راوا الاسطول ففرت الناس ولم
يكن لهم مدافع وفر الحسن دون قتال وحل اهلهم وسن ساعده وخلف
ذخائره وبعض اهلهم وتوجه الى المعلقة التي بمقربة من تونس ونزل عند
محرز بن زياد فرحب به واكرم مثواه واما اهل البلد فتراجعوا عنه * وان
المقدم على الاسطول لما دخل المهدية امر بالكف من القتل والنهب ونادى
في الناس بالامان وسن لم مسكن رجع اليه وهدن اهل البلد واحسن
لمن رجع واحتوى على ذخائر الحسن وعائاته ما لا يوصف ولقي بعض
اولاده واهله وامهات اولاده يعني اولاد الحسن فاحسن اليهم وارسلهم لصقلية
وعمر عدو الله المدينتين زويلة والمهدية ودفع للتجار رؤوس اموال واحسن
لقهاتهم وجعل قاضيا مرضيا يحكم بين الناس ومهد قواعد البلدين وبعث
في اثناء ذلك بجيشين احدهما لسوسة والاخر لصفاقس اما اهل سوسة
فسلموا له البلد دون قتال فاحتوى عليها عدو الدين ونهبط واحاد لها اهلها
واما اهل صفاقس فدافعوا عن انفسهم بقدر طاقتهم واخذوا العدو حرة واخذوا
فيها ورد اليها اهلها واحسن اليهم واولى عليهم ولاية من قبله * وجاءته وفود
العرب واكابرهم فدخلوا في طاعته واستوثق له الحكم على اكثر البلاد وجبى
خراج رعاياها برفق منهم واحسان واستمال الناس وسار فيهم سيرة حسنة
بالرفق بهم ونازل قلعة اقليبية فلم يقدر عليها لتجمع اكثر العرب فيها *
ولسبم تنزل هذه البلاد بيد اللعين الى ايام امير المؤمنين عبد المؤمن بن
علي فاستنقذها من ايديهم سنة خمس وخمسين وخمسائة ورد الامير
الحسن الى المهدية كما سيأتي ان شاء الله تعالى * والامير الحسن هو اآخر
الصنهاجيين من بني مناد * واول سن ملك افريقية بلكين عند رحيل المعز
الى مصر كما سبق في اول الكتاب وان كان زيوي ومناذ ملكين فانهما لم
يتصرفا في عمل افريقية * وعدة سن ملك منهم افريقية ثمانية اخرهم
الحسن إلا انه لم يبلغ ما بلغ من قبله لان ملك من تقدم من اجداده من

برقة الى تليسان وما وراء ذلك * وقسمت البلاد بينهم بعد موت المنصور ابن بلكين فقام حماد بن بلكين على ابن اخيه ياديس وجرت بينهما عدة وقائع * واحتوى حماد على البلاد الغربية وصارت بلد بجاية دار ملك بني حماد كما ان بني زيري دار ملكهم اولا المنصورية ثم انتقلوا الى المهديّة في زمن المعز عند دخول العرب وقد تقدم * ومدفّنهم في بلد المنستير بقصر السيدة وكان لهم ناموس عظيم وعساكر عديدة وبلغوا رتبة السلاطين * قلت وانا استغفر الله ان بني حفص لم يبلغوا ما بلغوا وان كان ذكرهم عند الناس اكثر إلا النادر منهم وكون بني حفص خطب لهم يامير المؤمنين ولم يخطب لبني مناد باسير المؤمنين وكانوا كلهم اهل نجدة وشجاعة واحسان ومعروف * والحسن هذا الذي هو آخرهم كان قوي النفس مجتمع الفكر لا يتزحزح لعظام الامور ولا يتضعضع لنوائب الدهور مستوقد الذهن شجاع القلب كريم النفس حسن الفروسيّة ينظم الشعر إلا ان ايام ملكهم اخذت في الابدبار * وانقطعت كواكب صعودهم وافلت عن منازلهم الشمس والاقمار * وهذه الدنيا لا يدوم نعيمها * ولا يلبس سقيمها * وبهذا جرت عادة الله في خلقه انما الدهر دول بعد دول لا يسال عما يفعل وهم يسالون * ولتختم هذا الباب بفائدة وهي ان عبيد الله المهدي لما اراد بناء المهديّة ووضع اول حجر منها امر ان يرمى بسهم من عند الحجر الى ناحية المغرب فانتهى الى المصلى فقال المهدي الى هاهنا يبلغ صاحب الحمار يعني ابا يزيد الخارجي وامر بقيس مسافة الرميّة فكانت مائتين وثلاثا وثلاثين ذراعا * فقال هذا عدد ما تقيم بايدينا والبناء سنة ثلث وثلثمائة واخذت سنة ثلث واربعين وخسمائة فتتق الحساب كما قال تقريبا او تكون سنين شمسيّة فالخاتمة بينهما قريبة على ما اخبر به وذلك ان الحسين بن علي رضي الله تعالى عنه قتل سنة احدى وستين ولم يكن لبني فاطمة بعده ملك الى ايام ظهور بني عبيد واستقرارهم في الخلافة لانهم يجعلون ابتداء امرهم بناء المهديّة فالمدة التي بين مقتل

الحسين وابتداء الملك مائتان واربعون سنة فتكون ايام دولتهم بقدر ذلك لان دولتهم انقرضت باخذ المهديّة وان بقيت بقيّة منها بمصر في تلك المدة لان العاصد توفي سنة سبع وستين وخمسة فان المهدي لم يخبر بدوام الملك لهم إلا بدوام المهديّة واذا خرجت خرج الملك عنهم فكان كذلك لان المدة الزائدة كان فيها اضطراب فلا يعد * ومن ذلك ان المعز لدين الله لما اراد ان يتوجه لمصر قال لبلكين يا يوسف اعلم ان المهديّة دار ملكك وصيانة ذريتك وملكك ملتصق بملكنا فمضى خرب ملك المهديّة خرب ملكنا لان ملك المهديّة خرب بموت علي والد الحسن فان الحسن لا يعدونه سلطانا لانخلاعه من الملك وخروجه عن سلطنته كما انهم لا يعدون من الخلفاء من كان بعد الامر باحكام الله لان الامر هو العاشر من الخلفاء على نسق واحد اب عن جد ومن بعده خرجت لابن عمه وكذلك جعل بعض من يتعاطى هذا الحساب ان العشرة من الخلفاء الذين هم على نسق واحد يقابلونهم بعشرة من صنهاجة على نسق واحد اولهم مناد وعاخرهم الحسن وان اردت فاسقط الثلاثة الذين حكموا بالمغرب وعد من الذي اخذ مصر وهو المعز الى الامر باحكام الله تجد سبعة على نسق واحد فقابلهم بسبعة من صنهاجة اولهم بلكين لانه تقدم من قبل المعز على افريقيّة * وكما ان المعز اول المصريين فيوسف اول من تملك في الافريقيين الى علي فيكون العدد سبعة سلاطين وسبعة خلفاء كلهم مستقل غير مغلوب عليه * وهذا علم لا يعلمه إلا الله وما ذكرت هذا الكلام إلا لان مثله لا يصدر إلا بالهام من الله او اخبار عن مصدق وان ثبت هذا الكلام من هولاء القوم فهم عندي من اهل بيت النبوة بلا شك والله حسيب من طعن في نسبهم بلا دليل ثابت * وهذه الاخبار تكون لهم من الكرامات ورايت كثيرا من التواريخ تثني عليهم بالمحاسن الجميلة والعلوم الجليلة إلا ما قل منهم والبعض يخرجهم عن دائرة الاسلام لظاهرهم مذهب الشيعة والغلو فيه والتنقص من اصحاب رسول الله صلى الله عليه

وسلم وأهل البيت يجعل قدرهم عن الرذائل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . انتهى خبر صنهاجة وتتلوه الدولة الحفصية *

الباب السادس

في الدولة الحفصية

فيه فصلان الفصل الاول في ذكر سن تولى من الخلفاء بالمغرب ودانت له البلاد وسن بلغ درجة الملك ولم يبلغ درجة الخلافة وسن بلغ درجة الخلافة ولم يتسم بها وسن بلغها وتسمى بها وسن لم يبلغها وتسمى بها وكيف اتصل الامر بيني حفص ليكون توطئة لآخبارهم * ويعلم المتأمل بمشدا امرهم اذا سرح طرفه متتبعا لآثارهم * والفصل الثاني في كيفية اتصالهم بالملك وبعض اشياء من آخبارهم وسيرتهم ومحاسنهم *

الفصل الاول

اعلم ايها المتأمل اصلح الله احوال الجميع انه تقدم في ما نقلته واوردته هنا ان افريقية لما فتحت في صدر الاسلام كانت دار الامارة بالقيروان ومن هناك تخرج العمال الى اخر المغرب ومنها فتحت الاندلسية وصقلية * ولما كانت سنة خمس وثلثين ومائة دخل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان بن الحكم الاموي الى الاندلس فارا من بني العباس لما سلبوهم ملكهم فاستحوذ على بلاد الاندلس واستقل بها ودامت في ايدي بني امية وخرجت الاندلسية عن طاعة بني العباس فلم تكن لعمال افريقية عليها يد * وقال بعض المؤرخين ببيع امير المؤمنين هارون الرشيد باجماع الامة ما عدا جزيرة الاندلس وذلك لبعدها والبحر حائل بين المملكتين * وفي سنة ثمانين ومائة ظهرت بنو ادريس في المغرب ويايعهم خلق من البربر واستخلفوا هناك وتسموا بامراء المؤمنين ولكن لم يبلغوا درجة الخلافة ولما ظهرت بنو عبيد بالمغرب وقعدوا مقعد الخلافة

فازعوا الادارسة في اعمالهم وانزلوهم منزلة عمالهم واستحوذوا على اكثر ما
 بايدىهم الى ان ساروا الى بلاد المشرق وخلصوا منها جنة غفالا لهم
 وملكوهم بلاد المغرب فظهرت زناثة بالمغرب وتمسكوا بدعوة المروانيين وكانت
 بينهم حروب مات من الفريقين ممن تمسك بالدعوتين عالم لا يعلمهم الا
 الله تعالى . وخرجت عساكر بني امية لبر العدو واحسنوا الى من تمسك
 بدعوتهم وبرزوا بين عمل هاشم وامية الى اول المائة الخامسة ضعفت فيها
 الدولتان وقام بالمغرب عدة قوام من المفسدين وقليل من المصلحين فقيض
 الله سبحانه وتعالى دولة المثلثين صنف من البربر من لتونة ويقال لهم
 المرابطين فملكوا بلاد المغرب باسرها وكانت ايامهم مستقيمة الى ان قام
 عليهم ابن تومرت المهدي . ولم يتسم احد من لتونة باسم الساطان الا يوسف
 ابن تاشفين تسمى بامير المومنين وخطب له بهذا الاسم ولبنيه . من بعده
 وكان له سلطان بالمغرب وبلغ درجة الخلافة * ولمسا قام عليه المهدي
 تسمى بامير المومنين ولما مات اوصى بها لعبد المومن فورثها واورثها بنيه
 وثمت لهم الخلافة الى ان ظهرت بنو مرين وغلوا بني عبد المومن قسموا
 بامراء المومنين ايضا الى ان نزع الله ملكهم على يد الاشراف الذين قاموا عليهم
 قبل الالف من الهجرة . ولما ضعفت دولة بني عبد المومن بالمغرب وكثر
 اضطرابها استقل بنو حفص بافريقية وتسموا بالخلفاء ولم يصل احد منهم
 الى رتبته الا ما قل منهم وكانوا عمالا لبني عبد المومن في السابق واستقام
 امرهم بافريقية ودار ملكهم الحضرة العليا الى ان وصل اليهم ما وصل لغيرهم
 واتى عليهم ما اتى على غيرهم واستولت الدولة الحاقانية على بلادهم * وطردها
 القوم عن اوطانهم * واوحشهم بعد الايناس * وتلك الايام نداولها بين الناس *
 وحسيت بلغنا الى هذا المقام * ووطانا الامر بالقول وجب علينا التمام *
 فاقول اول سن خرج عن الطاعة وفارق الجماعة بنو امية بالمغرب
 كفعلهم بالمشرق * وأول سن تامر بالاندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام
 ابن عبد الملك فانجاز اليه كل اهوي كان هناك وقصد قرطبة دار الامارة

وقتل يوسف بن عبد الله الفهري بعد وقائع واستولى على الجزيرة واطاعته
الاندلس بأسرها وملكها ثلثا وثلثين سنة وقاسى بها شدايد الى ان توفي
وتولى بعده ولده هشام بن عبد الرحمن فملكها سبع سنين وتوفي وولي ابنه
الحكم بن هشام فاقام واليا ستا وعشرين سنة ثم توفي وولي ابنه عبد الرحمن
ابن الحكم وملكها احدى وثلثين سنة ثم توفي وولي ولده محمد بن عبد الرحمن
فاقام واليا اربعا وثلثين سنة . وفي ايامه انتهى جيش المسلمين الى مائة الف
فارس منهم عشرون الفا بدروع الفضة وانشا في البحر سبعمائة غراب ثم
توفي وولي المنذر بن محمد فاقام واليا خسا وعشرين سنة ثم توفي وولي عبد
الرحمن وتلقب بالناصر لدين الله وجلس مجلس الخلافة وتسمى بامير المؤمنين
وكان سن تقدمه يخطب لبني العباس ولما ظهرت بنو عبيد وخطب لهم
بامير المؤمنين اقتدا بهم واقام واليا خسين سنة منها خمس وعشرون في غزو
وحروب وباقيها في الخلافة والراحة وبنى الزهراء فكملة في خمس وعشرين
سنة . وحصر الامناء ما انفق عليها فوجدوه خمسة وثلثين مدا من الدراهم
القاسمية سوى ما سخر فيها من الرمية وزوامل واصحابه واجناده
ثم توفي وولي ولده الحكم ابن عبد الرحمن فكانت خلافته خمس عشرة سنة
ثم توفي وولي ولده هشام بن الحكم وتلقب بالمويد وحجب له محمد بن ابي
عامر وكان في غاية الذكاء واستمال الجند وسار في الناس سيرة حسنة وبعث
لكل عمل سن يثق به واحسن للرعايا فكانوا معه على كلمة واحدة . وجوز عن
هشام وجعل بيت مال ونقل اليه اموال الخلافة ولم يبق لهشام سوى الخطبة
والسكة وينفذ الامور ويظهر للناس انها تصدر عن اذن الخليفة وسمت همته
الى ان قاد العساكر الى الروم ونال منهم ما لم يئله غيره من قبله ولا من بعده
وقادهم بنواصيهم وانزلهم من صياصيمهم وجاءتهم من القسطنطينية ومن رومة
الرسل والهدايا وطلبوا مسالمتهم وانزل قوامس قشتالة وجليفة منزلة عماله
وقبلوا سجلاتهم ودخلوا تحت طاعته واقام على هذه الحالة ثمانتي وعشرين
سنة وتوفي سنه ثلث وتسعين وثلثمائة واخبره دونت فيها عدة

دواوين * وقام بالامر بعده ابنه عبد الملك واقرة هشام على ما كان عليه
ابوه فاقام سبع سنين ومات وله عدة وقائع مع العدو وكان النصر له
وسماه الخليفة الحاجب المظفر وقام بالامر بعده اخوه عبد الرحمن فعامل
الاجناد والناس بالكذب وطلب من الخليفة ان يجعله ولي عهد ففعل ذلك
فلما علم بنو امية قاموا عليه وقتلوه وقتلوا هشاما الخليفة معه وقيل ان
الخليفة اختفى ولم يظهر بعد * ولما سمع اهل الجزيرة ثار كل عامل ببلده فثار
زيري بن زيري بناحية غرناطة وعباد القاصي باشبيلية واسماعيل بن ذي
النون بطليطلة وابن هود بسرقسطة وابن الافطس ببطليوس وابن صمادح
بالميرية وابن مجاهد بدانية . هولاء مشاهيرهم . وانقطع اسم الخلافة واشتعل
الحرب بين الامراء وتفرقت كلمتهم وحارب بعضهم بعضا وكثرت الفتن
وانبسط عدو الدين في الجزيرة وبلغ منهم كل مبلغ ما بين قتل واسر وءاخر
الامر التقى صاحب قشتالة على اهل الجزيرة الجزية فادوها . وانما اهلكهم
التجاسد واختلاف الكلمة وها نحن في طرف من ذلك حيانا الله من هذه
الفتن بكرمه عامين . ولما ضعف الطالب والمطلوب من الاندلس وظهر الفتن
ابن فردند قوي عزمه وطمعه في البلاد وصايق على اهلها وكان يغري بعضهم
على بعض ويعين هذا على هذا ويستاصل اموالهم وهم مع ذلك منعكفون
على الانهمالك والمحاربة . وتسمى كل واحد منهم بغير اسمه كالمقتدر والمعتضد
والمتوكل والمؤمن وغير ذلك . وكان ابن عباد ارسل الى الفتن رسولا للمهادنة
فلاطفه الرسول بالكلام واخذ يعتذر عن صاحبه فقال له الفتن لعنه الله
— كيف يحق لي ان ابقي هولاء الحمقى يعني روساء الاندلس وكل واحد
منهم تسمى باسم خليفة وهولا يدفع عن نفسه ضرا ولا نفعا — * قسلت
رحم الله ابن رشيق حيث قال *

مما يبغضني في ارض اندلس سماع مقتدر فيها ومعتضد
القاب سلطنة في غير مملكة كالهري يحيي انتفاخا صورة الاسد
ولم يزلوا في شرهم الى ان تبدد شملهم * ويحكى ان بعض روساء

الاندلس احدى للفنش هدية قيمتها مائة الف دينار فاعوضه عنها قردا
فكان يفتخر بذلك القرد اعادنا الله من الخذلان * واول مدينته اخذها عدو
الدين طليطلة سنة ثمان وسبعين واربعمائة * ولما ملك طليطلة تسمى
لغنه الله بالانبراطور ومعناه كالخليفة عند المسلمين واقسم لا يدع الا سن
يدخل تحت طاعته * ولما راي روستاء الاندلس ان لا طاقة لهم بمداغته
بعثوا الى امير المؤمنين يوسف بن تاشفين ودخلوا تحت طاعته فنصرهم على
عدوهم وجلا عنهم ما كانوا فيه وسياتي ان شاء الله تعالى * ومسكن
الملوك الذين كانوا بالمغرب وهم الفواطم الذين يقال لهم الادارسة قاموا
بالمغرب وامتدت دولتهم ولكن لم يبلغوا درجة الخلافة * فالولهم ادريس بن
عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
ببوع بمدينته ويلي في رمضان سنة اثنتين وسبعين ومائة واستقام له
الامر وكثرت جموعه وذلك في خلافة هارون الرشيد فيقال انه بعث الى
عامله بالقيروان ابراهيم بن الاغلب فبعث الى ادريس سن اغتاله ومات
مسموما وكانت ايامه خمس سنين وستة اشهر * وببوع ولده ادريس
ابن ادريس وكان خلفه في بطن امه ولما كبر استقل بالامر وكانت له
عدة غزوات وهو الذي بنى مدينته فاس واسسها وصارت دار ملك الادارسة
وتوفي سنة ثلث عشرة ومائتين وعمره ثلثون سنة * وتولى ابنه محمد بن
ادريس بن ادريس بعد وفاة ابيه وقسم البلاد بين اخوته وتوفي في ربيع
الاول سنة احدى وعشرين ومائتين فكانت ايامه ثمانية اعوام * وقام
بالامر بعده الامير علي بن محمد بن ادريس بن ادريس وسنه يوم ببوع
تسعة اعوام ببصية من ابيه لما يعرف فيه من الذكاء فسار بسيرة ابيه
وجده في اقامة الحق وتوفي في رجب سنة اربع وثلثين ومائتين فكانت
ايامه ثلث عشرة سنة * وعهد لاختيه يحيى بن محمد بن ادريس
فسار بسيرة اجداده وكثرت العمارة في ايامه وقصده الناس من الافاق
وبنى في ايامه جامع القرويين بفاس ومات من كمد اصابه على حادثة

جرت له يطول شرحها * وقام بالامر بعده الامير علي بن عمر بن ادريس بعد وفاة ابن عمه وقام عليه عبد الرزاق الخارجي فاقتتل معه فانتصر عبد الرزاق عليه وفر علي المذكور املعه وملك عبد الرزاق مدينته فاس فكتب اهل البلد الى يحيى بن القاسم بن ادريس فقتل عبد الرزاق واستقل بملك فاس وتم له الامر الى ان خرج لبعض اعدائه فمات * وخلف ابن عمه يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس وكان اطيهم ذكرا واقوام سلطانا وعدلا وكراما حازما بطلا ذا صلاح ودين ولم يزل على ملكه الى ايام مصالة قائد الشيعة سنة خمس وثلاثمائة فحاصره بفاس بعد المدافعة وصالحه عن حال وباع لعبيد الله الشيعي * وفي سنة تسع وثلاثمائة عاد مصالة للمغرب فسعى يحيى لمصالة فاوثقه بالحديد وعذبه وسبى امواله ونفاه الى مدينته اصيلا واستولى على فاس ربحان المكناسي ثلثة اعوام وقام عليه الحسن بن محمد بن القاسم بن ادريس بن ادريس سنة عشر وثلاثمائة ومات في قتاله ابن ابي العافية لما تغلب على مدينته فاس وخطب لبني مروان ولما قدم ميسور الفتى قائد الشيعة فر ابن ابي العافية وتبعه ميسور بن معه وكانت بينهما حروب الى ان قتل ابن ابي العافية ورجعت بنو ادريس الى غالب بلادهم ما عدا فاس وتمسكوا بدعوة الشيعة * وتولى القاسم بن محمد بن القاسم بن ادريس الملقب بكنون وتوفي سنة سبع وثلثين وثلاثمائة * وتولى ولده احمد بن القاسم كنون وكان عالما فقيها وكان مائلا الى بني مروان فقطع دعوة العبيديين ودخل الاندلس بقصد الجهاد فمات هناك سنة ثلث واربعين وثلاثمائة * وتولى اخوه الحسن بن كنون وهو آخر الادارسة ولا زال الامر لبني مروان الى ايام جوهر لما دخل المغرب فبايع الحسن لبني عبيد * ولما رجع جوهر الى افريقية نكث ورجع للمروانيين الى ايام بلكين عاد الى بني عبيد وءاخرة سلب ملكهم ومات شريدا وبم انقرضت دولة الادارسة من المغرب * وايام ملكهم تقرب من مائتي سنة وبلادهم من سوس الاقصى الى وهران وقاعدة

ملكهم مدينة فاس وكانوا يكابدون مملكتي هاشم وامية * وتمكنت بعدهم يفرن وزناتة من بلاد المغرب وخطب بها الهروانيين والله اعلم بذلك * واما الذين تم لهم الامر وبلغوا مبلغ الخلفاء هم الذين يقال لهم المرابطون والملثمون قبيلة من البربر يقال لها لتونة ولتونة فخذ من صنهاجة ولد عبد شمس بن وائل بن حير خلفهم افريقش لما دخل المغرب فاستوطنوا افريقية وصنهاجة وكنانة من دهاة البربر والبربر قبائل لا تحصى واكثرهم صحراويون وبلادهم في القبلة مسيرة ستة اشهر طولا واربعه اشهر عرضا ولا يعرفون حرثا ولا زرا ولا فواكه وعيشتهم اللحم واللبن يقوم احدهم طول حياته لا ياكل طعاما واكثرهم على السنة والجماعة * قلت والله اعلم هم الذين يقال لهم التوارك في هذا الزمان ويجاهدون السودان * واول من تملك منهم بالصحراء ثيولشان ابن تيكلان ملك الصحراء باسرها ودانت له ملوك السودان وادوا له الجزية وكان يركب في مائة الف نجيب وكان في ايام عبد الرحمن الداخل ودامت ايامه وعاش ازيد من الثمانين وتوفي سنة اثنتين وعشرين ومائتين * وتسولى حفيدة الافريين بن نصير بن فلو يومان فاقام بامر صنهاجة وتوفي سنة سبع وثمانين فكانت ايامه خمسا وستين سنة * وقسام من بعده بامر صنهاجة نصيم بن الاثير الى ستة ست وثلاثمائة فقام عليه اشياخ صنهاجة فقتلوه وتمزق شملهم ولم يجتمعوا على احد نحو مائة سنة وعشرين سنة الى ان قام فيهم ابو عبد الله محمد بن تيفات اللتوني فاجتمعوا عليه وقدموه وكان من اهل الدين والفضل والصلاح والحج فاقام ثلثة اعوام واستشهد بغارة وهم قبيلة من السودان على دين اليهودية وقدموا بعده صهرة يحيى بن ابراهيم الكدالي فاقام على رياسته الى سنة سبع وعشرين واربعمائة فارتحل الى الحج واستخلف مكانه ولده ابراهيم ابن يحيى على قبائل صنهاجة يدبر حروبهم مع اعدائهم ولما قضى يحيى حجه قفل الى المغرب فاجتاز بالقيروان فلقى فيها الشيخ الولي ابا عمران موسى ابن ابي حجاج الفاسي يدرس العلم فجلس اليه وسمع منه فراه ابو

عمران سحبا للخير فسأله عن حاله وعن بلاده فاخبره عنها وعن أهلها . فقال
وما ينتحلون من المذاهب فقال انهم قوم غلب عليهم الجهل فسأله هل يعرف
شيئا من الكتاب والسنة فلم يجد عنده شيئا إلا انه حريص على التعلم صادق
النية فقال له الشيخ وما يمنعك من ذلك فقال يا سيدي غلب على الجهل
وليس عندنا من يرشدنا ولو وجدنا من يعلمنا السنة والقرآن لسارعنا اليه
فان اردت الثواب فابعث معي من طلبتك من يعلمنا ولكم لاجر فانتدب
الشيخ طلبته فلم يجد فيهم احدا فقال الشيخ اني اعرف رجلا ببلد نفيس
من المصامدة تقيا صالحا لقيني هنا واخذ عني علوما كثيرة اسمه وهاج بن زلوا
العطي اكتب اليك كتابا اليه يبعث معك احدا من طلبته فكتب له الشيخ
كتابا فسار يحيى بن ابراهيم الى الشيخ وهاج وناولوه كتاب ابي عمران فانتدب
لذلك رجلا من طلبته يعرف بعبد الله بن ياسين الجزولي * وكان من
حذاق الطلبة ومن اهل الدين والعلم والصلاح فخرج مع يحيى الى بلاده فلما
وصلوا تلقتهم قبائل كدالة وفرحوا بهم . ولما نزل ابن ياسين وحل بساحتهم
راى المنكرات فاشية وان الرجل منهم يتزوج ما شاء من النساء فانكر عليهم
ذلك . وصار يعلمهم الكتاب والسنة وينهاهم عن المنكرات فلما شدد عليهم
تبرؤوا منه ونافروه ومع ذلك لم يجد عندهم من الدين إلا الشهادتين . فلما
راى عبد الله بن ياسين اعراضهم وتبعهم اهواءهم اراد ان يرتحل عنهم . فقال
له يحيى يا سيدي انما جئت بك لخاصة نفسي وما علي ممن ضل من قومي
ولكن ان كنت تريد الاخرة فهذه عندنا جزيرة في البحر اذا حسر الماء عنها
دخلنا اليها على الاقدام فيها الحلال المحض من الشجر والسمك ندخل اليها
ونتعبد فيها الى الموت فقال له نعم فدخلاها ودخل معها سبعة انفار من
كدالة وبنوا بها رابطة فاقام معهم اصحابه يتعبدون فتسامع الناس بهم
وبخبرهم وانهم يطلبون الجنة والنجاة من النار فكثروا يوردون عليهم واخذ عبد
الله يعلمهم القرآن وشرائع الاسلام ويرغبهم في ثواب الله الى ان تمكن من
قلوبهم فسموا بالمرابطين لئلازمتهم رابطة ابن ياسين فلما اجتمع عنده الف

رجل قام فيهم خطيبا ووعظهم وحذرهم عذاب الله وقال لهم لان يجب عليكم قتال سن خالفكم فقالوا له مرنا بما شئت فقال لهم اخرجوا لقبائلكم وادعوهم الى التوبة فان استتابوا وإلا فقاتلوهم فخرج بهم الى قبائلهم واذرهم وحذرهم سبعة ايام فلم يرجعوا عن غيهم فقاتلوهم واول سن قاتلوا منهم كدالة فقتل منهم خلق كثير واسلم الباقون ثم لموتة واخذ يغزوهم قبيلته بعد قبيلة الى ان هداهم الله واجتمعوا على الكتاب والسنة وما يجب عليهم وقسم في القتلى على المرابطين وجعل بيت مال على مقتضى الكتاب والسنة فتسامع به اهل الصحراء وانتشر عدله في بلاد السودان * وتوفي الامير يحيى بن ابراهيم الكدالي فقدم عبد الله بن ياسين يحيى بن عمر اللتوني ليقوم بحروبهم وابن ياسين هو الامير على الحقيقة يامر وينهى ولما قدم ابن ياسين يحيى وكان من اهل الدين والصلاح امره بجهاد العدو * ولما كانت سنة سبع واربعين واربعمئة بعث فقهاء سجلماسة ودرعة الى ابن ياسين يشكون اليه جور عاملهم فغزاهم فوجد عاملها قد استعد له فكانت بينهما حروب انتصر فيها المرابطون وغنموا غنما عظيما وقسمت الغنائم واخذ ابن ياسين الخمس ومهد البلاد وجعل عليها عاملا وابطل المكوس وغير المنكرات ورجع الى الصحراء * ومات الامير يحيى فقدم عليه عبد الله بن ياسين اخا الامير يحيى وهو الامير ابو بكر بن عمر اللتوني وكان ضالحا متورعا فغزا بلاد المصامدة والسودان ففتح بلادا كثيرة * وبعث عبد الله بن ياسين العمال الى ما تحت يده وامرهم بالكتاب والسنة وغزا بالمرابطين مجوس بني غواطه وهم قبائل كثيرة على مذهب صالح بن طريف لما ادعى النبوة في زمن هشام بن عبد الملك وشرع لهم دينا وشرائع سخيفة لعنه الله تركناها خيفة التطويل فقتل بين الفريقين خلق كثير واستشهد عبد الله بن ياسين في تلك الحروب رحمه الله تعالى سنة احدى وخسين واربعمئة * وكان رحمه الله تعالى شديد الورع لم ياكل من لحومهم وانما ياكل لحم الطير وكان ديننا حبرا رحمه الله تعالى * واستقل بالامر ابو بكر بن عمر اللتوني وتصادى

في غزوات بني غوطاة فقتلهم واستاصلهم ففروا بين يديه للصحراء
وتبعهم الى ان احتوى عليهم واسلوا اسلما جيدا * وكان ابو بكر دينا
لا يستحل دماء المسلمين فخرج الى الصحراء لقتال سن بها من كفار
السودان واستخلف على المغرب ممة يوسف بن تاشفين فخرج ابو بكر
للصحراء وبقي يوسف بن تاشفين بنصف الجيش يمهّد البلاد واستقامت
اموره وذلك سنة ثلث وخمسين واربعمئة وفتح غالب بلاد المغرب وكثرت
جيوشه وتوفي الامير ابو بكر في الصحراء شهيدا سنة ثمانين واربعمئة *
واستبد الامير يوسف بملك المغرب كله لا ينازعه منازع ودانت له البلاد
وكان على جانب عظيم من الدين ولباسه الصوف ولم يلتفت الى زخرف
الدنيا ولم ياكل الا الشعير والبان الابل ولحومها مع ما اعطاه الله من الملك
وملك جزيرة الاندلس والسودان والمغرب الى جزائر بني مزغنة ولم يجز
في بلاده مدة حياته مكس ولا ما هو خارج عن الشرع وخطب له على
الف وتسعمائة منير وبنى مدينة مراکش وجعلها مستقرا لملكه . ولما شاع
ذكره في الوجود بعث اليه اهل الاندلس لنصرتهم لان عدو الدين تغلب
على اهل الجزيرة وكان رسولهم المعتمد بن عباد فلقبه في احواز طنجة فشكا
اليه بحال اهل الجزيرة وما عليها من الخوف والذل فوعده بالمسير اليهم
وبعث الى جميع اعماله يرغبهم في الجهاد ويستفرغهم معه فاجتمع له
خلق عظيم ودخل الى الاندلس بجيوش المرابطين بقصد الجهاد سنة تسع
وسبعين واربعمئة وكانت له بها الواقعة المشهورة بالزلاقة * وكان عدد
سكك الفنس لعنه الله فيما نقل ثمانين الف فارس ومائتي الف راجل فلم
ينج منهم الا الفنس ومعه اربعمئة مقلون بالجراح ولم يدخل الى بلد
قشالة الا في خمسين فارسا وبعث يوسف الى جميع البلاد بهذا الفتح وكان
يوم الجمعة ثاني شهر رجب سنة تسع وسبعين واربعمئة وفيه يقول من قصيدة
لم تعلم الروم اذ جاءت مصممة يوم العروبة ان اليوم للعرب
والعرب تسمي يوم الجمعة العروبة وانصرف راجعا الى العدو ودخل الى

الاندلس مرة أخرى في سنة إحدى وثمانين وأربعمائة فتلقت ابن عباد
بالق دابة تحمل الميرة فعثا في بلاد الكفرة وحرق وخرب ورجع إلى
العدوة فاقام إلى سنة ثلث وثمانين وأربعمائة ثم دخل الاندلس أيضا
برسم الجهاد فلم يلقه أحد من رؤساء الاندلس وهما بغدوة ففطن بهم وكان
عاهدهم أن لا يغدر بهم * فسلما احسن بمكرهم استفتى عليا * هم فكلهم افتاه
بخلعهم أي خلع امراء الاندلس وقالوا ليوسف نحن خصمنا وك عند الله لأن
هؤلاء لا تجوز طاعتهم لما ارتكبه من الفجور وانتهاك المحارم وصيعوا غالب
البلاد فتغير عليهم يوسف وخلعهم واحدا بعد واحد واخذ ابن عباد اسيرا
وسجنه في اعقاب إلى أن مات في السجن ويحكى أن يوم موته نودي
عليه الصلاة على الغريب * وروي أن بعض بناته تغزل بالاجر في بيوت
بعض خدامهم وابن ابنة يضرم النار في حاثوث صائغ بعد ما كان ملكا
على اشبيلية وقرطبة ودام ملكهم بها نحو ثمانين سنة فسبحان من لا يزول
ملكه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون * ولما استوثق المغرب والاندلس ليوسف
ابن تاشفين تسمى باخير المسلمين وضرب الدرهم والدينار باسمه ونقش
في الدينار - لا اله الا الله محمد رسول الله - وتحت ذلك - امير المسلمين
يوسف بن تاشفين - وفي الوجه الآخر - ومن يبتغ غير الاسلام دينا قلن
يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين الامير عبد الله امير المؤمنين العباسي
ولا زال يبعث جيوشه إلى الاندلس متفقدًا لآحواها إلى أن مات سنة
خمسائة وعمره مائة سنة رحمه الله تعالى * واستقل بالامر بعده ابنه
امير المؤمنين علي بن يوسف بن تاشفين ببيع بمرآكش يوم وفاة ابيه
اول المحرم سنة خمسائة وتسمى بامير المؤمنين وملك جميع بلاد المغرب من
بجاية إلى السوس الاقصى وبلاد القبلة من سجلماسة إلى جبل الذهب
من بلاد السودان وجميع بلاد الاندلس وملك ما لم يملكه ابيه وخطب له
على الفتي منبر وثلاثمائة منبر * واقام العدل وتولى الجهاد وسار سيرة ابيه
وهذا في وفوض احكام البلاد إلى القضاة ودخل الاندلس سنة ثلث وخمسائة

فأقام شهرا على طليطلة * وكان في عسكرة مائة ألف فارس ففتح عدة
قلاع ونكى فيها الروم وفعل بهم العجائب ورجع إلى المغرب * ودخل
إلى لاندلس مرة ثانية بجيوش لا تحصى فنزل على قرطبة وتفقدها
وولى ابن رشد القضاء وغزا عرب لاندلس ففر أمامه الروم وتحصنوا
بقلاعهم وقتل وأسر منهم خلقا كثيرا لا يحصى ورجع إلى العدو سنة
أربع عشرة وخمسمائة * وفي هذه السنة ظهر الأمام المهدي محمد بن
تومرت ونازل مراکش وكسر عدة جيوش لعلي بن يوسف * ومن
هذه السنة أخذ أمر المرابطين في التدهور ودامت أيام علي بن يوسف في
حروب مع جيش المهدي إلى أن توفي سنة سبع وثلاثين وخمسمائة *
وتولى بعده ابنه تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين بويج بعد وفاة
والده وجهاز الجيوش لقتال عبد المومن وكابد في دولته أهوالا شاقة ولم
يصف له الدهر بشيء لأن دولته عبد المومن في الأقبال ودولته أخذت في
الادبار ولم تكن له أخبار يذكر بها كمثل سن تقدمه من أهل بيته إلى أن
توفي رحمه الله وهو في مكافحة أعدائه * وهذه الدولة الليتونية ويقال لها
دولة المرابطين ودولة الملمشين أيضا كانت من أجل الدول بالمغرب وملك
من البلاد ما ذكرنا وما لم نذكره خشية الإطالة وحسبت دولا كانت قبلها
بالمغرب مثل مغراوة وبني يفرن ملوك فاس ودولة القيام بالاندلس ويقال
لهم ملوك الطوائف فكان بن عباد وأمثاله وأحسن أيامهم أيام يوسف بن
تاشفين * ونأهيك أن أمام عصره وهو الشيخ الأكمل صاحب العلوم النفيسة
أبو حامد الغزالي كان عزم على دخول المغرب في أيام يوسف بن تاشفين
فلما وصل لاسكندرية بلغه موت أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فرجع
إلى المشرق هذا لما يسمع الشيخ عنه من الصلاح رحم الله الجميع آمين *
وقيل إنما خرب ملك لمتونة بدعاء الشيخ الغزالي وذلك في أيام علي
ابن يوسف دخل كتاب أحياء علوم الدين للغزالي إلى المغرب وظهر عند
الناس وراوا فيه تشديدا فهجروه وانكروه علماء لمتونة لأنهم كانوا غير عالمين

بعلم الاصول فبلغوا في الانكار فيه الى ان اقتتوا بحرقه وتمزيقه حيثما وجدوه وتطلبوه عند الناس فمن انكرة حلفوه بالايمان المغلظة كالطلاق وغيره ولما بلغ الشيخ الغزالي ذلك دعا عليهم بان قتال مزق الله ملكهم وكان اذ ذاك في مجلسه محمد بن تومرت فقال على يدي يا سيدي فقال وعلى يدك فكان كذلك وانقرضت دولتهم كعادة الدهر ما عز دولة إلا وأعقبها بالقهر والملك لله وحده لا اله غيره ولا معبود سواه * وممن الدول التي كانت بالمغرب الدولة الموحدية والخلافة المومنية واصل مبداهما الامام المهدي واورثها عبد المومن بن علي وبنيه الى ان بلغت لبني حفص وانا اذكر طرفا من ذلك بعون الله سبحانه وتعالى * ذكر المورخون ان المهدي اسمه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن عام بن عدنان بن شعبان بن صفوان بن جابر بن يحيى بن عطاء بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه * وقبيل هو دعي في هذا النسب ذكره ابن مطروح وقال هو رجل من المصامدة والله تعالى اعلم * واول امره كان متشكفا مشغولا بطلب العلم فرحل الى المشرق ولازم ابا حامد الغزالي ثلث سنين وحصل عليه علما عظيما * وكان ابو حامد اذا رآى ابن تومرت يقول لا بد لهذا البربري من دولة فذكر بعض الطلبة لابن تومرت مقالة الشيخ واخبره ان ذلك عند الشيخ في كتاب له فلازم ابن تومرت ابا حامد الى ان اطلعه على ذلك فقفل الى المغرب سنة عشر وخمسة فما اجتاز ببلد إلا وغير فيه المنكر ويظهر الزهد في الدنيا والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ويدرس العلم الى ان وصل الى افريقية والى المغرب وكان اوحد عصره في علم الكلام فلما بلغ الى بجاية وقيل تلمسان لقيه عبد المومن بن علي فانضاف الى خدمته واطلعه ابن تومرت على ما في مراده فبايعه على موازنته في الرخاء والشدة فلما وصل الى فاس قام يدرس العلم في بعض مساجدها الى سنة اربع عشرة وخمسة فارتحل عنها الى مراکش فقصد مسجدا يابوي اليه

وصار يمشي في الأسواق ويغير المنكر ويكسر الزامير فباع ذلك لعلي بن يوسف فامر بأحضاره فرأى نقشه فسأله عن فعله فقال له - أيها الملك إنما أنا رجل فقير وغيرت منكرا وانت أولى بذلك لقد تركت عليه - ووعظه وحذره فلما سمع الأمير علي مقالته جمع له الفقهاء وأشياخ المتون وأمرهم بمناظرته فابكت الجميع وكان الغالب عليهم علم الحديث وليس لهم علم بالأصول والمجدل فلما ابكتهم لبسوا عليه وقالوا هذا رجل خارجي فأمرة الأمير بالخروج من المدينة فخرج إلى الجبانة وبني خيمة بين القبور وقعد فيها وأنته الطلبة يقرعون عليه وكثرت التلاميذ وأمثالات قلوبهم بمحبته وأعلم الخواص منهم بما يريد وأخذ يطعن في دولة المزابطين وإنهم كفرة مجسمون وأنه هو الإمام المهدي المنتظر فتابعه على ذلك ألف وخمسمائة رجل فبلغ خبره إلى أمير المسلمين علي بن يوسف فبعث إليه وقال له - أثق بالله في نفسك ألم أنهك عن هذا الجمع - فقال له - أيها الأمير أنا امتثلت أمرك وسكنت بين القبور فلا تسمع لأقوال المضلين - فاعظ له في القول وانتهره ولما خرج من عنده قال له وزيره - هذا الرجل لم يرد بك إلا شرا أقتله والا فخلده في السجن وإن بقيت عنده ليسمعتك طبلا يسمع به في الخفافين وأظن هذا هو صاحب الدرهم المربع - فبدا الأمير المسلمين فيم وأرسل خلفه بن يوثقة فسمع بعض تلاميذه فأتى حتى قرب من المهدي ونادى برفيع صوته - يله موسى أن الملا يأمرون بك ليقتلوك - ففطن المهدي وخرج على وجهه إلى أن وصل ثينمال في شهر شوال سنة أربع عشرة وخمسمائة فاحق به أصحابه العشرة عبد المؤمن بن علي - وأبو محمد البشير - وأبو حفص عمرو بن يحيى الهبتائي وهو جند الحفصيين الذين ملكوا تونس فيما بعد - وأبو حفص عمر بن علي - وسليمان بن خلوف - وأبراهيم بن إسماعيل الهرجي - وأبو محمد عبد الواحد بن موسى بن تمار - وأبو يحيى بن مكث - هؤلاء هم السابقون لدعوته فباعوه على الرخاء والشدة وأقاموا بثينمال إلى رجب سنة خمس عشرة وخمسمائة فاجتمع عليه خلق كثير وأما رأى

ذلك اظهر امره وبايعوه بيعته رضى * واول سن بايعه اصحابه العشرة
ثم بايعه اصحاب تينمال وسائر القبائل فارسل من اصحابه الى البلاد
القاصية ودعوا الناس لبيعته وذكروا لهم فضائلهم فدخل الناس في طاعته
واتوا من كل فج عميق واعلمهم انه هو الامام المهدي المنتظر وجعل لهم
توحيدا بلسان البربر وسمى الذين دخلوا في طاعته الموحدين * ولا يزال
يخدعهم بمكره الى ان تمكن من قلوبهم فلجئهم عنده ازيد من عشرين الفا
فخطب بهم وندبهم لجهاد لتبوءت في بيعته على الموت فانتهى منهم عشرة
الاف وبعثهم الى مدينة اغماء فالتصّل الخبر بامير المسلمين فبعث اليهم
جيشا فهزمه اصحاب المهدي واتبعوهم بالسيف الى ان ادخلوهم مراکش
واتو بغنائهم فقسمت بين الموحدين . وانتشر خبر المهدي في جميع بلاد
المغرب والاندلس وتماذى في قتال سن خالفه وجهز جيشا اخر فحاصروا
مراكش ثلثة اعوام وارحل عنها وذلك من سنة ست عشرة الى سنة تسع
عشرة * ولما رجع الى تينمال استراح بها وخرج الى اغماء وسائر سن خالفه
الى ان دانت له البلاد وبعث الى مراكش جيشا اخر وقدم عليهم عبد
المومن بن علي وابا محمد اليسير وجعل عبد المومن امام الصلاة فالتقى
بهم جيش امير المسلمين علي بن يوسف فهزموه الى ان ادخلوه مراكش
وغلق الابواب في وجوههم فحاصروه ثلثة ايام . ورجعوا الى تينمال فخرج
المهدي الى لقائهم وفرح بهم وعرفهم بما يكون لهم من النصر والفتح ومدة
ملكهم واعلمهم انه يموت في تلك السنة ثم بدا به مرضه الذي مات فيه
وقدم عبد المومن للصلاة وتوفي في شهر رمضان سنة اربع وعشرين وخمس مائة
هذا ما يخص خبر المهدي ولو تتبعنا خبره لطال الكلام وانما اثبت بهذا القدر
ليتمهد الامر الى دولة بني حفص . وللناس في اخبار المهدي عدة روايات بين
مكثرين ومختصرين ومقلين . والمسهدى ممن مهد الملك لغيره وبأه بائمه
وشرة وكان حاصورا فيما قيل عنه وفخذه ملصقين الى ركبتيه ولا يركب
على الدابة الا بعرضا والله اعلم بحقيقة امره واستخلف بعده عبد المومن .

الخسبر عن خلافة عبد المومن بن علي الكوفي الزناتي

هو ابو محمد عبد المومن بن علي الكوفي الزناتي كان ابوه نجارا يعمل النوافخ
وعبد المومن تطلب العلم من صغره ولازم المساجد الى ان اتصل بالمهدي
فضمه اليه لما اراد الله سبحانه به * بويج بعد وفاة المهدي بيعة خاصة
بايعه عشرة من اصحاب المهدي لما يعرفون من سجيته وتقديمه المهدي
له في حياته * وبسويج البيعة العامة سنة ست وعشرين وخسمائة
ولم يتخلف عنه احد * وفي ايامه انقطعت دولة لمتونة من المغرب واول
فتحه بلاد تادلا خرج اليها من تينمال في ثلثين الفا من الموحدين ففتحها
وسبى ثم غزا درعة ففتحها وبلاد فزان وغيانة ولا زال يفتح بلدا بلدا وقبيلة
قبيلة ولم تنزل الحرب بينه وبين علي بن يوسف الى ان مات علي وتولى
بعده ولده تاشفين فقامت بينهما الحرب وجرت بينهما وقائع عديدة وسار
عبد المومن الى تلمسان فسبقه تاشفين اليها فاقى عبد المومن اليها وحاصره
بها وخلف جيشا عنها ورحل الى وهران فخرج تاشفين خلفه ليدرك
وهران فمات تاشفين في تلك الخطرة وفتح وهران واخذ تلمسان سنة اربعين
وخسمائة * وبسعت الى لاندلس جيشا ففتحوا ما هنالك وبايعه اهل
لاندلس وملك مدينة فاس * وفي سنة احدى واربعين وخسمائة ملك
ظنجة وفيها ملك مدينة مراكش * وفي سنة اثنين واربعين وفد اليه اهل
اشيلية بالبيعة وفيهم ابو بكر بن العربي فساله عبد المومن هل راي المهدي
عند الشيخ ابي حامد الغزالي قال ما لقيته ولكن سمعت به فقال له فما
كان ابو حامد يقول فيه قال كان يقول لا بد لهذا البربري ان يكون له
شان * وفي سنة ثلث واربعين وخسمائة دخل عبد المومن سجلماسة
واسن اهلها ورجع الى مراكش ثم غزا بني غواطة فهزموه ثم كانت الكرة عليهم
فاجال عليهم السيف حتى لم يبق منهم الا سن لم يبلغ الحلم وقام عليه
اهل سبتة وخلعوا طاعته وذلك براى القاضي عياض وبايعوا لابن غانية
فتحرك عبد المومن وقاتل اصحاب ابن غانية وهزمهم فلما علم اهل سبتة

كاتبوا عبد المومن وطلبوا منه الامان فامنهم وعفا عنهم وعن القاضي عياض
وامره بسكنى مراکش وفيها فتحت مكناسة بعد محاصرتها سبعة اعوام
ودخلها بالسيف * وفيها فتحت قرطبة واخذها من يد لمتونة ومدينة
جيان * وفي سنة اربع واربعين وخسمائة اخذ مليانة * وفيها فتحت
مدينة بجاية ملك بني جاد بعد محاصرتها ونزل صاحبها بالامان فامنه
ونقله باهله الى مراکش * قسـلت الذي اخذت منه بجاية
اسمه يحيى بن العزيز والذين ملكوا بجاية اولهم جاد بن يوسف بلكين
الذي تقدم ذكره عند ذكر صنهاجة وجاد هذا قام على ابن اخيه باديس
وكانت بينهم ملاحم واستقل بعد ذلك بالبلاد الغربية واتخذ بجاية دار
ملك فبقيت في يد بنيهم الى زمن عبد المومن واوالم جاد كما ذكرنا ثم
ابنه القائد بن جاد ثم ابنه الآخر محمد بن جاد ثم بلكين بن محمد بن جاد
ثم الناصر بن علاء الناس بن جاد ثم ولده المنصور بن الناصر ثم ولده
باديس بن المنصور بن الناصر ثم اخوه العزيز بن المنصور ثم ولده يحيى
ابن العزيز وهو آخر ملوك بني جاد وانقرضت دولتهم وملك عبد المومن
جميع ما بأيديهم مثل بونة وجزائر بني مزغنة وهي مدينة الجزائر
اليوم وقسمطينة وغيرها ورجع الى مراکش * وفي سنة احدى
وخسين وخسمائة بايع له اهل غرناطة * وفي سنة ثلث وخسين
وخسمائة تحرك امير المومنين عبد المومن بن علي من مدينة مراکش
وقصد افريقية بامم لا تحصي فوصل الزاب وبلاد افريقية فقتل سن
عصى واسن سن استاسن الى ان وصل مدينة تونس فحاصرها ثلثة ايام
وارتحل عنها وترك جيشا محاصرا لها وسار الى القيروان ففتحها وفتح سوسة
وصفاقس وارتحل الى المهديّة فحاصرها سبعة اشهر وضايق عليها برا وبحرا
ونصب عليها المجانيق وجعل قتالها نوبا ليلا ونهارا حتى فتحها
وقتل خلقا كثيرا من النصارى الذين كانوا فيها ورد اليها صاحبها
الحسن بن علي بن يحيى بن تميم الصنهاجي الذي اخذت منه المهديّة.

وكان لما أن فرغ منها قصد ابن عمه ابن حنبل فلم يلق عنه مراده وهم
بالقبض عليه ففروا منه إلى الجزائر واستوطنوها إلى أيام عبد المؤمن لما قصد
بلاد المشرق فالتقى به الحسن وباتت معه وشارعته إلى أن أخذ الهدية فرددها
إليها وخطب له بها * وفتح مدينة تونس وخطب له بها وفتح
جميع بلاد إفريقية من برقة إلى تلمسان ولم يبق له منازع وفرق عماله
وقضاة * وقبيل فتح المهدية كان ستة خصال وخمسين والله أعلم . وفيها
امر عبد المؤمن بن علي بتكشير بلاد إفريقية من برقة إلى السوس الأقصى
طولا وعرضا بالفراسخ والاميال واسقط الثلث من التكشير في مقابلة الجبال
والأنهار والنسباج وما بقي قسط عليه الخراج والزم كل قبيلة قسطها من
الزرع والتورق * وهو أول من أحدث ذلك بالمغرب وأرسل عن
إفريقية إلى المغرب وأخذ من كل قبيلة من غرب إفريقية ألفا وأدخلهم
إلى المغرب بغيا لهم * وفي سنة ست وخمسين وخسمائة جاز عبد المؤمن
من طنججة إلى الأندلس متسرفا على أحوال البلاد ورجع إلى مراكش * وفي
سنة سلب وخمسين وخسمائة امر بإنشاء الأساطيل في جميع بلاده وأراد غزو
بلاد الروم برا وبحرا فاجتمع له قريب من سبعمائة قطعة وافر بضرب
السهام في جميع عمله فكان يضرب له منها في كل يوم عشرة قناطير *
وامتجلب الاجتاد والمطوعة من سائر عمله يستقرهم للجهاد فاجتمع له
مما لم يجتمع لغيره من بلاد إفريقية والمغرب والقبائل واجتمع له من
الموحديين وقبائل زناتة ومن العرب أزيد من ثلثمائة ألف فارس ومن جيوش
المطوعة ثمانون ألف فارس ومائة ألف راجل فصاقت بهم الأرض * ولما
استوفيت له الجيود وتطاولت إليه الوفود ابتداء المرض الذي توفي منه
في جهازي الأخيرة سنة ثمان وخمسين وخسمائة وعمره ثلث وستون سنة
وقبيل أربع وستون وأيام خلافته ثلث وثلثون سنة وخمسة أشهر
فبقيت الحية الدائم الذي لا يموت ودفن بأزاء المهدي في تينمال *
وكان رحمه الله فقيها عالما بالجدل والاصول حافظا للحديث النبي

صلى الله عليه وسلم مشاركا في علوم كثيرة الدينية والدنيوية وعلم النجوم واللغة والادب والتاريخ وعلم القراءات نافذ الرأي ذا حزم وسياسة وشجاعة واقدام ميمون النقيبة لم يقصد بلدا إلا وفتح به . وكان سخيا كريم الاخلاق محبا لاهل العلم مقربا لهم وله شعر جيد وامتدحه بعض الشعراء واظنه من بلد بنزرت بتصيدة اولها :

ما هز عطفيه بين البيض والاسل مثل الخليفة عبد المومن بن علي
فلما انشد بين يديه هذا البيت اشار اليه بالسكوت وامر له بالف
دينار * ولما عاد اليه من الغد انشده البيت المذكور فاسكته وامر له
بالف دينار * ولم يزل ينشده كلما دخل عليه ويامر له بالف الى ان
اوصله باربعين الفا . فحسده بعض الشعراء وقال له - الى متى وما يامنك
من تغيير اخلاق امير المومنين وقد اوصلك بما فيه غنائك - فارتحل من
فوره الى بلدة . وسال عنه عبد المومن فاخبر برحيله فقال - لا حول ولا قوة
إلا بالله لقد ظن بنا غير ما اردناه ولو طال مقامه لزدناه على ذلك - فقيل
له - لم لم تسمع تمام القصيدة - فقال عبد المومن - وما عسى ان يقول
بعد قوله ما هز عطفيه (البيت) رحم الله هذه النفوس الابية والاخلاق
المرضية ماتوا وذكرهم لم يميت سبجان الحي الدائم الذي لا يموت *
الخبر عن خلافة يوسف

ابن عبد المومن بن علي الكومي الزناتي
ببيع في الحادي عشر من جمادى الاخرة سنة ثمان وخمسين وخسمائة
بعد وفاة ابيه وكان عاقلا صالحا مترفقا في سفك الدماء حسن السياسة
اخذ منهج ابيه وسار بسيرته واستكثر من الجيوش ومهد البلاد وضخم
الملك * وكان ملكه من قاصية افريقية الى السوس الاقصى الى بلاد القبلة
وبلاد الاندلس تجبى اليه خراجها دون مكس ولا جور فكثرت الاموال
وامنت الطرقات وكان يتفقد احوال مملكته لا يتكل على احد من وزرائه *
وجاز الى الاندلس سنة ست وستين متفقدا لاهوالها واقام بها اربعة

اعوام وعشرة اشهر ورجع الى مراكش سنة احدى وسبعين * ودخل افريقية سنة خمس وسبعين لقيام ابن زيري بقفصة فنزل على قفصة وملكها وصلب صاحبها ابن زيري وعاد الى مراكش * وفي سنة تسع وسبعين جاز الجواز الثاني الى لاندلس ونزل على شتتين غربي لاندلس فحاصرها حصارا قويا واستشهد هناك فحمل الى تينمال ودفن هنالك بجانب قبر ابيه * وتوفي سنة ثمانين وخسمائة وعمره سبع واربعون سنة واقامته في الملك احدى وعشرون سنة واشهر وقام بالامر بعده ولده يعقوب *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين يعقوب

هو المنصور بالله بن امير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي كان يعقوب هذا اجل ملوك الموحدين ذا رأي وحزم ودين محبوبا للعلماء ويحضر جنازتهم ويزور الصالحين ويتبرك بهم عالما بالحديث واللغة مشاركاً في علوم كثيرة مواظبا على الجهاد وهو اول من كتب العلامة بيده من ملوك الموحدين وعلامته « الحمد لله وحده » وكانت ايامه زينة الدهر والامن في جميع عمله حتى ان الطغينة تخرج من برقة الى اخر المغرب ولا يتعرض لها احد وبني المساجد في سائر عمله والمؤسسات للبرى واجرى لهم الارزاق * وخالفت عليه مدينه قفصة فوصل اليها سنة ثلث وثمانين وفتحها * وغزا عرب افريقية فهزمهم واستباح اموالهم ونقلهم الى المغرب ورجع الى مراكش دار ملكه * وفي سنة خمس وثمانين جاز الى لاندلس فنازل اشترين واشبونة فنكا فيهما وسبى من النساء والذرية ثلثة عشر لفا ورجع الى العدو ونزل مدينة فاس فانتبه الاخبار ان الميورقي قام بافريقية فرحل عن فاس ودخل افريقية ونزل على تونس فوجد الاحوال ساكنة والميورقي فر امامه الى الصحراء حين سمع بتقديم امير المؤمنين يعقوب المنصور * قلت ذكر ابن الشماخ رحمه الله الميورقي ولم يستوفه من حقه وها انا اذكرك هنا لاثمام الفائدة : هو علي بن اسحاق بن خويته الصنهاجي صاحب ميورقة ومنورقة وياسته ثلث جزر في البحر

توفي ابيه اسحاق سنة ثمانين وخسمائة وخلف اولاداً ، فعلي هذا ويحيى
اخوه خرجا الى افريقية وصنعا العجائب بها واخوهما محمد خدم دولة الموحدين
واخوهم عبد الله وهو اصغرهم ملك ميورقة وعصى الناصر بن المنصور
فتحرك اليه لما دخل افريقية سنة اثنيتين وستمائة * وحاصر الناصر
ميورقة فمات عبد الله بن اسحاق في تلك الحروب فحمل راسه الى مراکش
وعلفت جثته على سور ميورقة ولم تزل ميورقة في يد المسلمين الى سنة
سبع وعشرين وستمائة اخذها عدو الدين كما اخذ غيرها اعادها الله للاسلام
بمنه وكرمه * واما علي فانه عاث بافريقية عند اشتغال امير المؤمنين يعقوب
المنصور ببلاد الاندلس فلما سمع به تحرك اليه في هذه السنة ففر امامه
ولما رجع امير المؤمنين الى المغرب رجع الميورقي الى افريقية وملك المهدية
وتونس وعسفى عماله على تونس والزم اهليها مائة الف دينار ولم يزل متباديا
على حاله في الفساد حتى تحرك اليه الناصر بن المنصور وكانت له
وقعات وحروب وسياتي بقية خبره عند ذكر الناصر * وكان الميورقي
شجاعا مقداما وتوفي سنة ثلث وثلثين وستمائة في زمن بني حفص ذكره
غير ابن الشماخ * ولما فر الميورقي الى الصحراء رجع امير المؤمنين يعقوب
المنصور الى المغرب بعدما سكن احوال افريقية ودخل تلمسان واصابه
مرض ورحل عنها ودخل فاسا فاقام بها حتى عوفي ورجع الى مراکش
فاقام بها الى سنة احدى وتسعين وخسمائة فيها اتصلت به الاخبار ان
الفتش عاث في بلاد المسلمين ولم يصدده احد واغتنم الفرصة في غيبته
ومرضه اي غيبة الخليفة المنصور وفعل بالمسلمين الاوابد واستحوذ على اكثر
معاقلهم فانتدب المنصور جيوشه من الموحدين والاعزاز والمطوعة والمرزقة
وقصد الجواز الى الاندلس فارسل اليه النصراني كتابا يقول فيه - من
ملك النصرانية الى امير الحنفية اما بعد فان كنت عجزت عن الحركة
علينا وتناقلت عن الوصول الينا فابعث الي مراكب من عندك اجوز فيها
بجيشي اليك فان هزمتني فهديتة جاءت الى بين يديك وانت امير

المومنين وان كانت لي عليك كنت انا صاحب الملتين والسلام -
فسلما قراه اخذته الغيرة الاسلامية ورمى بالكتاب الى ولده ولي عهده *
فاجاب على ظهر الكتاب بتوقيع يده « ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل
لهم بها ولنخرجهم منها اذلة وهم صاغرون » فسر المنصور بهذا الجواب
ودخل الاندلس سنة احدى وتسعين وخسمائة * وكانت له على الروم
نصرة عظيمة قتل فيها منهم ما لا يحصى وكان الفتن لعنه الله انضم
اليه من جميع الاجناس حتى قيل كان معه ثلثمائة الف ما بين راجل
وفارس فهزمهم الله ونصر المسلمين ودخلوا حصن الاراك الذي سميت به
الواقعة واخذوا منه ما لا يعلم قدرة إلا الله ومن الاسارى اربعة وعشرين
الفا فمن عليهم امير المومنين يعقوب المنصور واطلقهم * واستشهد من
المسلمين من كتبت له السعادة والذي سبق له الحسنى وزيادة * ومات
فيها الشيخ يحيى بن ابي حفص جد الحفافة وكان من اكبر قواده وزعمائه
وكانت تحت اخت الخليفة المنصور بالله وكانت هذه الغزوة العظمى
تاسع شعبان من السنة المذكورة وهي اعظم غزوة على ايدي الموحدين . وقسم
الغنائم وكتب بالفتح الى جميع البلاد واقام باشيلىة الى سنة اثنتين
وتسعين وخسمائة خرج الى غزوته الثانية وفتح قلعة رباح ووادي
الحجارة ومعقل كثيرة * وحاصر طليطلة واحرق رباطاتها ولصب عليها
المجانيق ثم ارتحل عنها الى سلتكة فدخلها بالسيف وقتل رجالها ونساءها
ورجع الى خضرة ملكه مراکش واخذ البيعة لولده محمد الملقب بالناصر
واجلسه في حياته مجلس الخلافة * ولما استوثق الامر لولده دخل
المنصور الى خضرة فلزمه وبدا فيه المرض الذي مات به في الثاني
والعشرين من ربيع الاول سنة خمس وتسعين وخسمائة بقصبة مراکش *
وقيل انه تقيت وزهد في الدنيا وارتحل الى المشرق ومات هناك
واهل الشام مقرر هذا الخبر عند عامتهم والله اعلم * وكان رحمه الله اجل
ملوك الموحدين وابعدهم صيتا واحسنهم في جميع الامور له الهمة العالية

والسيرة الحسنة والدين المتين والراي الصائب * ويحكى انه بعث لبعض عماله لينظر له رجلا لتاديب اولاده فبعث العامل له برجلين وكتب معهما كتابا يقول فيه - قد بعثت اليك رجلين احدهما بحر في علمه والاخر بر في دينه - فلما امتحنهما لم يرضياه فوقع على ظهر كتاب العامل - ظهر الفساد في البر والبحر - رجه الله وعفا عنه بمنه وكرمه والبقاء لله لا رب غيره ولا معبود سواه *

الخبر عن خلافة امير المومنين محمد الناصر

هو ابن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المومن بن علي بويج في حياة والده وجددت له البيعة يوم الجمعة صبيحة الليلة التي توفي فيها والده وتم له الامر وتعاطى تدبير الامور بيده وخرج الى مدينته فاس وبني اسوارها وقصبتها . وجاءته الاخبار ان الميورقي غلب على اكثر بلاد افريقية واخذ المهدية وضيق على اهل تونس والزمهم مائة الف دينار وقد مرءانفا فرحل من مراكش سنة ثمان وتسعين ولما وصل الى جزائر بني مزغنة امر بانشاء اساطيل واخذ في تجهيز العساكر الى ميورقة ففتحها وقتل صاحبها عبد الله بن اسحاق وفر اخوه يحيى ودخل الصحراء * ووصل الناصر الى افريقية فاطاعه كل من عصى عليه ما عدا المهدية لان العامل بها من قبل الميورقي وكان شهما صاحب دهاة فحاصره بها ونصب عليها المجانيق فلما راي العامل ان لا طاقة له بقتال الناصر ركن الى الصلح فصالحه وعفا عنه وكان فتحها سنة احدى وستمائة * وفي سنة اثنتين وستمائة اراد الناصر الرجوع الى المغرب فخلق على افريقية الشيخ ابا محمد عبد الواحد بن ابي بكر بن ابي حفص ومن يوشد استقرت قدم بني حفص بافريقية وجعل الشيخ ابو محمد عبد الواحد تونس دار الامارة الى يومنا هذا جعلها الله مدينة اسلام الى يوم الدين آمين * ومن هنا نشرع في ذكر بني حفص لان هذه الحوادث التي ذكرناها انما هي تمهيد لما سيأتي من اخبار الحضرة العلية وليعلم الناظر في هذا المجموع ضخامة البلاد

الافريقية ولكن ناثي ببقية اخبار الخلفاء لانعام الفائدة ونرجع للذي
قصدها عائدین ولا بد للذي من الصلوة والعائد * ولما تمكن الشيخ
عبد الواحد من البلاد رحل الناصر الى المغرب فوصل الى مراكش سنة
خمس وستمائة * وفي سنة ست جاءت الاخبار من لاندلس ان الفتح
ملك بيوننة وتغلب عليها فكتب الناصر الى سائر عمله واستفزع الناس
للجهاد وخرج من مراكش سنة سبع وستمائة فوصل اشبيلية واحتزت بلاد
لاندلس لخبرة . فدخل الرعب في قلب عدو الله فطلب الصلح وبعث
ارساله يطلب من امير المؤمنين ان يصل بين يديه ويحكمه في نفسه
وماله * فاذن له في الوصول الى حضرته وكتب الى جميع عماله ان من
اجتاز به الفتح يضيفه ثلثا ويمسك من حكمة الف فارس فما وصل
مدينة قرمونة الا ومعه الف فارس فسكت هنالك فقال لعاملها - كيف
يكون مسيري وحدي - فقال - تسير في ذمام امير المؤمنين - فسار في
خدمته ومعه زوجته وقدم بين يديه هديته واحضر معه الكتاب الذي
كان بعثه النبي صلى الله عليه وسلم لبني الاصفه وبقي محفوظا عندهم الى
قلك المدة واظنه الى الان موجودا * ولقد رآه بعض ارسال بني حفص
في ايام دولتهم واخبر بانه قرأه وهو باق عندهم ويعترفون ببركته * ولما
وصل الفتح الى الناصر اكرمه واعطاه صاحبا تاما وكتب له بذلك - ما
دامت دولة الموحدين - وصرفه الى بلاده . وارتحل الناصر الى قشتالية
فحصرها ستة اشهر ودخل الشتاء وقلت الميرة وغلت الاسعار فانتهز عدو
الله الفرصة وجع من كل النصرانية جيشا وكبس به عسكر المسلمين على
حين غفلة ففر عسكر لاندلس اولا وعادت الكسرة على المسلمين فهزموا
واتبعهم عدو الله ونادى ان لا اسارى الا القتل فلم ينج من المسلمين الا
القليل وكاد الناصر ان يقع بايديهم لولا لطف الله به * ومن هذه الكسرة
لم ترفع للمسلمين بالاندلس راية الى زمان يعقوب المريني وهذه الواقعة
يسمونها اهل السير بالعقاب * ولما رجع الناصر الى العدو ودخل مراكش

أخذ البيعة لولده يوسف وتلقب بالمنتصر وانعكف الناصر على لذاته
الى ان توفي سنة عشر وستمائة ومن هنا اخذت دولة الموحدين في
الانحلال وقام بالامر بعده ولده يوسف *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين يوسف المنتصر

هو ابن محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن
علي قام بالامر بعد ابيه فقرب الاراذل وابعد مشايخ الموحدين فكانت لا
تنفذ اوامره واخذت دولة الموحدين في الادبار وظهرت دولة بني مرين
في ايامه سنة ثلث عشرة وستمائة وبعث المنتصر جيشا لقتالهم فكان
الظهور لبني مرين واستباحوا عسكر الموحدين * وكان يميل الى الراحة
فكانت لا تنفذ اوامره عند عماله وكان مغري بنتاج البقر فدخل ذات
يوم بين البقر فتصدت اليه بقرة شرودة فضربتة في بطنه فمات من
ساعته وكانت ايام ملكه عشر سنين واربعة اشهر وذلك سنة عشرين
وستمائة والملك لله وحده * ولما مات اتفق اشياخ الموحدين على مبايعته
ابي محمد عبد الواحد *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين ابي محمد عبد الواحد

هو ابن يوسف بن عبد المؤمن بن علي بويغ ثالث عشر ذي الحجة
سنة عشرين وستمائة وهو في سن الشيخوخة وكان صالحا متورعا فاستقام
له الامر شهرين ثم اضطربت احواله وقام عليه ابو محمد العادل وكان
في مرسية فاخذ البيعة لنفسه وكتب الى اخيه ابي العلي وكان باشبيلية
يدعوه الى بيعته فاجابه وبعث الى اشياخ الموحدين الذين بمراكش والعدوة
فاستمالهم بعد ما وعدهم بجزيل العطاء فاتفقوا على مبايعته ودخلوا على الخليفة
عبد الواحد فطالبوه بخلع نفسه وتهديدوه بالقتل فاجابهم فادخلوا عليه
القاضي والشهود فاشهدهم على خلعهم وانه بايع لابي محمد العادل * وبعد
ايام دخلوا عليه فخنقوه وانتهبوا قصره وكان اول مخلوع من بني عبد المؤمن
وانفتح باب الفتن بين الموحدين وصاروا كالانراك بالعراق * وكانت

ايام خلافته ثمانيته اشهر وتسعة ايام * وقام بالامر بعده ابو محمد عبد الله
واقبه العادل باحكام الله *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين عبد الله

هو ابن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي بويح
ببرسية في صفر سنة احدى وعشرين وستمائة وتم له الامر في شعبان بعد
خلع عبد الواحد ورجع من الاندلس الى حضرة مراکش وفوض امر
الاندلس الى اخيه ابي العلاء الملقب فيما بعد بالمأمون فاقام على طاعة
اخيه الى سنة اربع وعشرين وستمائة فنكث بيعته العادل ودعا الناس
لمبايعته فاجابوه وتلقب بالمأمون وكتب الى اشياخ الموحدين بمراكش
واستمالهم فاجابوه فدخلوا على العادل وخنقوه بعمامة حتى مات في شوال
سنة اربع وعشرين وستمائة وكانت خلافته ثلث سنين وشهرين وكتبوا
باعتهم الى المأمون ابي العلاء ادريس وبعثوا بها على البريد ثم ندموا وخافوا
منه لما يعرفون من شهامته فرجعوا وبايعوا يحيى بن الناصر *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين يحيى

هو ابن محمد الناصر بن المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن
ابن علي لقبه المعتصم بالله بويح في الثاني والعشرين من شوال سنة
اربع وعشرين وستمائة وامتنع من مبايعته كثير من الناس لمبايعتهم المأمون
ووقع لذلك فتن في البلاد واضطربت الاحوال وكثرت المحن وغلت
الاسعار وكثر الخوف واتصل الخبر ان المأمون بويح له بالاندلس وانه
جاز البحر الى مدينة سبتة * فلما علم يحيى بذلك وراى اختلاف
الموحدين عليه بمراكش فر الى جبل درن ثم رجع الى مراکش فاقام
سبعة ايام ثم هرب ثانيا وسكانت بينه وبين المأمون حروب انهزم فيها
يحيى ولم يزل يهرب الى ان مات سنة ثلث وثلشين في ايام الرشيد
وسباني خيرة ووجد الموحدون البيعة المأمون آخر جمادى الاخرة سنة
ست وعشرين وستمائة *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين المامون

هو ابو العلاء ادريس بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المومن بن علي كان فصيح اللسان ضابطا للحديث الشريف حسن الصوت والثلاوة عالما بالعربية واللغة والاداب وايام الناس سالكا في امور الدنيا والدين وكان حازما شجاعا وهو اول من ادخل النصارى الى مراكش استنصر بهم ودخل معه اثنا عشر الف نصراني * ولما حل بمراكش صعد المنبر وخطب الناس وسب مهديهم وقبح مذهبه ومذهب من تبعه وصحا اسمه من الدراهم ومن الخطبة وقال لا تدعوه بالمهدي واشياء يطول شرحها وكتب بذلك الى الافاق وقتل اشياخ الموحدين لاجل نكثهم البيعة ولم يبق منهم احد وكان جملة القتلى اربعة آلاف وستمائة. وكتب لعماله بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقام عليه اخوه بالاندلس وكثرت عليه المحن وتوالت عليه الهموم فمات رحمه الله * وكانت ايام خلافته ثلاث سنين وستة اشهر وفي ايامه استولت الروم على جزيرة ميورقة وبويع ولده عبد الواحد وتلقب بالرشيد *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين الرشيد

هو عبد الواحد بن ادريس بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المومن بن علي بويع اول المحرم سنة ثلثين وستمائة وعمره اربع عشرة سنة فاقام بمراكش الى سنة ثلث وثلثين فقتل جملة من اشياخ الخط فقاموا عليه وحاربوه فاننصر عليهم بعد ما نهبوا مراكش وهرب ورجع الى حضرته ولم يزل في شتات الى ان وافاه حامي غريقا في صهريج يوم الخميس تاسع جادى الاخرة سنة اربعين وستمائة وايام خلافته خمسة اعوام وخمسة اشهر وايام وكرمان في زمانه. وباء وغلاء مفرط بحيث انه بلغ قفيز القمح ثمانين دينارا * وفي ايامه استبد ابو زكرياء يحيى بالامارة في مدينة تونس ولم يشم بامير المؤمنين وتغلبت بنو مرين على اكثر بلاد المغرب وقام بالامر بعده ابو الحسن السعيد *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين المعتضد

هو ابو الحسن علي بن ادريس المأمون بن يعقوب المنصور بن يوسف ابن عبد المؤمن بن علي تسمى بالمعتضد بالله ولقب بالسعيد بويح يوم وفاة اخيه الرشيد بمراكش عاشر جمادى الآخرة سنة اربعين وستمائة * وفي ايامه كثر جمع بني مرين وارسل اليهم الجيوش فكانت الدائرة لبني مرين وخرج سنة ثلث واربعين بنفسه في جمع عظيم واخذ البيعة على الامير ابي يحيى بن عبد الحق المريني وجاءه الخبر في هذه السنة بان المنتصر تسمى بامير المؤمنين احتقارا لدولته فازمع للخروج بنفسه والتقى ببني مرين وكانت بينهما وقعت وحارب ابن زيان القائم بتلمسان وفر امامه الى بعض القلاع فتبعه السعيد وحاصره بها ثلثة ايام وخرج السعيد في الهجرة يتجسس عن احوال القلعة وكيف الحيلة في اخذها فكمّن له ثلثة نفر على حين غفلة فقتلهم احدثهم وقتل وزيرة معه ونهب ابن زيان جميع ما كان في محبته وجلت جثته فدفنت خارج تلمسان وكانت وفاته يوم الثلاثاء آخر صفر سنة ست واربعين وستمائة وبويح بمراكش المرتضى *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين المرتضى

هو ابو حفص عمر بن الامير اسحاق بن امير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي بويح بعد موت السعيد عقد له البيعة برباط الفتح وارتحل الى مراكش واخذ البيعة عن اهليها واستقام له الامر من مدينته سلا الى مدينته السوس وكان يدعي الزهد والورع ويحب السماع وكانت ايامه ايام هناء ورخاء مفرط ما سمع بمثله * وخرج سنة ثلث وخمسين في ثمانين الفبا الى قتال بني مرين فلما قرب من مدينته فاس وكان خوف بني مرين خامر قلوبهم انطلق فرس لبعض العسكر فجري صاحبه في اثره فظنوا ان العدو قد دهمهم فانهزم العسكر لا يلوي احد عن احد والاتصل الخبر بالامير يحيى بن عبد الحق فخرج واحتوى على جميع محبته وسار المرتضى الى مراكش في نفر يسير فاقتام بها الى ان دخل عليه

أبو دبوس فقتله أواخر المحرم سنة خمس وستين وستمائة فكانت أيام
خلافته تسع عشرة سنة إلا أياما وتولى بعده الواثق أبو دبوس *
الخبر عن خلافة أمير المؤمنين أبي دبوس

هو إدريس بن الرشيد أبي حفص بن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن
علي كان شجاعا مقداما وسبب تملكه مراکش كان المرتضى نقم
عليه أشياء فخاف منه وهرب إلى أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق
المريني متصرا به فالفاه بمدينة فاس فأكرم مثواه وأعانته بالمال والرجال
والتقى معه أن يعطي لبني عبد الحق النصف فيما يغلب عليه من البلاد
فلما تمكن من مراکش ودخلها على حين غفلة وفر أمامه المرتضى واستقل
بالامر كتب إليه الأمير يعقوب يهنيه ويطلب منه الشرط الذي بينهما
فقال للرسول - قل لأبي عبد الرحمن يغتنم الفرصة ويقنع بما في يديه
والأأئمة بجنود لا قبل له بها - فلما وصل الخبر إلى يعقوب المريني
شن عن بلاده الغارات وجهز له الجيوش * وفي سنة سبع وستين خرج
أمير المسلمين يعقوب المريني بنفسه فالتقى معه أبو دبوس ببلاد دكالة
فكانت بينهما حروب قتل فيها أبو دبوس وجيء برأسه إلى يعقوب بن
عبد الحق فبعثه إلى مدينة فاس وطيف به هنالك وانتهب محلته *
وكان قتله آخر ذي الحجة سنة سبع وستين وستمائة وبه انقرضت
دولة بني عبد المؤمن * وكان ابتداء أمرهم من المهدي بن تومرت سنة
خمس عشرة وخسمائة وانقرضت بابي دبوس سنة سبع وستين وستمائة *
وملوك بني عبد المؤمن أربع عشرة خليفة - وانتقلت بلاد المغرب إلى
حكم بني مرين - والاندلس إلى الثوار من الطوائف - وأفريقية إلى
بني حفص - والله يرث الأرض وسن عليها وهو خير الوارثين :

الفصل الثاني

فيمن تولى من بني حفص في البلاد الأفریقیة
وهنا أنا أذكر بعض سيرتهم والعمدة في ذلك على ما نقله ابن الشماخ

ولاكن نأتي به مختصرا لئلا تذهب ديباجته ويظن المتامل اني غرت عليه ونزلت ساحته وربما ناتي بما ليس فيه واذكرة وابنه عليه ان شاء الله تعالى وبه المستعان وعليه التكلان . فاقول وبالله التوفيق : -
اول من تملك من بني حفص المولى ابو محمد عبد الواحد بن ابي بكر ابن الشيخ ابي حفص عمر بن يحيى بن محمد بن وانودين بن عليته بن احمد بن والال بن ادريس بن خالد بن اليسع بن الياس بن عمر بن واثن بن محمد بن نجبة بن كعب بن محمد بن سالم بن عبد الله بن عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه كذا قيد نسبه ابن الشماع * قلت هذا النسب غارق في انساب البربر والعرب كانت تائف عن التزويج منهم وخصوصا قريشا والله اعلم بحقيقة ذلك . ولاجل هذا النسب الشريف خطب لهم بامير المؤمنين والناس صدقون في انسابهم والشيخ ابو حفص من قبيلة هنتانة من قبائل المصامدة وهنتانة اكثرهما جمعا وهم القاتمون بدعوة المهدي بن تومرت والسابقون اليها وابو حفص احد العشرة الذين بايعوا المهدي وقد سبق خبره * ولما دخل الناصر بن المنصور افريقية عند تغلب بن غانية عليها وهزمه الناصر وطرده واسترجع المهدية ورجع الى تونس واقام بها حولا واراد الرجوع الى المغرب اراد ان يولي بافريقية من يقوم مقامه فوق اختياره على المولى عبد الواحد فولاة عليها بعد تمنع وشروط شرطها عليه ووفى له الناصر بها فرفعت رايته بين الموحدين ورجل الناصر الى المغرب وفارقه المولى عبد الواحد من باجة ورجع الى حضرة تونس فقعده بمقعد لامارة بقضبتها وذلك يوم السبت عاشر شوال سنة ثلث وستمئة وكان رحمه الله تعالى عالما فاضلا ذكيا فطنا شجاعا محسنا وهو الذي اخترع زمام التضييف بتونس للوفود وكان يجلس يوم السبت للنظر في مسائل الناس ومدحه بعض الفضلاء بقصيدة تدل على فضله ومنها :

وماذا على المداح ان يمدحوا به وفيك خصال ليس تحصر بالعد
نهارك في تدبير ما يصلح الورى وليلك مقسوم على الذكر والورد

ودخل عليه الامام ابو محمد عبد السلام البرجيني من تلامذة الامام المازري وكان تحت جبة منه فقال له المولى عبد الواحد - كيف حالك يا فقيه - فقال - في عبادة - فقال له المولى عبد الواحد - تعوضها ان شاء الله بالشكر - قال ابن بختيل كاتب المولى عبد الواحد - لم نفهم ما اراد فسالت المولى عن ذلك فقال - اراد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم - انتظر الفرج بالصبر عبادة - وهذا يدل على ذكائه رحمة الله عليه وتوفي يوم الخميس اول المحرم عام ثمانية عشر وستمائة وايام دولته اربع عشرة سنة وثلاثة اشهر * ودفن بالقصبة وقبره يزار ويتبرك به وبالقرب من تربته مغارة كان يتعبد فيها * قلت وتربته الى يومنا هذا مشهورة داخل القصبة ولما توفي رحمه الله قدم ولده المولى ابو زيد ثم طلع الى المغرب هو واخوته ثم وصل الى تونس ابو محمد عبد الله بن المولى عبد الواحد من قبل العادل بن المنصور ومعه اخوه ابو زكرياء يحيى سنة ثمان عشرة * وقدم المولى ابو زكرياء على مدينة قابس من قبل اخيه ابي محمد عبد الله ثم وقع بينهما اختلاف فخرج المولى عبد الله الى قتال اخيه ابي زكرياء فخالف عليه الموحدون وابوا قتال اخيه فرجع لتونس واستقر بها ثم بعد ذلك تحرك ابو زكرياء الى تونس فملكها ووجه اخاه في البحر الى مدينة اشبيلية من بلاد الاندلس واستقر قدم المولى ابي زكرياء في الامارة *

الخبر عن خلافة ~~الامير الموحدين~~ يحيى

هو المولى ابو زكرياء يحيى بن المولى ابي محمد عبد الواحد بن ابي بكر بن المولى ابي حفص عمر الهنتاتي ولد بمراكش سنة تسع وتسعين وخمسمائة وبويع بالقيروان في رجب سنة خمس وعشرين وستمائة وحدث له البيعة يوم وصوله لتونس في الرابع والعشرين من رجب المذكور * وفي سنة اربع وثلاثين بويع البيعة الثانية وذكر اسمه في الخطبة ولم يتسم بامير المؤمنين واقتصر على الامير وعرض له بعض الشعراء بقوله من قصيدة يحرضه فيها وهو قوله :

الأصل بالأمير المؤمنين فانث بها الحق العالمين

فجزرة ولم يقبل وذلك في أيام الرشيد بن المأمون بن يعقوب المنصور عند اضطراب المغرب فاستبد أبو زكرياء بافريقية * وفي سنة خمس وثلاثين وستمائة وصلت إليه بيعة زيان بن مرديش صاحب شاطبة ورسوله أبو عبد الله محمد الأبار وأنشده قصيدته السينية الفريدة التي منها *

أدرك بخيلك خيل الله اندلسا أن السبيل إلى منجاتها درسا

وفي سنة تسع وثلاثين تحرك إلى مدينة تلمسان ففتكها وكان معه من الجيش أربع وستون ألف فارس * وفي سنة أربعين وصلت إليه بيعة سبتة وبيعة المريّة * وفي سنة ثلث وأربعين وصلت إليه بيعة اشيلية والمريّة وغرناطة ووصل فدهم لتونس وقرئت بيعتهم على الناس وكان رجة الله عليهم من الصالحين والعلماء العاملين ختم على الشيخ الرعيني السوسي كتاب المستصفا للغزالي وغيره من الكتب المفيدة وناظر في النحو على ابن عصفور وكان فقيها أديبا وكان معدودا في العلماء والشعراء وكان مختصرا في لباسه ومركوبه وكان يلبس جبة الصوف وحرام الصوف * ونقل عن ابن القيسار أن المولى أبا زكرياء استدعى بعض وزرائه من باب الصرف بعد انفصال مجلسه والعادة عنده أن من استدعاه من ذلك المكان إنما يستدعيه للعقوبة قال الوزير فلما استدعيته أدخل بي بابا بابا إلى أن انتهيت إلى باب قبة الخليفة فوجدته جالسا على كرسي من خشب وبسطة إبرة وهو يرقع ثوبه فسلمت عليه فأمروني بالجلوس وإذا بخادم قد أتى بمائدة مغطاة فلما رفع عن المائدة فإذا بها طعام واحد ورغيف خبز غير نقي فاكل واكلت معه فلما فرغ قال لي انصرف بسلام فخرجت ووقعت مندي حيرة فاخبرت بذلك بعض اصدقائي لي فقال وما صنعت قلت لا شيء إلا أنني لما دخلت عليه نظروني شزرا فقال لي دخلت عليه في ثيابك هذه قلت نعم قال لي من هنا أتى عليك تراه اخبرك أن كسوته المرقعة واكله الخشن من الطعام فإن أنت انتهيت عن فعلك ولباسك

التياب الرفيعة وإلا لا تلوّسن إلا نفسك * قسّلت رحم الله هذه الروح الزكية . وهو الذي بنى الجامع بالقصبة وبني صومعته العجيبة وهي باقية إلى يومنا هذا ولها شكل عجيب واسمه منقوش عليها وكانت قبل اليوم بارزة ينظر اليها المار بها ويقرا ما هو مكتوب عليها وقد حيل بينها وبين أن تستر أكثرها ولم يبق منها إلا مقدار نصفها وانستر رونقها على الناظر وكان بناؤها سنة تسع وعشرين وستمائة وبني مصلى العيدين * قسّلت هو الذي يقال له جامع السلطان من ناحية المراكض وكذلك بنى المدرسة التي بطرف سوق الشماعين * قسّلت سوق الشماعين يعمل فيه السبايط في يومنا هذا وبني سوق العطارين وحضر مدينته تونس وجعلت دولته من روساء العلماء والشعراء وأهل الصلاح ما لم يجتمع لغيره وجمع يعدله وسياسته أموالا لا تحصى إلا بالبيت والبيت عبارة عن ألف ألف وخلف سبعة عشر بيتا من المال ومن الكشب ستة وثلاثين ألف بجلد وفي سنة سبع وأربعين تحركت إلى الغرب فمات هناك ودفن بجامع بونة ونقل بعد إلى قسطينة وكانت وفاته آخر جادى الأخيرة وهو ابن تسع وأربعين سنة ودولته اثنتان وعشرون سنة وترك من الأولاد الذكور أربعة وهم محمد المستنصر وأبو اسحاق وأبو بكر وأبو حفص عمرو * ويقال أن في هذه السنة توفي الملك الصالح ابن أيوب صاحب مصر وكان دينيا عفيفا والملك المنصور بن رسول صاحب اليمن والامبرطور صاحب صقلية عظيم النصرانية والفنش لأحول عظيم النصرانية بالاندلس فكانوا يرون أن حذاق ملوك الدنيا ماتوا في سنة واحدة فسبحان من لا يزول ملكه * الخبر عن خلافة الأمير المولى أبي عبد الله محمد

هو ابن المولى أبي زكرياء بن المولى أبي محمد عبد الواحد بن أبي بكر بن المولى أبي حفص عمر بويغ صبيحة الليلة التي توفي فيها والده يوم الجمعة التاسع والعشرين من جادى الأخيرة سنة سبع وأربعين وستمائة وعمره اثنتان وعشرون سنة أم ولد اسمها عطف وهي التي أمرت ببناء

جامع التوفيق والمدرسة التوفيقية * قُلت المدرسة التوفيقية اندرست
اثارها وكانت قبالة زاوية الشيخ الزليجي * وفي سنة ثمان وأربعين
نصبت المقصورة بجامع الموحدين وفيها بنيت السقاية التي شرقي جامع
الزيتونة وفيها جعلت الشكلة لليهود وبولغ في مذلتهم * وفي سنة إحدى
وخسين بنيت قبة الجلوس وبنيت الممشى إلى راس الطابية * وفي
سنة ثنتين وخسين وصلت بيعة بني مريين من مدينة فاس ودعي له على
منابرها * وفي سنة سبع وخسين وصلت بيعة مكتة بإنشاء عبد الحق
ابن سبعين وقرئت على الناس فعند ذلك تسمى بامير المؤمنين ولقب
بالمستنصر بالله وكان قبل ذلك يدعى بالامير فقط ونصب للقضاء في الاحكام
الشرعية ابا عبد الله محمد بن ابراهيم المهدي المعروف بابن الخباز من
اهل العلم والورع وكان المستنصر يقول - ما يسألني الله عن امور الامة بعد
ان قدمت عليهم ابن الخباز * وفي عام ستة وستين اكمل المستنصر بناء
الحناية التي كان يجري عليها الماء إلى مدينة قرطاجنة في الزمن الاول
فاصلح ما فسد منها واحياها واجرى عليها الماء من عيون زغوان وجعل قطعة
من الماء إلى سقاية جامع الزيتونة وباقي الماء إلى جنة ابي فهر * قلت
هي التي يعبر عنها في زماننا بالطوم ولم يبق من ذلك إلا الفسقية وبقيت
خرائب والله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين * وفي هذه السنة
تحرك إلى بني رياح ومسك جماعة من روسائهم وضربت اعناقهم وبعث
إلى تونس برعوسهم على الرماح * وفي سنة ثمان وستين وستمائة في ذي
القعدة نازل الافرنسيس مدينة تونس بجموع وافرة فرسانا ورجالا وكانت
بينهم وبين المسلمين حروب مات فيها خلق كثير من الفريقين ومدة
اقامتهم اربعة اشهر وعشرة ايام * وفي عاشر المحرم سنة تسع وستين مات
طاغيتهم قيل ان السلطان بعث اليه بسيف مسموم وقيل مات حتف
أنفه * وارسل الله وباء على جيشه فمات عدد كثير وطلبوا الصلح
فصلحهم السلطان على الانصراف من غير تعرض لجهة من جهات المسلمين

على ان يدفع لهم الف قنطار ومائة قنطار وعشرة قناطير من الفضة والهدنة خمسة عشر عاما فتم الصلح * وكان رحمه الله لم يخسرج في قتالهم وانما يمددهم بالجيش وسبب نزول الفرنسيين تونس قيل انه ذكر يوما بحضرة المستنصر فهم من جانبه وقال هو الذي اسره هولاة واطلقوه يشير الى الاتراك الذين كانوا بين يديه وكان يستخدم منهم جماعة فبلغت هذه المقالة الفرنسيين فحقد لها وعزم على غزو تونس * واما علم المستنصر بذلك طلب منه المهادنة فامتنع واغظ للرسول وعزم على اخذ تونس فجعل الله هلاكهم بها ومن غريب الاتفاق لما نزل تونس قال احمد ادبائها الشعراء :

يا فرنسيس هذه اخذت مصر فتبها لما اليه تصير
لك فيها دار ابن لقمان قبر وطواشيك منكر ونكير
فصدقت لاقدار قوله ومات بارض المعاقبة وقبر بها وهذه الابيات يشير فيها باللميح الى ما سبق له بارض مصر سنة سبع واربعين وستمائة نزل على مدينة ذمياط وملكها ومدة اقامته بها تسعة اشهر وذلك في زمن السلطان الكامل ابن ايوب فامكنه الله منه فاخذته وجماعته من قواميسه وحمل على جبل ووجهه الى خلف وطيف به وسجن في دار ابن لقمان ووكل به طواشي اسمه صبيح ففدا نفسه بقناطير من الذهب وحلف ان لا يطأ ارض المسلمين فلما رجع الى بلاده عزم على العودة الى الديار المصرية ونكث العهد بنفسه الخيثة فلما علم به صاحب مصر كتب له رقعة من انشاء كمال الدين بن مطروح وبعثها مع رسوله وفيها قصيدة بليغة فلما ورد الرسول على الفرنسيين استجلسه فابى ان يجلس وانشده وهو قائم بين يديه *

قل للفرنسيس اذا جئتكم مقال صدق من مقول فصيح
اثبت مصر تبغي ملكها تظن ان الدين باطل ربح
منها :

وقل لهم ان ازمعوا عودة لاخذ ثار او لفعل قبس

دار ابن لقمان على حالها والقيد باق والطواشي صبيح
وهي طوبلة ذكرها المثيريزي وذكر ابن الشماع عدة أبيات منها والقصة
في غير ما موضع مشهورة * فسلما سمع المقالة ذلت نفسه على العودة الى
مصر واراد ان ياخذ ثاره من تونس فدمره الله تعالى وكان نزوله على تونس
سببا لاتلاف الاموال التي تركها المولى ابو زكرياء والتي جمعها ولده المستنصر
ففرقت على الاجناد والوفود والاعراب وتوفي المستنصر بالله في الحادي عشر
من ذي الحجة سنة خمس وسبعين وثمانمائة وعمره خمسون سنة فكانت
خلافتهم ثمانية وعشرين عاما وخمسة اشهر واحد عشر يوما رحمة الله عليه
وتولى بعده ولده المولى ابو زكرياء يحيى ولقب بالوائق وخلع فيما بعد *
الخبر عن خلافة الامير المولى ابي زكرياء يحيى الوائق

هو ابن المستنصر بالله امير المؤمنين ابن المولى امير المؤمنين ابي
زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن ابي بكر بن عمر بويع صبيحة اليوم
الذي توفي فيه والده * ولما ولي سرح المسجونين وامر برفع المظالم واحراق
ازمة المودات وبالنظر في بناء جامع الزيتونة وغيره من المساجد واتخذ الى
المجدد وكان غير ناضع باعباء الملك وطلب على امرة ابن الغافقي وكان
ابن الغافقي كثير الاعجاب مشرطا في التعسف والكبر مشغلا بالبناء والحالات
الملاهي واقتناء الاثاث ولا يحسن شيئا من سياسة الملك والرياسة فادى
ذلك الى فساد الملك فخرج عليه عمر ابو اسحاق ابراهيم وكان مقبلا
بالاندلس لما فر في زمن اخيه المستنصر خيفته على نفسه واقام بها زمنا
وكان اخوه المستنصر يهادي صاحب الاندلس لامساك اخيه عنده فلما
مات اخوه وتولى ولده ابو زكرياء ولم يكن له ولا لمن يدين معرفته
بالامور حجاز المولى ابو اسحاق الى المغرب وقصد افريقية فملكها واتى الى
تونس في غرة ربيع الثاني وضائق على المولى ابي زكرياء فخلع نفسه
لعمه وسلم له الامر فكانت مدة خلافتهم ستين وثلاثة اشهر وعشرين يوما
وخرج من القسبة وسكن بدار الغوري بسوق الكتبيين الى ان مات

في صفر سنة تسع وسبعين بعد ما اعتقل ومات مسجوناً رجة الله عليه *
الخبر عن خلافة امير المؤمنين ابي اسحاق ابراهيم
هو ابن المولى ابي زكرياء يحيى بن المولى عبد الواحد بن ابي
بكر بن ابي حفص عمر بويج بتونس غرة ربيع الاخير سنة ثمان وسبعين
وستمات وكان ملكاً شجاعاً وفيه غلظة ويغيب عن مجاسه لانس وادانت
له افريقية * وفي سنة ثمانين وستمات بعث ولده المولى عبد الواحد
لجباية الوطن واخذ مال هواره فلما بلغ القيروان بلغه ان مرغم بن صابر
الرياحي معه قائم يدعي انه الفضل بن الواصل فكتب الى ابيه
بذلك * وفي سنة احدى وثمانين عظم امر الدعي ومالك قابس واحتوى
على اكثر البلاد فاخرج الخليفة اليه جيشاً من تونس امر ابيه ولده ابا
زكرياء فنزل القيروان ونزل الدعي قمودة فانسل غالب العسكر الى الدعي
ولم يبق مع المولى زكرياء الا قليل فرجع الى تونس واخبر ابيه فخرج
ابوه الخليفة بنفسه في شوال من السنة المذكورة بجيش عظيم واخرج
من الدروع والسيوف ما حل على تسعين بغلاً ونزل بالمحمدية فلم يغن
شيء من ذلك وفر عنه اكثر مسكراً الى الدعي ونهب جميع ما كان معه
هناك فرجع الى تونس واخرج نساءه واولاده ورحل الى المغرب * ولما
وصل بجاية لقيه ولده ابو فارس وكان عاملاً بها فخلع الخليفة نفسه لولده ابي
فارس وثاقب بالعمد وتجهز للقاء الدعي وترك والده بجاية والتقى
المعتمد والدعي بوطاة قلعة سنان فخانت انصار المعتمد فاخذ وقتل ونهبت
امواله * ولما سمع ابوه الخبر خرج هارباً فادركه اهل بجاية فاخذوه
واتوا به الى الدعي فقتله في التاسع عشر ربيع الاول سنة اثنين وثمانين
وستمات فكانت مدته ثلثة اعوام وستة اشهر وستة وعشرين يوماً ولما ولده
المولى ابو زكرياء الى بلاد المغرب والدعي هذا هو احمد بن مرزوق بن ابي
همارة المسيلي مولده بها ونشأ بجاية وكان يحترف بحرفة الخياطة حامل
الذكر الا انه كان يتطور وخالط السحرة ويزعم انه يحيل العبادن الى

الذهب بالصناعة وتغلب في البلاد له ان وصل الى طرابلس وصحب
فصيرا مولى الوراق ابن المستنصر فلما رآه تبين له في شدة من مولاة فاخذ
نصير ينكي ويقبل قدميه فقال له ادعي ما خبرك فقص عليه خبر مولاة
فقال له صدقني وانا اأخذ بشار مولاك فاقبل نصير على امرأ العرب
واخبرهم بانته ابن مولاة فصدقة وآتوه ببيعتهم وزعم انه الفضل بن الوراق
ابن المستنصر فكان من امرة ان خطب له على منابر افرقية وكان
معاكاً للدماء خسيما فاجرا كذابا ولم تكن له منقبة غير انه رفع النزول
من اهل تونس وبني جامعاً خارج باب البحر للخطبة * ولما تمادى
في جورة وكذبه مقتد الناس ومقتد جنده وظهر المولى ابو حفص بن المولى ابي
زكريا، وكان مختفياً في البادية والتف عليه الناس فجاء لتونس وحاصره
الذي وانكشف سره فايقن بالهلاك وفر بنفسه الى دار فران اندلسي
قرب حمام زرقون فذلت عليه امرأة فاحيط به وضرب اسواطاً فاعترف
بتبائسه وبنسبه وشهد عليه الناس بمحض القاضي ثم طيف به على حمار
ثم قطع راسه فكانت مدته بتونس سنة ونصفاً غير ثلثة ايام وذلك
اواخر ربيع الاخير سنة ثلث وثمانين وستمائة *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين المولى ابي حفص عمر

هو ابن المولى ابي زكريا يحيى بن المولى عبد الواحد بن ابي بكر
ابن الشيخ ابي حفص عمر بويج يوم الاثنين الرابع والعشرين من شهر
ربيع الاخير من السنة المذكورة وكان ملكاً عاقلاً كريماً لم تحدث منه
ظفيرة لاحد وكان له اعتقاد في الصالحين وخصوصاً في الشيخ الوالي الصالح
ابن محمد المرجاني ويعظم العلماء والصلحاء ويرحمهم ولم يزل على اكمال الحالات
الى آخر عمره وایامه ايام عدل وامن وحناء * ولما اصنابه المرض الذي توفي
منه عهد الى ولده عبد الله فلم ترضه اشياخ الموحدين لصغر سنه فاستشار
ولي الله الشيخ المرجاني فاشار عليه بتولية ابي عبد الله محمد ابي عبيدة
فقبل اشارة الشيخ وانفذ بعهدة اليه وتوفي اواخر ذي الحجة سنة اربع

وتسعين وستمائة فكانت خلافته احد عشر عاما وثمانية اشهر وله من العمر اثنتان وخمسون سنة وقام بالامر بعده المولى ابو عصيد *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين المولى ابي عبد الله محمد ابي عصيد

هو ابن المولى ابي زكرياء يحيى بن المستنصر بالله بن المولى ابي زكرياء بن المولى عبد الواحد بن ابي بكر بن الشيخ ابي حفص عمر بويج آخر ذي الحجة سنة اربع وتسعين وستمائة وسبب تسميته بابي عصيد لما قتل والده واخوته حرب احدى جواريه وقد اشتملت منه على حل وانت رباط الشيخ المرجاني فوضعتة هنالك وعق عنه الشيخ واطعم الفقراء عصيد الخنطة وسماه محمدا وكناه بابي عصيد فبقيت له ذمة مع الشيخ وكانت ايامه ايام هدنة وعافية وسلم لا حرب غرست فيها الغراسات وبنيت الابراج وامتدت الامال كل ذلك ببركة الشيخ المرجاني وتلقب بالمستنصر بالله وكانت خلافته اربع عشرة سنة وثلاثة اشهر وستة عشر يوما ولازمه مرض الاستسقاء فمات منه في عاشر ربيع الاخير سنة تسع وسبعمائة ولم يخلف ابنا فامضى الى ابي يحيى ابي بكر *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين ابي يحيى ابي بكر الشهيد

هو ابن الامير عبد الرحمن بن الامير ابي بكر بن المولى ابي زكرياء يحيى ابن الخليفة المستنصر بالله بن المولى ابي زكرياء يحيى بن المولى عبد الواحد بن ابي بكر بن الشيخ ابي حفص عمر بويج يوم وفاة المولى ابي عصيد لانه كان تحت كنفه فاقام ثمانية ايام وتحرك اليه المولى ابو البقاء خالد من بلد قسطينة فخرج المولى ابو بكر بمحلاته والتقى مع ابي البقاء خالدا فانهزم جيشه ورجع هو هاربا الى القصبه ووقف بالسبخة وظن ان الاجناد تلاحقه فلم يجتمع له احد فوقف ساعة وانصرف فلاحق وقبض عليه فقتل ولذلك سمي شهيدا فكانت مدته ستة عشر يوما *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين المولى ابي البقاء خالد

هو ابن المولى ابي زكرياء يحيى بن المولى ابي اسحاق ابراهيم

ابن المولى ابي زكرياء يحيى بن المستنصر بالله بن المولى ابي زكرياء .
يحيى بن المولى عبد الواحد بن ابي بكر بن الشيخ ابي حفص عمر
كان عاملاً في بلد العناب وقسمطينة بعد وفاة والده ابي زكرياء وكان
يضع تاج الملك على راسه ويركب بغلة عالية * ولمّا حل بتونس
انعكف على لذاته ولهوه وترك سياسة الملك فقام عليه ابو يحيى زكرياء
ابن الاحماني وقفل من المشرق * ولمّا حل بطرابلس وراى
اضطراب افريقية طلب الملك فبويج بطرابلس وانضم اليه اولاد ابي الليل
فبعثهم في مقدمته مع شيخ دولته محمد المزدوري فوصل لتونس اول جمادى
الاولى سنة احدى عشرة وسبعمائة فاجتمع القاضي ابن عبد الرقيق بالسلطان
ابي البقاء خالد وحرصه على الدفاع عن سلطنته فكرة اللقاء واعتذر
بالمرض واشهد على نفسه بالانخلاع عن الامر فدخل ابو عبد الله المزدوري
القصة واخذ البيعة عن المولى خالد وسن معه من الاجناد وقتل بعد ذلك
وبويج المولى ابو يحيى ابن الاحماني وكانت ولايته عامين وستة اشهر *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين المولى ابي يحيى ابن الاحماني

هو زكرياء ابن الامير ابي العباس احمد بن الشيخ ابي عبد الله محمد الاحماني
ابن المولى عبد الواحد بن ابي بكر بن الشيخ ابي حفص عمر اخذ له
البيعة شيخ دولته المزدوري واقبل هو بعد ذلك ثاني رجب من السنة
المذكورة يعني سنة احدى عشرة ونزل المحمدية وجددت له البيعة
هناك ودخل لرأس الطابية وعرض الجند واسقط سن لم يكن ثابتاً وكانت
له مشاركة في العلم والادب وقد طعن في السن وكبر وساس الامور
وجربها وتحرك عليه المولى ابو يحيى ابو بكر من الثغور الغربية فعلم
ان ليس له طاقة على لقائه واضطربت عليه البلاد فجمع الاموال والذخائر
وباع كل ما في القصر والكتب التي جمعها ابو زكرياء بيعت في الوراقين
وجمع نحو عشرين قنطاراً من الذهب سوى الفضة والدر وغير ذلك وخرج
الى قابس ثم الى طرابلس وكانت مدته الى ان بويج ولده ابو ضربة

سنة اعرام وثلاثة اشهر ونصف وقام بعده المولى ابو ضربة وكان الامير ابو عبد الله محمد ابن اللحياني عرف بابي ضربة مسجوناً عند قاضي الوقت لجناية فاطق وتهمياً للقاء المولى ابي بكر وكان حمزة بن عمر بن ابي الليل من بطانة ابن اللحياني واخوه مع ابي بكر فدرس اليه ان يجفل بالعسكر فاخذل عسكر السلطان ابي بكر ورجع الى قسطينة ودخل ابو ضربة لتونس سنة سبع عشرة وسبعمائة في منتصف شعبان وبويع بالحضرة وتلقب بالمستنصر ولم تطل ايامه واعاد عليه الكرة المولى ابو بكر فهرب ابو ضربة الى المهديّة وتحصن بها وبلغ خبره الى ابيه بطرابلس فبعث اساطيل الى المهديّة فحمل ماله واهله وسافر الى نصر وذلك في ايام الملك محمد بن قلاوون فأكرمه وكانت مدة ابي ضربة ثمانية اشهر وثلاثة ايام واستولى على تونس المولى ابو يحيى ابو بكر *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين المولى ابي يحيى ابي بكر هو ابن المولى ابي زكرياء بن المولى ابي اسحاق ابراهيم بن المولى ابي زكرياء بن المولى ابي عبد الله محمد المستنصر بن المولى ابي زكرياء بن المولى عبد الواحد بن ابي بكر بن الشيخ ابي حفص عمر بويع في الثامن عشر من ربيع الاول سنة عشر وسبعمائة وكان رحمه الله شجاعاً جليل الصورة كامل القامة محبوباً عند الخاص والعام ولا يولي قاضياً حتى يشهد فيه بالخير وكان قاضيه ابن عبد السلام وقد تعرض له في بعض احكامه القائد ابن الحكيم فاعلق القاضي بابه وامتنع من الحكم فانتبه له السلطان وقال له نطالبك بين يدي الله ان توجه لاحد على ولدي حق وتركته وكان يحب الشرفاء ويكرمهم وكان جده ابو اسحاق اثبتهم في زمام الموحدين * ولما تولى المولى ابو بكر حوزهم الرباع وملكهم اياها فافتسوها بينهم وكانت له وقائع مع بني عبد المومن وسافر عن تونس عدة مرات وهزم العرب وفك رقاب اسيانهم ودانت له البلاد وتلقب بالمتوكل على الله * وفي يامه فتح قائده ابن الحكيم المهديّة وكانت في طاعة اللحياني وولده

من بعده فتحت سنة تسع وثلثين * وفي سنة ثلث وأربعين نزل العرب
على تونس ولم يتخلف منهم احد واقاموا سبعة ايام ثم ارتحلوا وخرج السلطان
في انهم وهزمهم هزيمة شنيعة على رقادة ورجع الى حضرته وحجب له ابن
قافراجين وقبض على قائده محمد بن الحكيم وعذبه بالسياط واخذ جميع امواله *
وقيل ان الذهب الذي اخذ منه وزنه خمسون قطارا سوى الفضة
والجوهر والياقوت ومائة وستين عتبة من الربع وقتله بعد ذلك وكان
بتونس في مدته ازيد من سبعمائة حانوت للطعارة وكان يصنع بتونس
كل يوم اربعة آلاف قفيز من التمع التي تبل والى تطحن والى تغربل
والى تعجن وزهت البلاد في ايامه وطالت ايامه الى سنة سبع وأربعين
فادخل عليه هلال شهر رجب على عادة قصاة الحضرة وهو في رياضته بجابي
فهر فلما قراء قال - لا اله الا الله دخل رجب - وكررها مرارا ثم قام
وتطهر واغتسل التوبة واخبر من معه انه يموت في رجب ثم ركب
واحرق الاسواق ودخل القصب ولم تظهر به زيادة ثم حك بكشفه
فخرجت له حبة صغيرة اخذته منها الحمى ثم توفي ثاني يوم الشهر وكان
عين ولده ابا العباس للخلافة وكان ببلاد الجريد وبقية اولاده في الاعمال
ولم يبق بين يديه الا ولده ابو حفص عمر فجلس بعده للخلافة *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين المولى ابي حفص عمر

هو ابن المولى ابي يحيى ابي بكر بن المولى ابي زكرياء بن المولى
ابي اسحاق ابراهيم بن المولى ابي زكرياء بن المولى ابي عبد الله محمد
المستنصر بن المولى ابي زكرياء بن المولى عبد الواحد بن ابي بكر بن
الشيخ ابي حاتم عمر الهنتاني بويغ يوم موت والده ثاني رجب ولم يلتفت
الى عهد ابيه لاجل ابي العباس وذلك باشارة ابن قافراجين فلما بلغ الخبر
لابي العباس حشد العرب وزحف الى الحضرة وخرج المولى عمر بمحاربه
الى لقاء مع الجند والموحدين فلما التقى الجمع انكس ابن قافراجين
ورجع الى تونس واخذ ذخائره وفر الى المغرب وكر السلطان عمر الى

تونس وبعد هرب الى باجة ودخل ابو العباس البلد واقام بها سبعة ايام وبعد
سبعة ايام رجع المولى عمر من باجة ودخل المحصرة عند الفجر فخرج ابو
العباس هاربا على وجهه لا يدري اين يذهب وقادت العامة على سن بها
من العرب فلم يفلت إلا القليل منهم وابو حفص عمر زاد خطية سابعة
في جامع سيدي يحيى السليمانى وكان يقال من علامة خراب تونس
سبع خطب تكون بها * قسلت اليوم بها ثلث عشرة خطبة والعلم
عند الله * واقام المولى عمر الى ان تحرك عليه ابو الحسن المريني فهرب
من تونس فادركه طلب المريني عند قابس فقتل هنالك وكانت ايامه
بتونس عشرة اشهر وثلاثة عشر يوما ومات سنة ثمان واربعين وسبعمائة
وانتقل الامر الى بني مرين *

الخبر عن خلافة الامير ابي الحسن المريني

هو علي بن الامير ابي سعيد عثمان بن الامير ابي يوسف يعقوب بن
عبد الحق المريني ونذكر نبذة من نسبهم لزيادة الفائدة . بنو مرين فخذ من
زنازة والنسابون مختلفون في نسبهم ولكن يجتمع نسبهم في قيس غيلان
وتناكحوا في البربر * وكانت قبائل البربر يجاورون العرب في مساكنهم
وتفرقوا في زمن داود عليه السلام لما قتل ملكهم جالوت ففرقوا ايدي سيا
واتوا المغرب * فمنهم من سكن الجبال . ومنهم من سكن الهاد . ومنهم
من تم على حاله ولازم البراري على عادة العرب * وبنو مرين كانوا يسكنون
بلاد القبلة من زاب افريقية وينتقلون من مكان الى مكان وجل اموالهم
الابل والخيل وطعامهم اللحم والتمر ودخلوا بلاد المغرب سنة عشر وثمانمائة مثل
ما دخلت لتونة فوجدوا البلاد خالية وملوك الموحدين اختلفت اراؤهم
فشوا الغارات وقطعوا الطريق فبعث اليهم المنتصر من بني عبد المؤمن
جيشا فهزموا واخذوا ما فيه واستفحل امرهم وهاهم الناس ولا زال امر بني
مرين ينمو الى ان ملكوا بلاد المغرب والاندلس وكان ملكهم بمدينة تلمسان
و اول من تملك منهم الامير ابو محمد عبد الحق بن خالد بن يحيى بن ابي

بكر بن جانة بن محمد الزناتي المريني ويحيى بن خالد شهد غزوة الاراك مع يعقوب المنصور واستشهد هنالك وعبد الحق كان من اهل الصلاح والخير يسرد الصوم كثير الذكر والتسبيح ولا ياكل إلا الحلال من لحوم ابله وغنمه وقدمته مرين على تدبيرها وساعدة القدر وتوارث الملك من بعده بنوه الاربع - ابو سعيد عثمان - وابو معروف محمد بن عبد الحق - وابو بكر بن عبد الحق - ويعقوب بن عبد الحق * ويعقوب هذا دخل الاندلس نحو عشر مرات ونكا المشركين وفعل بهم العجائب وجاهد في الله حق جهادة ولم في ذلك اخبار عجيبة اختصرناها خوف الاطالة وكانوا سلاطين المغرب وتسموا بامراء المسلمين كما كانت لتونة وقرضوا دولة بني عبد المومن من المغرب وخطبوا لبني حفص في اول الامر ثم استقلوا بالملك الى ان اخذ الملك منهم الشرفاء وملكوا مدينتي فاس ومراكش ولم يبق منهم احد في يومنا هذا * ولست نرجع الى خبر ابي الحسن وتملكه البلاد الافريقية والسبب فيه ان ابن تافراجين لما فر الى المغرب وقد على ابي الحسن المريني واستخضع على ملك افريقية فتحررت من المغرب واجتمعت عليه الاعراب واخذ بجاية وقسطينة وانزل عماله فيهما وملك افريقية ومحا رسوم الموحدين ودخل تونس بجيوش لا تحصي وشرع في بناء مدينتي فوق سيجوم سماها المنصورة لسكنى جيشه فان المدينة لم تسعهم * وقبيل بايعة بتونس خمسون سلطانا في يوم واحد من بني عبد الواحد والاندلس وغيرهما * ولما تملك البلاد منع العرب من اعطيائهم ومنعهم الاقطاعات فغضبوا عليه وشنوا الغارات في جميع البلاد فخرج اليهم والتقى معهم قرب القيروان فانخذل عسكره وفر هو الى القيروان هاربا فاخذوا محلاته بما فيها وحاصروه بالقيروان ومعه ابن تافراجين وذلك سنة تسع واربعين وكانت العرب تميل الى ابن تافراجين فطلبوه من السلطان ليتفقوا معه على الصالح فلما خرج اليهم قلدوه حجابة سلطانهم المسمى بابي دبوس واسمه احمد بن عثمان بن ابي دبوس من بني عبد المومن كان مستترا في بلد توزر فدلهم

عليه سن عرفه فتصبوه للخلافة وتوجه ابو دبوس وابن تافراجين لتونس
وحاصروا قصبتها ورموا عليها بالمجانيق من ربح المعلم سعد وكان بالقصة
ولاد السلطان وماله ورجاله * وفي اثناء ذلك داخل السلطان ابو الحسن
بعض العرب من اولاد مهلهل ان يفرجوا عنه من الحصار على مال اشروطه
عليه فوفى لهم به واسروا به الى سوسة وركب منها في البحر وقدم الى
تونس * ولما سمع ابن تافراجين ركب البحر وفر الى الاسكندرية
في ربيع سنة تسع واربعين فلما فقدوا اصحابه تشتت جمعهم ورحلوا عن
تونس فخرج اولياء السلطان من القصة وملكوا تونس واقبل السلطان ابو
الحسن في ربيع الاخير من السنة المذكورة وانتقضت عليه افريقية واشتد
الغلاء حتى بيع قفيز القمح بثمانية دنانير * فسلبت لا حول ولا قوة الا
بالله كيف عد اهل تونس هذا القدر عندهم غلاء ولو شاهدوا ما عايناه
لعدوه من الخسوف لانا شاهدناه اضعاف ذلك * وكثر الوباء حتى انتهى
عدد الاموات الى شخص كل يوم وفيه مات القاضي ابن عبد السلام والفقير
العابد سيدي يحيى السليماني وتحرك المولى ابو العباس لاختذ تونس *
وفي اثناء ذلك بلغ السلطان ابا الحسن المريني ان ابنه ابا عثمان استقل
بملك المغرب لانه سمع بوفائهم بالقيروان وقت حصاره بها وشهد له
بذلك جماعة فاقام نفسه في سلطنة المغرب * ولما سمع به حيا بعث لجميع
عماله ان يصدوا اباه عند توجهه وخرج ابو الحسن من تونس وركب
البحر وتوجه للمغرب وخلف بتونس ولده الفضل الى ان ازعمجه منها ابو
العباس الجفصي فاتحق بالمغرب وخبره اكثر من هذا تركناه للاختصار *
وكانت مدة السلطان ابي الحسن بافريقية الى ان خرج عنها ولده الفضل
في اخر ذي القعدة سنة خمسين وسبعمائة عامين وستة اشهر وخمسة عشر يوما
ورجع ملك افريقية الى بني حفص وملكها المولى ابو العباس *
الخبر عن خلافة الامير المولى ابي العباس الفضل
هو ابن المولى ابي يحيى ابي بكر بن المولى ابي زكريا بن ابراهيم

ابن ابي زكرياء يحيى بن محمد المستنصر بن ابي زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن ابي بكر ابن الشيخ ابي حفص عمر الهنتاتي بويغ اول ذي الحجة سنة خمسين وسبعمائة * ولما ملك تونس ركن الى الراحة واللهو واحتوت العرب على دولته وكان صاحبه احمد بن تتوا قد شاركته العرب في الديوان ورحبة الطعام والماشية واخذوا البرطيل على تولية الشهود وزوج ابو العباس الفضل اخته لابي الليل بن حزة رجاء ان يطول ملكه ولم يسبقه احد لذلك ويأبى الله الا ما يريد * ورجع الحاجب ابن تافراجين من المشرق هو والشيخ عمر بن حزة فاتفق ابن حزة مع اخوته على ادخال ابن تافراجين لتونس * وبعثوا الى ابي العباس الفضل فقال لا سبيل الى ادخاله فبعثوا اليه صل الينا فتحدث معك فخرج مع جماعة لم يقبضوا عليه وعلى اصحابه الذين معه وجردوا واخذت دوابهم ودخل ابن تافراجين لتونس واخرج المولى ابا اسحاق ابراهيم واجلسه مجلس الخلافة وقتل المولى ابو العباس عاخر جادى الاولى سنة احدى وخمسين وسبعمائة فكانت مدته خمسة اشهر واربعة عشر يوما *

الخبر عن خلافة الاعير ابي اسحاق ابراهيم المستنصر

هو ابن المولى ابي يحيى ابي بكر بن عبد الرحمن بن ابي يحيى زكرياء بن محمد المستنصر بن ابي زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن ابي بكر بن ابي حفص عمر جلس مجلس الخلافة بعد اخيه * واستوزر ابن تافراجين فقام بتدبير دولته وعلت همة ابن تافراجين الى ان سلم عليه بسلام الملوك واستخلص قواعد البلد من ايدي العرب وهي بلاد قرطاجنة والقيروان وسوسة وباجنة وتبرسق والاريس وجعلها بايدي خدامه واستبد بالجباية الداخلية والخارجية وشرع في بناء السور الذي يحيط بارباع تونس وجلس عليه نصف خراج الارض ونصف كراء المعاصر التي بداخله لا صلاح ما يختل منه * وفي سنة خمس وخمسين اخذ السلطان ابو منان المريني بجاية من ايدي الموحديين * وفي سنة ست وخمسين

اخذت النصرى طرابلس وحملواها فيها ومكثوها خمسة اشهر * وفي سنة ثمان وخمسين اخذ السلطان ابو عنان قسطنطينة وفي آخر شعبان وصل اسطول ابي عنان لتونس فطاردهم ابن تافراجين وهزمهم ثم وصل الخضر بن محلة ابي عنان واصلة ففر ابن تافراجين الى المهدية فدخل اهل الاسطول وملكوا تونس وكتب البيعة لابي عنان وهو بقسطنطينة وخطب له بافريقية ما عدا المهدية وسوسة وتوزر وبقي الامر على هذا شهرين * ولما اراد ابو عنان التوجه لتونس خالف عليه جيشه فرجع الى المغرب فقامت نفرة في عسكرة الذي بتونس فلجوا الى اجفانهم وتركوا ما كان معهم ورجع ابن تافراجين من المهدية وجددت البيعة لابي اسحاق فدخل المحصرة في ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وسبعمائة * وفي سنة ستين اخذت النصرى الحمامات * وفي شوال سنة احدى وستين توجه السلطان ابو اسحاق ابراهيم فلك بجاية من ايدي المرينيين * وفي سنة ست وستين قرع صداق المولى ابي اسحاق على ابنة ابن تافراجين بخط ابن مرزوق قراه علامة الوجود الشيخ ابن عرفة * وعدد الصداق اثنا عشر الف دينار وثلثون خادما وتوفي ابن تافراجين عقب ذلك * وفي رجب سنة سبع وستين جدد الكتابة التي بالازورد في قبة جامع الزيتونة * وفي سنة سبعين وسبعمائة توفي المولى ابو اسحاق في الثاني عشر لرجب فجأة فكانت مدته ثمانية عشر عاما واحدا عشر شهرا وخمسة عشر يوما ونصب ولده من بعده وهو صبي لم يناهز الحلم *

الخضر عن خلافة الامير ابي البقاء خالد بن المستنصر

هو ابن المولى ابي اسحاق ابراهيم بن ابي يحيى ابي بكر بن ابي زكرياء يحيى ابن المولى ابراهيم بن ابي زكرياء يحيى بن المستنصر بن يحيى بن عبد الواحد بن ابي بكر ابن الشيخ ابي حفص عمر جلس بعد موت ابيه وجب له احد اليالقي * فلم يترك احد للامير خالد شيئا فانتهب اموال الناس واهلن الاشراف فعظم على الناس ذلك واختل

الأمير فالحق منصور بن حمزة بالمولي أبي العباس وحش على ملك إفريقية
وكان بقسطنطينة فنهض أبو العباس إلى تونس وتلقته وجوه إفريقية
بالطاعة وانتهى إلى المحصرة وحاصرها أياما ففر الأمير خالد وأصحابه من
باب الجزيرة وانطلق الجند في اتباعهم فقبض على الأمير خالد واعتقل ثم
وجه به وبأخيه في البحر فعصفت بهما الرياح فغرقا وكانت مدته بتونس
سنة وتسعة أشهر *

الخبر عن خلافة الأمير أبي العباس أحمد بن المستنصر
هو ابن الأمير أبي عبد الله محمد بن أبي يحيى أبي بكر بن أبي زكرياء
يحيى بن المولى إبراهيم بن المولى يحيى بن المستنصر بن يحيى بن عبد
الواحد بن أبي بكر بن أبي حفص عمر بويغ بتونس ثاني عشر ربيع
الآخر سنة اثنتين وسبعين وسبع مائة * وكان رحمه الله شجاعا دينيا عاقلا
صفوحا جال في بلاد المغرب ووصل مع السلطان أبي سالم المريني لتلمسان
ونزل الشيخ إمام الدين وعاهد الله عنده أن لا يكافي سن عمل معه سوءا إلا
بخير * ولما ملك إفريقية رفع أنواع الفساد وكفح العرب على التغلب وانتزع
ما بأيديهم من الأمصار وأنمي إليه أن محمد ابن تافراجين داخل العرب في
الفساد فقبض عليه واعتقله بقسطنطينة إلى أن مات بها ثم لم يزل يحاول
إمر العرب إلى أن قطع دابرهم وافتتح بلد قنصنة وأخذ شيوخها بئى العابد
واستولى على أموالهم وفتح توزر واحتوى على ذخائر شيخها ابن يملول *
ومن حسنات المولى أبي العباس أحمد إقامة القراءة في الأسبوع بالمقصورة
غربي جامع الزيتونة وأوقف على ذلك وقفًا موبدا والسقايت التي يطحأ
الشيخ سيدي مردوم نفع الله به داخل باب قرطاجنة وأوقف عليها
أوقافا جليلة وأنشأ البرج الذي هو شرقي قرطاجنة للاحتراس ورفع التعصيف
من قراها عند خروج السلطان لذلك المكان وبناءه علوه الكبير بزينة ابن
عبد السلام قبالة باب البهور جوفي الجامع الأعظم ليصوم به رمضان كل
سنة وأخباره أكثر من هذا ذكرها ابن الشماخ وأطال في مدحه وحق له

ذلك * قلت هذا الملك هو ممدوح العلامة بدر الدين ابن الدمايني
رحم الله تعالى الجميع مدحه بقصيدة بديعية اتي فيها بجميع انواع البديع
ولا بدع ان طلع بدر التمام من ذلك الجذاب الرفيع وبعث بها من ثغر
الاسكندرية الى الحضرة العلية ولكن ما استوفي له حق من حقوق
السالكين لهذه الطريقة واجازة بجائزة اذا ذكرت بين اهلها قالوا هذه
مجاز لا حقيقة * وذكر الزركشي مولاها في شرحه لهذه القصيدة ونثر
در معانيها وان كانت هي الدرة الفريدة ان الممدوح ارسل لمادحها عدد
اياتها دنانير فاحتقرها ابن الدمايني فقال له الرسول ان مولانا جعل هذا
القدر جائزة لك في كل سنة * وهذا من ظرف الرسول انظر ايها المتامل
الى كساد سوق الادب ونفاذه في الصدر الاول في ايام بني العباس حيث
اثابوا عن المدح بالف درهم على البيت الواحد ومروان بن ابي حفصة
ممن اخذ هذا القدر في ايام الرشيد وهلم جرا الامر من بعده ولكن بعض
الشراة من بعض والا نحن اليوم في زمان لو مدح اهلهم بنظم الدر
لم يجزه احد بالخزف * وهذه القصيدة مدح بها لما افتتح مدينة قابس
وذلك انها خرجت في الزمن السابق عن ملوك صنهاجة واستقل بها
بنو جامع من الهلاليين الى ان اخذها الموحدون من بني عبد المؤمن ثم
ثار بها قرائش الارمني الملقب بشرف الدولة مملوك الملك المظفر صاحب
مصر وكان بينه وبين الميوري صاحب المهدية مهادنة واستخلصها
ملوك بني حفص في اول الدولة ثم غصت على امير المؤمنين ابي العباس
احد فافتتحها بعد حصار وجهد واثار الدمايني الى فتحها بقوله في
قصيدته

ومن نوره ابدا السناء لقابس فلاح لها نور على الحق يسفر
وفي ايامه اقبل عبد الله الشرجان وكان قسيسا من اقسة النصارى فاسلم
على يديه وهو صاحب كتاب تحفة الاريب في الرد على اهل الصليب
ذكرة في هذا الكتاب واثني عليه خيرا * وفي ايامه جاءت الجنويون

والفرانسييس في ثمانين قطعة ونازلوا المهديّة واقاموا عليها نحو شهرين . وبعث اليها ابو العباس جيشا فكانت بينهما وفعالت وارتحلوا عنها خائبين وتوفي رحمه الله ثالث شعبان سنة ست وتسعين وسبعمائة ومنه سبع وستون سنة ومدة ولايته بتونس اربع وعشرون سنة واربعة اشهر رحمة الله عليه * وهو الذي شيد رسوم بني حفص بعد اندراسها واقام منار بني حفص في الخلافة ودعم اساسها وكملت في ايام ولده السعيد ابي فارس ودرس عمر الاعراب وعمر المدارس *

الخبر عن خلافة الامير ابي فارس عبد العزيز

هو ابن المولى ابي العباس احمد بن ابي عبد الله محمد بن ابي يحيى ابي بكر بن ابي زكرياء يحيى بن ابراهيم بن ابي زكرياء بن المستنصر بن يحيى بن عبد الواحد بن ابي بكر ابن الشيخ ابي حفص عمر الهنتاتي رحمه الله بربيع رابع شعبان بعد وفاة والده واقام بلا امر اثم قيام ورتب الاحوال واعطى الاموال واصلاح البلاد وقمع اهل الفساد وكان شجاعا حازما ثقيلا معتقدا في الصالحين موقرا للعلماء كثير الصدقات فطنا ذكيا فصيحاً محبا للخير واطم * فمن فضائله عموم صلاته لاهل الحرمين وعلماء المشرق يوجه لهم بذلك صحبة الركب الحجازي على الدوام ووظف لاهل الاندلس في كل عام من الطعام وغيره اعانة لهم على جهاد عبدة الدين * ومن حسناته خزائن الكتب المشتملة على امهات الدواوين وجعل لها مقصورة بمجانية الهلال من الجامع الاعظم واقفها على طلبية العلم ينتفعون بالنظر والكتب بشرط ان لا يخرج منها شيء عن محله وجعل لها قومة يقومون بها في نفصها ومنازلتها للطلبة وردھا لمكانها ووقت لها وقتا مجدودا في كل يوم وكان ملازما لقراءة العلم بين يديه سفرا وحضرا * وقبيل في تحفة الاويب وابطل احكاسا كانت بتونس منها سوق الرهانة وكان سجيها ثلاثة آلاف دينار * وسجيا رحمة الطعام خمسة آلاف دينار * ورحمة الماشية عشرة آلاف * وفندق الزيتون خمسة آلاف * وفندق الحضرة

ثلاثة آلاف * والعطارين مائة وخمسين دينار * وفندق الآدام خمسين
دينار * وفندق الفحم ألف دينار * وفندق الملح ألف وخمسمائة * ومجبا
الأعمدة ألف دينار * ودار الشغل ثلثة آلاف دينار * وسوق القشاشين
مائتي دينار * والصفارين مائتي دينار * وأبطل القيان ونفى المخنثين من
البلد * وأقسام العدل في جميع رعاياه بالكتاب والسنة وانصف المظلوم من
الظالم * وجاءته الوفود من المشرق والمغرب * وغزا صقلية وغنم فيها مغنما
كثيرا * وغزا طرابلس وقابس والحامة وقفصة وتوزر ونقطة وبسكرة وقسمطينة
وبجاية والصحراء * وكانت العرب غالبية على من قبله فاهانهم والزمهم
الزكاة والعشور * وقال صاحب القرطاس في اخبار ملوك فاس انه ارسل هدية
الى ابي يعقوب المريني وهو بفاس والناصر بن قلاوون بعث لابي فارس
بهدية حافلة في تلك السنة * هذا لعظيم ذكره في ذلك الوقت * وفي ايامه
عظم شأن المولد الشريف * قلت رحم الله هذه الروح الزكية لمثل هذا
يقال امير المومنين * لامن استغلبت على دولته البغاة من المفسدين * ورايت
ابن حجة الحموي ذكر في كتاب قهوة الانشاء له رسالته طنانة من انشائه
جوابا عن مكاتبة للسلطان المويد واثنى عليه في تلك الرسالة بما يستحقه *
وقال ابن الشماع وافتتح مدينة تلمسان ووصل الى قريب مدينة فاس *
وقال الشيخ الرصاع رايت في حدود الثلثين والثمانمائة ببلد تلمسان * وكان
قاضي عسكري ابو عبد الله محمد الشماع ونفي عسكري ابو عبد الله محمد الحسن *
وقرا البيعة القاضي المذكور بجامع تلمسان * وحضر لقراءتها علماء الوقت
منهم ابن مرزوق وابو القاسم العقباني وابن الامام وابن النجار وجماعة من
العلماء * ونسقت من خط السيد بركات الشريف رحمة الله عليه
قال غزا ابو فارس مدينة فاس لما شكوا اهلها اليه بظلم احمد المريني فغزاه
فخرجت اخت المريني الى ابي فارس فقالت له انك ميت وانهم
ميثون فعفا عنه واعاده الى بلده وامره بالعدل * قال ابن الشماع وفي
سنة خمس وثلاثين وثمانمائة نزلت النصارى بجزيرة جربة وكان السلطان

ببلد الجريد فتلافها لى ان رحلوا عنها خائبين * ومن حسنائه قطعه
القبالة التي كانت خارج باب البحر وبنى مكانها زاوية للصلاة وللعلم * قال
الترجمان وكان فندقا للمعاصي والخمر بجباه عشرة آلاف دينار * وكان
ولده ابو عبد الله محمد ولي عهده موصوفا بالخير والعفاف والديانة وهو الذي
انشأ الزاوية التي يستجموم وجعل فيها جامعا للخطبة ورباطا لطلبة العلم
وسماطا للمقيمين والواردين * وتوفي سنة ثلث وثلثين ودفن بترربة بقرب
من دار الولي الشيخ سيدي محرز نفع الله به وهو ابو الخلفاء من بعد ابيه *
وتوفي المرحوم ابو فارس عام سبع وثلثين وثمانمائة فجاءه بعد ما تظهر
ولبس ثيابه * ودفن حيث دفن والى فكانت مدة خلافته احدا واربعين
عاما واربعه اشهر وسبعة ايام * قلت ما اطلت الكلام في هذا المحل إلا
لكون هذا الامام هو واسطة بني ابي حفص * واذا ذكرت خلافة الحفصيين
بدونه يظهر في خلافتهم النقص * والله تعالى يكافيه ويجازيه
بأعماله الفاخرة * وكما رفع ذكره وقدره في الدنيا يرفعه في درجات عليين
في الآخرة * انه سميع مجيب *

الخبر عن خلافة الأمير ابي عبد الله المنتصر

هو محمد ابن المولى ابي عبد الله محمد بن امير المؤمنين ابي فارس عبد العزيز
واتمام نسبه معروف بوبع يوم عيد الاضحى صبيحة الليلة التي توفي جده
فيها ودخل الحضرة يوم عاشوراء سنة ثمان وثلثين وثمانمائة وكان شجاعا
كريمنا عفيفا * ولما ولي اخرج مالا تصدق به على اهل المدارس
وذوي الحاجات والارامل والايتام ووجه بمال الى جزيرة الاندلس تصدق
به على المجاهدين * وامر ببناء زاوية الشيخ سيدي احمد بن عروس وبنى
سقايتها الماء بداخل باب ابي سعدون واقف عليها ما يكفيها * وشرع في
بناء مدرسته ضخمة بالقرب من سوق الفلقة بتونس المحروسة لقراءة
العلم * وسافر بمحلة كبيرة فاجفل الاعراب بين يديه فوصل لبلد قفصته
فابتداه مرضه الذي مات به فرجع لتونس ولازمه المرض الى ان توفي

ليلة الجمعة الثانية والعشرين من صفر سنة تسع وثلثين وثمانمائة فكانت مدته عامًا واحدًا وشهرين واحد عشر يوما ودفن بترتبة آبائه رحم الله الجميع *

المخبر عن خلافة الأمير أبي عمرو عثمان

هو ابن المولى أبي عبد الله محمد ابن المولى أبي فارس عبد العزيز بويج صبيحة اليوم الذي توفي أخوه فيه ولم يتخلف عنه أحد * وكان رحمه الله من أجل ملوك بني أبي حنص وهو ختامهم طالبت مدته وفعل خيرات يكتب ثوابها في صحيفته * فمن مآثره رحمه الله عليه بناء مدرسة في غاية الحسن بزينة الشيخ الولي الصالح العابد سيدي محرز بن خلف وجعل فيها مسجدا للصلاة ودرسا لقراءة العلم وماوى لسكنى الطلبة وجعل فيها سماطا مستمرا يتصدق به كل يوم على المحتاجين وجعل فيها ماء للسيل وأوقف عليها ما يكفيها ويكفي سن بها والقومة * قلت أما المدرسة فبقيتها موجودة وأما خيراتنا فلم يبق منها شيء وبني زاوية بعين الزيت وجعل فيها جامعا للصلاة ودرسا لقراءة العلم ورباطا للقاطنين وسماطا قويا على ممر الأيام للقيمين بها والوافدين وأوقف عليها وقفا كافيا ولم يبق منه شيء أيضا * ومن حسناته اخراجه لخزانة الكتب بالمقصورة الشرقية من الجامع الأعظم مشتملة على امهات الدواوين وجعل لها قومة وأوقف عليها وقفا كافيا موبدا * قلت والكتب أيضا لم يبق منها شيء وبعض الوقف باق لكن لغير مستحقه وأما الكتب فقد تلاشت لما ملكه عدو الدين البلاد وسيأتي خبرها ان شاء الله تعالى * وبني ثلاثة مكاتب لقراءة القرآن واحد قبلي الجامع الأعظم واثنان بزبص باب المنارة والميضاة للوضوء بدرب ابن عبد السلام في غاية الاتقان جوفي الجامع الأعظم بتونس وأوقف عليها وقفا كافيا * قلت وهي الى يومنا هذا بها بقية وان طال الامر تلاشت أيضا * ومنها وتكملت المدرسة التي ابتدا بنائها شقيقه رحمه الله تعالى التي بسوق الفلقة على اكمل بناء واتقنه وأوقف عليها وقفا كافيا فعمرت عمارة قوية * قلت أما المدرسة فموجودة وأما الوقف

فقد اندرس وادركنا قبل اليوم بها طلبة مقيمين ولهم ما يسد رمثهم من العيش ثم
تلاشى الأمر وتداركها في حدود التسعين والالف من زعم أنه يستغنم ثوابها وأراد
أن يحيي رسومها بعد خرابها فاصالح ما فسد منها وأوقف عليها وقفاً لندرس بها
وعدة طلبة فاحتوى عليها من ينتمي إلى الفقر فعطل مجاريها وتحمل من الوزر
ما يتصم منه الظهور واثارها موجودة وحاسنها ظاهرة وصاحب التدريس
اليوم بها شيخنا ابو عبد الله عرفت فسمح الله في مدته * وكان المولى ابو عمرو
عثمان يكرم اهل البيت النبوي ويحسن اليهم ويكرم الضيف ويلزم السفر في
كل عام لقمع اهل الفساد والنفاق من الاغراب * وهنا انتهى ابن الشماخ وزاد
الزركشي نبذة ولمات بها مختصرة كما اختصرنا ابن الشماخ * وذلك لوجوه
منها الاختصار ومنها خيفة ان تذهب ديباجة كتابه * ومنها ما اخذنا منه
الزبدة وتركنا الزباد والله المستعان * قال الزركشي وخرج به حلة عظيمة في اثر
العرب ومسك اكبرهم مثل نصر الذوادي ومحمد بن سعيد واسماعيل بن ضرار
ومهاول اربعة من الاشياخ بعد ان احتال عليهم حتى دخلوا المحلة فاعطى
الف دينار لكل شيخ وباتوا عند القواد فاصبحوا مصفدين وكفاه الله شرهم *
قلت هؤلاء العرب اذاهم بالطبع مثل العقرب ولو قطع ذنبها لا يبطل لدغها
والى زماننا نحن منهم على وجل فسال الله ان يحسم هك المادة بينه * وأشار
الشيخ الرصاع في فهرسته الى هك الواقعة قال تجمعت اولاد ابي الليل
من شيوخ افريقية وحاصروا الحصرة واعلنوا بالنفاق فخرج اليهم سلطان
الوقت ابو عمرو عثمان فنصرة الله تعالى عليهم * وكان الامام العلامة سيدي
ابو القاسم البرزلي يدعو عليهم بدعوات مبتكرة غير مستعملة فاستجاب الله
دعاه فاخذوا واخذت اموالهم وديارهم ونصر الله عليهم الملك وذلك ببركة
دعاء الشيخ * اه * وقال الزركشي وفي سنة اربع وخسين وقيل
اثننتين وخسين كان عرس ولي العهد الامير الاجل ابي عبد الله محمد المسعود
وكان عرسا حفيلا ما رجع بتونس مثله * قلت هذا المولى الاجل لم يات
في بني ابي حفص مثله من عفاف وديانة وبر وامانة وهو ابو الخلفاء الاخرين

لم يل أحد إلا من ولده * ومات في حياة والده وهو ممدوح الشيخ ابن الخلف وكفاه تلك الحلل التي طرزها بمدحه في حياته وهي باقية تنشر بعد موته وله مآثر عديدة منها الختم التي كتبها بيده في عدة أسفار وأوقف عليها ربعا للاستغلال يقيم القاري بها ويقرأ فيها كل يوم بعد صلاة الظهر نصف حزب أو ربعه بحسب الأيام وجعلها على التوابيت بأزاء الربعة التي بها البخاري من حبس والك بالجامع الأعظم بتونس * وله أخبار شهيرة بأفعال البر أضر بنا خوف الأطلالة * وفي سنة ثلث وسبعين عظم الوباء بتونس قيل انه بلغ عدد الموتى به الى اربعة عشر الفا في كل يوم وحصر في الزمام اربعمائة الف عبدا من لم يدخل في الزمام نحو المائة الف * وفي سنة خمس وسبعين كملت السانية المسماة بالمنصورة قرب برج الصخراء جوفي جبل الفتح وفيه ساخ مسجد الصخراء وقطعة من الجبل حتى وصلت جارتها للبحر * وفي جمادى سنة خمس وتسعين توفي ولي العهد المولى ابو عبد الله محمد المسعود ودفن بمقبرة اجداده جوار ولي الله الشيخ سيدي محرز وكان هذا المرحوم انجب بني ابي حفص غفر الله له * ومن حسنات ابي عمرو عثمان الختم الكبيرة المرسلة له هدية من البلاد الاندلسية لم ير الرأون احسن منها خطا وتزويقا بالذهب وغير ذلك مما يوله العقل وأوقف على قارئتين يقرءون بها قبل صلاة الصبح وقبل صلاة الظهر وقبل صلاة العصر الف دينار سنوية وجعل لها غلafa مرصعا وهي الموضوعت قبالة التوابيت * وبالجملة هو ختام الدولة الحفصية ونظام الخاسن الفاخرة في البلاد الافريقية وطالت ايامه في الملك عن سن كان قبله الى ان وافاه حามه وبلغ اجله منتهاه وتوفي رحمة الله عليه آخر شهر رمضان سنة ثلث وتسعين وثمانمائة وقام بالامر حفيده *

الخبر عن خلافة الامير ابي زكرياء يحيى

هو ابن المولى عبد الله محمد المسعود ابن المولى ابي عمرو عثمان بويج يوم وفاة جده وخرج الى المحلة على حسب العادة فهربت جماعة من الجند

واخبروا ان المحلة اخذتها لاعراب وان السلطان مات ومن غد جي براسه
فوضع على رمح وطيف به واستبد بالملك ابن عمه ابو محمد عبد المومن
ابن الامير ابي اسحاق ابراهيم ابن امير المومنين ابي عمرو عثمان وبويع
في رجب من السنة المذكورة * وفي ذي الحجة منها جي بجنته الامير
يحيى ودفنت عند سيدي احمد السقا وكل ذلك مفتعل * ثم بعد ذلك افتضح
الامر وظهر ان السلطان بالحياة وبعد خبر يطول دخل السلطان ابو زكرياء
يحيى وفر عبد المومن واستقل ابو زكرياء بملكه وبعد ايام جي براس عبد
المومن وطيف به كما طيف براس الخليفة يحيى وكفى الله المومنين القتال
ورجع الى حضرته بتونس وبويع بيعة ثانية ووقع الحلم منه على الناس
وجاءته بيعة بلد العناب وقابس وصفاقس ودانت له البلاد وتم في ملكه
الى سنة تسع وثسعين وكان فيه وباء عظيم مات به خلق كثير
ومات به السلطان ابو زكرياء في التاسع من شعبان فكانت مدة ملكه
ست سنين الا شهرا وعشرة ايام *

الخبر عن خلافة الامير المولى ابي عبد الله محمد

هو ابن المولى ابي محمد الحسن ابن الامير ابي عبد الله محمد المسعود
ابن امير المومنين ابي عمرو عثمان وبويع يوم وفاة ابن عمه ابي زكرياء
يحيى وجلس بالقبة وبايعه الخاص والعام وكان فطنا ذكيا فصيحاً
محبا للخير واهله معتقدا في الصالحين وهو الذي بنى المقصورة بطرف صحن
الجامع الاعظم بتونس من الجهة الشرقية مما يلي الجوفي شارفة على سوق
الطارين وسوق الطيبين وجعل فيها كتبا مفيدة وجعل لها قومة يقومون
بها ووقت الانتفاع بها وقتا محدودا عند اذان الظهر وبعد صلاة العصر
واقف عليها وقفا كافيا وجعل سقاية ياسفل منها مما يلي الشرقي حيث
كانت سقاية المولى المستنصر بالله وجعل النظر لامام الجامع الاعظم وكان
الامام اذ ذاك العالم العلامة ابو البركات ابن عصفور سامح الله الجميع
واثامهم على حسن الصنيع * وفي ايامه توفي الشيخ ابو القاسم الجليزي

اول صفر سنة اثنتين وتسعمائة ودفن بزوايته داخل باب خالد من تونس
وحضر السلطان جنازته * وفي سنة اربع وتسعمائة في جمادى توفي الزلي
سيدي منصور بن جردان وخرجت روحه ورأسه في حجر امام الجامع ابن
مصفور بالمقصورة الشرقية من الجامع وكان عمر الشيخ ابن جردان
خسة وثمانين عاما وحمله الامام الى موضع سكناه بزقة ابن عبد السلام
فغسله وكفنه وخرجت جنازته من هنالك ودفن بزوايته بحوانيت الفار
نفعا الله ببركاته * وفي ايام السلطان محمد كانت وقائع بينه وبين
العرب وهزيمة على القيروان ورجع لتونس في ثمانمائة من الخيل * وفي
ايامه خرجت بلاد كثيرة عن حكمه وهو الذي ملك الجزائر للقائد عروج
التركي وكان بها برج للنصارى ضيق عليها فملكها عروج واخذ البرج *
وبعد السنة الرابعة التي كانت فيها الواقعة على اهل تونس كما سيأتي وتمكن
الانبراطور من تونس ارسل اليها عمارة لاخذها وكان بها حسن عاغة نائبها
عن خير الدين باشا وبها شيخ شريف واراد حسن عاغة ان يهرب فمنعه
الشريف واتى امر الله فكسرت العمارة بالريح فصارت لهم غنيمته وهو
سبب قوة الجزائر كذا نقلت من خط السيد الشريف بركات رحمه الله
ومن خطه ايضا ان السلطان محمدا بعث فحمدا الغريبي رسولا الى سلطان مصر
وهو الملك الغوري وذلك في اول دولة السلطان محمد وارسل له الغوري هدية
وفيها الزرافة قال وكان الغريبي شاخ بياب السويقة فخافه محمد فقتله
عدرا * وقال اخذت طرابلس من يد محمد سنة اربع عشرة وتسعمائة
قام بها ابن قراب وملكها للنصارى وبعث لهم جيشا مقدمه القائد محمد
ابو حداد وكان من اكبر قواده فبارزة قبطان النصارى فاخذة ابو حداد
بالحملة وساقه اسيرا وابو حداد هذا كان قائد توزر * والسلطان محمد
هذا كان ختام بني ابي حفص وستن بعده اسم لا رسم وتوفي رحمه الله يوم
الخميس الخامس والعشرين من ربيع الاخير سنة اثنتين وثلثين وتسعمائة
وتولى بعده ولده الحسن *

الخبر عن خلافة الامير ابي محمد الحسن

هو ابن محمد بن الحسن بن المسعود ابن المولى ابي عمرو عثمان بويح يوم وفاة والده يوم الخميس الخامس والعشرين من ربيع الثاني سنة اثنيتين وثلاثين وتسعمائة * ولما تولى رفع المكوسات كلها واجرى على الناس العادة العثمانية وسار سيرة حسنة في اول الامر * وهـمـا انتهـى النـقل الذي قيده الزركشي ولم اطلع على ما سواه الا ما تلقيته من اهل الحاضرة ولهذا ناتي به جملا لا تفصيلا ولم اعيد نفسي لتاريخ الوقائع لقلة الضبط ولم اجد من له اهتمام بهذا الامر فاقول وبالله المستعان - سمعت من يذكر من اهل تونس ان السلطان الحسن ساءت سيرته في الناس واضطربت عليه البلاد وخرجت عن طاعته مدينته سوسة فقام فيها صهرة القليعي * وقام عليه بالقيروان الشيخ عرفة وكان من مرابطي القيروان من ذرية الشيخ سيدي نعمون وهو جيد الشابيين قام على السلطان الحسن وبايع لرجل من المتونته اسمه يحيى اوقفه في السلطنة وادعى انه حفصي جاء من المغرب وتم له الامر وهو في الحقيقة اسم لا رسم والشيخ عرفة ينفذ الامور * وفسر بعد ذلك يحيى من القيروان ودخل تونس في ايام السلطان احمد وهو متسكر فظفر به في المراكض فقطع راسه وظيف به * ولما مات الشيخ عرفة صاحب القيروان قام بالامر بعده ابن اخيه واسمه محمد بن ابي الطيب ولم يزل يحارب السلطان احمد الى ان اخذ القيروان من يده درغوث باشا بارسال اهل القيروان الى درغوث وهو بمدينة طرابلس * فسلخوا له البلاد لما جاءهم وانحرفوا عن ابن ابي الطيب وذلك لقبح سيرته في الناس وكان يحارب السلطان احمد مدة حياته وبينهما عدة وقائع * ولما اخذها درغوث في مدة السلطان احمد الحفصي اخذ ابن ابي الطيب وعلق وقرت اشياعهم من القيروان وسكنوا البادية وهم الذين يقال لهم الشابيون * لان اصباغهم من الشابة والصبية وهي بلدة قبالة المهديّة عند مكان يقال له قبودية * والعرب الذين يقال لهم دريد هم

تلاميذ للشابية وعم طوائف كثيرة لا يستحقون الـ تعريف في زماننا *
والشيخ عبد الصمد الذي ادركناه ممن خرج من القيروان عند انزعاجهم
وهو اذ ذاك دون الاربعين يوما ولم اطلع على اسم ابيه والغالب على ظني
انه ابن محمد بن ابي الطيب واستحكم في دريد فيما بعد وشاخ عليهم
ولم اخبر ليس هذا موضعها وقام بجدة ولده علي وكنيته ابو زغبة ثم ابنه
ابو زيان * وفي ايام ابي زيان خرجت اكثر رعاياه عن طاعته ودخلوا
في طاعة الترك وعند خروجهم من القيروان دخلتها الاثراك واقاموا بها *
وكان دخولهم على يد رجل من خدام الشابييين يقال له الغالي وهو
الذي تسبب في مجيئ الترك لاجل واقعة يطول شرحها * اه * ولنرجع
الى خبر السلطان الحسن * وفي ايامه كانت قسطنطينة في ايدي الترك
وانما كان ولده اجد نائباً ببلد العناب * وفي ايامه تغلبت لاعراب على
جل البلاد * وكانت الشوكة في اولاد سعيد لانهم استقلوا بالبلاد بعد
اولاد مدافع والشرح لما انقضوا فعات اولاد سعيد في البلاد وهاهم السلطان
الحسن بستين الف دينار على الوطن * وفي ايامه جاءت عمارة من بر
الترك لاجد تونس ارسلها ابراهيم باشا وكان وزيرا للسلطان سليمان بن
السلطان سليم فاتح مصر . وكان ابراهيم باشا ضرب الدينار باسمه وهو اول
وزير تولى الوزارة من اولاد السراية واهلكه الادلال والاعجاب بنفسه
ومات سنة احدى واربعين وتسعمائة وكان مخادعا لسلطانهم فارسل
خير الدين الى تونس من غير اذن سلطانهم فنازل تونس واخذها وفر عنها
الحسن ودخل خير الدين الى تونس واستقل بقصبتها ولم اقف على صحة
خبر كم كانت مدته إلا انه كان قبل الاربعين والتسعمائة والصحيح عندي
والله اعلم انها كانت سنة خمس وثلاثين او ست وثلاثين * وقام اهل باب
السويقة على خير الدين وكانت بينهم مقتلة عظيمة مات فيها خلق كثير
من الثقيين * وكانت من باب القصبة الى باب البنات على حومة العلوچ
وفشا القتل في الناس وانجز القتال * وبسعت خير الدين بالامنان

وانعكف الفريقان ، وخير الدين هذا هو الذي نفى العالم مغوشا لحوفه مند لما ملك تونس ومغوش هذا كان في دولة الحسن وجيها فخرج الى المشرق وحج ودخل الى الديار الرومية والتقى مع العلامة الشيخ المفتي بتلك البلاد علامة وقته ابي السعود افندي رحمه الله * وظهرت فضائل العالم مغوش هنالك وطارح علماء القسطنطينية واسترفوا له بالفضل وترقى في ذلك العصر الى ان ام بالملك السلطان سليمان خان وكل ذلك من بركة العلم وبركة الشيخ سيدي منصور بن جردان نفع الله به * ولما تمكن خير الدين بتونس جاءت عمارة من بلاد النصارى استجد بها الحسن من قبل الانباطور فيها مائة الف مقاتل * قتلت الانباطور في ذلك الزمان هو صاحب اسبانية دمره الله وانما تسمى بهذا الاسم لما تحكم على اكثر بلاد الاندلس فشمخ بانفسه وتسمى بالانباطور ولم يكن هذا الاسم لاحد من اجداده والانباطور من اسماء ملوك الالمان لان ملكهم قديم والانباطور عندهم كالخليفة عند المسلمين وانما نهبث على هذا لئلا يظن انه الانباطور المعهود * ولما نزلت النصارى قابلتهم لا تراك وسن انحاز اليهم من المسلمين وعددهم ثمانية عشر الفا والتقى الجمعان بخربة الكلخ شرقي تونس وخير الدين معهم وانتشب القتال بينهم وكانت مقتلة عظيمة * وظهرت شجاعة خير الدين في ذلك النهار وكادت ان تكون له على النصارى الا والخبر اتاه ان القصة اخذت وان الاعلاج الذين بها فتخوا الباب ففر خير الدين من وقته وسن معه الى المغرب * واعترضته العرب عند تبرسق فكانت بينهم حروب شديدة وتخلص منهم الى ان وصل بلد العناب وركب البحر في عشرين غرابا وسياتي بقية خبره ان شاء الله تعالى * ولما دخل الحسن الى قصبته واطمانت الناس وقعد كل صانع في صناعته واهل الربع فتخوا ربهم واطمانوا في اماكنهم دهمهم عدو الدين فهاجمت النصارى عليهم على حين غفلة في قائلته والاسواق مفتوحة فاخذوا ما فيها من الامتعة وقتلوا اهلها وسبوا خلقا كثيرا وفر الناس بعيالهم ممن قدر على الهرب

وراحوا الى ناحية زغوان * فبعث عظيم النصارى الى العرب وجعل لهم
جعلا على كل مسلم اتوا به اليه فخرجت العربان في طلبهم واخرجوهم من كل
شعب وواد واتوا بهم الى النصارى فكان طلب العرب لهم اصعب من طلب
النصارى واخذوا ما شرطوا لهم والبعض فدى نفسه من العرب وبلغت
فدية الرجل الف دينار واكثر واقل وسن لم يفد نفسه من كافر العرب
تملكه الكافر الاخر وكان هذا الخطب جسيما * وهذه الواقعة هي
المعبر عنها بخطرة الاربعاء وكان السلطان الحسن اباح البلد للنصارى
ثلاثة ايام * والى هذه الواقعة اشار العالم ابن سلامة في قصيدته التي
يتشوق فيها الى تونس ويندب اطلالها * ويذكر ايامها الرافلة في حل
الدعة كيف تغيرت وتبدلت احوالها * والله سر في تقلبات الزمان *
كل يوم هو في شأن * وقيل في هذه الواقعة اسر الثالث ومات الثالث وهرب
الثالث * وسمعت من شيوخ البلد سن يقول عدد كل ثلث ستون
الفا والله اعلم بحقيقة ذلك وكانت هذه الواقعة سنة احدى واربعين
وتسعمائة * واما خير الدين فانه فر من بلد العناب في عشرين غرابا
ورجع الى بر الترك فعثر على سفينة وفيها رسول من عند ابراهيم باشا فاخذه
خير الدين ورجع به الى السلطان سليمان وكان مع الرسول دلائل الخديعة
التي لا ابراهيم باشا فعفا عن خير الدين وقتل ابراهيم باشا بيده * ولما تفرق
الانبراطور عن تونس بعد نهبها طالبتة نفسه باخذ الجزائر فبعث اليها عمارة
فكان من امرها ما تقدم ذكره ومن ذلك الوقت لم يضع تاجا على راسه ولا
احد من ذريته الى يومنا هذا وذلك انه لما سمع بفساد عمارته على الجزائر
رمى بتاجه الى الارض واقسم لا يضعه على راسه الا بعد اخذه الجزائر
وهلم جرا الامر في عقبه زادهم الله خيبة * وعند استقرار الحسن بتونس
تراجع بعض اهل البلد بعد الشتات والنهب وحب الوطن الى اهل من
الايمان * واستقضى السلطان الحسن بعد هذه الواقعة الشيخ سالم الهواري
وكانت فيه رجة للناس في تامينهم على املاكهم وسار فيهم سيرة مشكورة

انا به الله على صنعه . والشيخ سالم جند اهل تونس يقولون كانت له
صبيوة ايام صباه واقلع عن ذلك واقول وأنا استغفر الله معاذ الله ان يكون من
اهل ما ينسبون اليه فان اهل الحضرة من العلماء في ذلك العصر كانوا
اهل دين وعفاف فكيف يقدمون من كانت في ذلك الخصال الغير المرضية
اللهم إلا ان يكون بدت منه ايام الشباب واقلع بعد او هذا من اقوال
المبغضين والعلماء لحومهم مسمومة والله اعلم بذلك . وبعد سنة اربعاء
جمع الحسن عربانا وجع جوعا وخرج الى القيروان لتصد اقتكاكها من يد
الشابيين فلما قرب منها ونزل باطن القرن خرجت اليه اهل القيروان
فكبسوه ليلا فانهزم هو وسن معه واخذت امواله ورجع مكسورا . فاقسم لا
يرجع عنها بحال وعزم على اخذها بالنصارى كما اخذ تونس فخرج
بنفسه الى بلاد النصارى ليأتي بعمارة مثل الاولى ويأبى الله إلا ما يريد .
وكان غرض الحسن اباحة القيروان كما اباح تونس فقابلته الله على صنعه
وخبط نيته . وكان ابنه احمد عاملا في بلد العناب فلما شعر بفعل ابيه وما
عزم عليه خاف من اتلاف الحضرة فتلافها واقبل الى تونس خفية وتكلم
مع بظانته وجماعته من اهل اريانة وعمدته الشيخ عمر الجبالي الذي
شاخ بباب الجزيرة واولاده من بعل شاخوا بالربض المذكور وكان الشيخ
عمر ميم قوي قلبه يوم دخوله القصبه فدخلها على حين غفلة . ولما
وصل قبالة القصبه عند المكان الذي فيه سكنى المرحوم محمد باشا وبه يعرف
في عصرنا هذا جنت نفس احمد عن الاقدام الى باب القصبه فوكزة
الشيخ عمر بين كتفيه وقال له تقدم فقويت نفسه ودخل القصبه فلم
يتعرض له احد واتصل الخير بالناس فهرعوا اليه وبايعوه . فقال لهم -- انما
فعلت هذا لانني انفت لما حل بكم في السابق وخفت عليكم مما ياتي --
فشكروه ودعوا له ونهار في الناس سيرة حسنة نفرت بها نفوس اهل
البلد عن ابيه الحسن وبعث سن يتعصب للحسن الى النصارى الذين
مخلق الوادي واعلموهم بالخبر فبعثوا فرقاطة في اثر الحسن اخبرته بما وقع

من اخذ ولده اجد القصبة واستقلاله بالامر فعظم ذلك عليه وبذل اموالا كثيرة واتى بعمارة عظيمة وجع كثير * ولما وصل المحسن بالنصارى هبطوا الى البر فسمع السلطان اجد واهل البلد ووقعت هرجة عظيمة وخلاف اهل المدينة ان يصابوا مثل المرة الاولى فنفروا خفافا وثقالا بنية الجهاد * والمدافعة عن الاموال والاولاد * ونادى منادي اجد - سن اتى باسير او راس قتيل فله مائة دينار - وجلس عند باب القصبة وجعل الدنانير في قراطيس من الكاغذ وحرص الناس على الجهاد فخرج اهل الربضيين بلا سلطان معهم والتقوا بالنصارى والمحسن وكانت المصافى من خربة الكلخ الى سانية العناب * وكان يؤمذ الشيخ سيدي علي المحبوب ممن حضر الواقعة فوقى عند كديته الفيران واخذ قبضة من تراب ومسكها في يده وقرا حزب البحر للشيخ الشاذلي نفع الله به الجميع وعند تمام قراءته رمى بهما نحو الكفرة وقال - شامت الوجوه ثلثا - واصطف الفريقان ولم يكن بينهما قتال والناس ينظر بعضهم بعضا إلا وسلم اخضر طلع من المدينة واقبل من بين شط البحيرة وبين نوايل سيدي سفيان ومعه مائتا رجل لا غير واميرهم المعلم عمر فلما رغاها الناس تنقوت نفوسهم فتقدم الشيخ عمر وسن معه وتقدم الناس والتقى الجمعان واشتد القتال ساعة من النهار * فانزل الله النصر على المسلمين . وصدقوا في قتالهم لاعداء الدين فانهم حزب الشيطان - وكان حقا علينا نصر المؤمنين - وثبت اهل دين الاسلام وخذل الله الكافرين . فتمتوا قتلا ذريعا لم يقتل بتونس مثله * وسمعت من اهل الحضرة سن يقول كان السلطان اجد ذلك اليوم يعطي كل سن اثناء براس من الكفرة مائة دينار وكثرت الرؤوس حتى صار يعطي العشرة الدنانير واقل واكثر الى ان اعطى دينارا * وحضر ذلك اليوم الشيخ سيدي عبد الله بن داود نفع الله به فجاهد في الله حتى جهاده حتى يبست يده على قائم سيفه والدم منعقد عليها جزاء الله خيرا * وفر المحسن الى شكلته ودخل في الماء واجلا بلا فرس وهابته الناس لكونه مرلي او بر فدخل ابو الهول فاخرجه وهو

ملوث بالغرم فكسي برنسا وجي به الـ ولده احمد فوبخه على فعله
حتى قال له - خالفت مساك الحسن - وسجنه . وكانت واقعة مذكورة عند
اهل تونس بردت بها حراء كبودهم مما وقع لهم قبل ذلك . واستغاث العوام
بالسلطان احمد وقالوا لا يكون ملكان في مدينة وكثر هرج الناس فاستشار
احمد اصحابه في سجنه او قتله فاشار عليه ابن ابي حزة بسمل عينيه
فسملت عيناه * ولما نفذ امر الله فيه اخذ نفسه بزيارة الصالحين
ويطلب في ذلك الاذن من ولده فياذن له ولا زال يتنقل من ولي الى آخر
حتى استاذنه في زيارة الشيخ سيدي ابي القاسم الجليزي فقال له ولده
احمد - لعلك تريد ان تالحق بصهرك ابي سلامة القليعي - فقال له الحسن
- وما عسى ان يكون مني وانا على هذه الحالة - فاذن له فكان الامر كما قال
احمد . فانه لما خرج الـ مقام الشيخ الجليزي نفع الله به اتاه القليعي بالليل
وهرب به الـ القيروان * واقام بزاوية الشيخ المجدي برهة من الزمان
وكانت عجائز القيروان يجالسنه ويتن معهن وانا ادركت بعض سن ادركت
بعض العجائز اللاتي جالسنه وحادثنهم * وسمعت من الحاكي انه قال
دخل عليه اولاد الشيخ عرفت صاحب القيروان في بعض الايام واتوه ببربط
وهو عود الملهة وقالوا له - نريد ان نسمعنا من غنائك بالعود - والزموه
ذلك استخفافا به فاخذوه وجسه بيده وقد كبر عليهم اقدامهم بما لا يليق
بمثله فانشداهم البيت الشهير بين الناس :

وكنا اسودا والرجال تهابنسا انا زمان فيه نخشى الارابا
والقى العود من يده وجهش بالبكاء في وجوههم فخرجوا من بين يديه لا يدوي
احد اين يضع قدمه فسبحان المعز وسبحان المذل * وكان في خبري انه
مات بالقيروان لانه مقبور هناك حتى وقفت على ورقة بخط الشيخ بركات
الشريف يذكر فيها ان السلطان الحسن هرب الى بلاد النصارى وهو اعشى
واقي بعمارة لاخذ المهدية فمات في البحر فانزل الـ البر ورفعوه الـ
لقيروان فدفن بها والله اعلم بحقائق الامور . ويمكن ان يكون فر من القيروان

بعد ما اقام بها وهذا هو الاصح لان اقامته بالقيروان معروفة بين الناس *
الخبر عن خلافة الامير المولى ابي العباس احمد

هو ابن المولى ابي محمد الحسن ابن المولى ابي عبد الله محمد ابن المولى
ابي محمد الحسن بن ابي عبد الله المسعود ابن الامام ابي عمرو عثمان وبقية
النسب معروفة تغلب على ملك ابيه في حياته كما تقدم ذكره *
وقيل ان السلطان الحسن لما فعل بتونس ما ذكرناه واستحكم اعداء
الدين بحلق الوادي وصارت لهم صولة وشاركوه في احكامه واستوزر الحسن
محمد بن عبد الملك السليطين وكانت مدته نحو الاربعين يوما كان المشارك
له في الحكم النصراني جوان بن جاكمو * وكان من اهل العقد والحل
مع نصارى حلق الوادي وكان معه ثلثمائة رجل من النصارى وهو كبيرهم
وكانوا يلبسون المبطن والبرنيطة وسكناهم في الربض الذي خلف القصبه *
واول سن اسكن النصارى بذلك الربض السلطان عثمان لانهم اخواله *
واشتدت شوكتهم في ايام ابن عبد الملك . وجوان هذا هو الذي قتل عبد
الكريم بن هلال ضربه على راسه بفاس في علو الخليفة الحسن واشرف من
العلو على اصحابه فقال لهم اقتلوا بقية بني هلال فقتلوا يومئذ ثلثة عشر
رجلا . ووجدت قبورهم مبنية وسببه ان جدهم علي تعلم النجامة على رجل
رباه فاخبره بان بنيه يموتون في يوم واحد ولا يجدون مدفنا فجعل
اكثر من ثلثة عشر قبراً فلما قتلوا الحدوا بها . وشي محمد بن حذيفة
اليمني الى ابيه ابراهيم بن هلال في ذلك اليوم واعدة هو وبقية بنيه
ان لم يتوبوا قتلوا بالمحديد وهربوا بعد ذلك الى قسطينة وهي اذ ذاك بيد
الترك فاکرموهم ورجعوا بعد ذلك على يد القائد ابراهيم الشيخ * وقد التقى مع
علي بن حذيفة بن هلال وقال له تتوب قال نعم . وبنو هلال من خدام
ابي فارس وهم اهل رياسة * ولمسا ترايد تسلط النصارى استبدوا
بالاحكام حتى ان ابن عبد الملك لما مات قام ولده مقامه وجوان المذكور ناظر
عليه فانفج احمد من ذلك وذهب الى الشيخ صالح فامده بالمال ورافقه

في ذهابه محمد العصاوي وابو حمزة والبرادي وصحام بن جميع وجماعة
واخذ البلد كما ذكرنا قبل والله اعلم . واول من راسل ملوك الترك
السلطان احمد بن الحسن بعث اولا محمد القصبي في ايام حسن بن خير
الدين وجاء معه الى الجزائر لاجسامه اليه . وبعث بعده محمد
الريش وبعد ذلك بعث ابا الطيب تاج الحضار للبasha علي وهو بمدينته
طرابلس وعدي معه البasha علي الى الجزائر ووقعت الفتنة بينهما اي بين
البasha علي وابي الطيب وبعث مرة اخرى الى القسطنطينية وهي
الاحيرة * ولمسا تمكن من الملك لم يجد في خزائن اجداده شيئا
لأنها اتلفتها ابوه في ايامه وعاشت اولاد سعيد في البلاد كعادتهم الخبيثة
وشنوا الغارة الى ان وصلوا للجبل الاخضر وساقوا بعض مواشي السلطان
فخرج اليهم بنفسهم فادركهم في سيجوم وطعن بعضهم . وكان شجاعا مقداما
وفيه فروسية حتى قيل انه لم يضع رجله في ركاب عند ركوبه * ولمسا
استوسق له الامر اركب ثلاثة آلاف فارس وسماهم زمامية وكانوا قبله يسمون
موحدية واخرج فتوى من علماء الحضرة بقتال اولاد سعيد فبندد شملهم
واهانهم * قسست تقدم في خبر جده عثمان ان الشيخ ابا القاسم
البرزلي رحمه الله كان يدعو على اولاد سعيد عند خروج السلطان الي قتالهم
كما ذكره الشيخ الرصاع * وسمعت من يقول انه افق بقتلهم ايضا وبقتال
غيرهم من المحاربين من عرب افريقية ولا فرق الا ان هذه الطائفة الملعونة
اشد نفاقا من غيرهم * وابن ناجي افق بتكريم مبايعتهم عالات الحرب
حتى لا تمقت والنرواحي التي يلبسها الافريقيون من العرب لا فرق بين
هؤلاء وهؤلاء الا ان السعديين اقوى ضررا من غيرهم لانهم على منبر الايام
لا يتسبون فسادهم ولا ينتهون عن فعلهم الخبيث . وكان المولى ابو عمرو
عثمان تمكن اذلهم ومزق جمعهم وافلهم واخذ عليهم ان لا يصلوا الى نواحي
الوطن وسكناهم من وادراة الى القبلة لا يتعدونه . وانما حدث منهم
هذا الحادث في ايام السلطان الحسن الى ايام السلطان احمد هذا زاد طغيانهم

فسلط الله عليهم * وكان السلطان المذكور محبا في العدل واقامة الشرع لا يتعدا احكامه في رعيته وسن طلب معه الشرع اجابه اليه والمعصبون عليه ينسبونهم الى غير هذا والله اعلم * وسمعت من اهل الحضرة سن يقول كان يزور الشيخ سيدي ابي القاسم الجليزي ولم اعتقاد فيه * وكان المذكور يشاهد النبي صلى الله عليه وسلم في نوم كل ليلة جمعة فلما جي بالسلطان احمد ميتا ودفن بزوايته الشيخ الجليزي المذكور قصر عن زيارته فامتنع من رويته النبي صلى الله عليه وسلم فلا زال يستهل بالدعاء الى الله ويستغيث الى ان يسر الله عليه فرءا فيما يرى النائم النبي صلى الله عليه وسلم فقال - يا رسول الله ما جيك عني - فقال له صلى الله عليه وسلم - لم لا تزور الشيخ الجليزي - فقال - يا رسول الله لاجل الظالم الذي دفن بازائه - فقال له صلى الله عليه وسلم - انه كان يذب عن شريعتي فزرهما معا فلو لم تكن له إلا هذه المنقبة لكفته سامحه الله تعالى * وكانت بينه وبين درغوث باشا صديقة اديدة ، ولما كان درغوث باشا محاربا لجربة ارسل له السلطان احمد المونة وذلك ان جربة عصت عليه لظلم منه وملكتها النصارى ستة اشهر وافتكت على يد الباشا علي ارسال درغوث ، والباشا علي هذا هو الذي مشى اليه ابو الطيب الخبصار وعدل معه الى الجزائر * وفي ايام السلطان احمد كانت دولته الجنائيين لانه اتخذ سودانا وجعلهم جيشا له لما كان يتوقع من تمليك البلاد لقوم لغتهم غير العربية فجعل اقواما من السودان ورفع منزلتهم تفاولا بذلك لكي يكونوا هم الموعد بهم لما اخبره منجوه وسن يدعي الجفر وكان للسلطان احمد اهتمام بهذا العلم * وكذلك ما اخبر به عن اهل هذه الصناعة ان الحكم ينتقل منه الى رجل اسمه علي من غير جنس العرب وذهب ملكه على يديه فاقام مملوكا له من الاعلاج وسماه علي واجلسه في مجلسه وفوض له الامر * والتقدر يجري بخلاف ذلك * وكانت له فتكات في العرب اهانهم وبدد جمعهم غير ما مرة * وفي اهل حلق الوادي له عدة وقائع

منها انه عزم على السفر الى افريقية على عادته وسار كانه غاز ومعه
الف فارس وادى خلف كل فارس رجلا وسار الى ان بلغ ماطر ورجع
من هنالك على غير طريقه الاولى الى ان اتي الى ناحية المعلقة فكن
هنالك * وبسعت خيل الدالة وامرهم بالغارة على حلق الوادي
والنصارى مطمئنون من جانبه لان جواسيسهم وهم المهجرون اخبرتهم بان
السلطان خرج عن البلد فلما انذروا بخيل الدالة خرجوا من البرج في
طلب الخيل وانهزموا امامهم فاتبعوهم الى ان وصلوا الى قرب الحضرة * فلما
لم يجد يبعدهم جال نحو البرج ودهم الذي به على حين غفلة ووقف على
بابه وانذهلت النصارى عن غلق الباب وامتنع هو من اخذه ورجع ولو
اراد اخذه تمكن منه لما هو سابق في الغيب لان القوم كانوا يرون ان
البرج المذكور يحول بينهم وبين عدوهم المتوقعون له * ولما رجع
السلطان من خلفه حال بين العلاج الذين خرجوا غائرين وبين البرج
فقتل منهم خلقا عظيما * وكان اهل حلق الوادي ياخذون من اهل
تونس الرمية من الصوف والجير لبناء برجهم فان اعطوهم ذلك وقعت
الهدنة وان لم يعطوا يضيقون عليهم برا وبحرا وتصبح بطائعهم في البحيرة
ويرمون بالمدافع وفي البر يغفرونهم وسن معهم من المهجرين فيقاسي من
ذلك اهل تونس اكبر التعب * وان عزم اهل تونس او السلطان على غزوهم
انذروهم المهجرون وهذا دأبهم معهم * وكان اهل تونس في شدة مع العدو
في كل حين ولهذا كانوا يدرسون اولادهم بلعب الحجارة دائما ليتطروا
بملاقاة العدو ولم يزلوا يقاسون من الكفرة الشدائد الى ان من الله عليهم
بهذه السلطنة الخاقانية ابقاها الله لمجاهدة الكفرة حسمت عن اهل تونس
تلك الارجاس والله رءوف بالناس وسيأتي بعد ان شاء الله تعالى * واخبار
السلطان احمد يطول شرحها وفيما ذكرناه كفاية ودامت ايامه وانتشرت
بالعدل احكامه الى ان نفذ فيه امر الله لا راد لقضائه * وقيل ان
ابا الطيب كان يتوقع منه القبض عليه * وهذا هو الموجب لانحرافه

عليه وانه دخل عليه في بعض الايام فوجده في شغل من الفكرة فحدثه بما
يسليه فقال له السلطان - يا ابا الطيب لو جاءني علي من المغرب في
عدد يسير ما كنت القاه وهذا عاينه واني لفي حيرة من ذلك - فحدثه
ابو الطيب بما شرح صدره واذهب عنه فكرة فكان هذا هو الباعث
لابي الطيب الى ان كاتب الباشا علي وهو بمدينة الجزائر وحرصه على
القدوم لتونس وكانت بين السلطان احمد والباشا علي صغائين في النفوس
من وقت استخدامهم بمدينة طرابلس * ولهذا السبب ارسل اليه ابا
الطيب فيما تقدم لانصلاح الحال * ولما بلغت مكاتبة ابي الطيب
علي باشا تقوى عزمه وخرج بمحلة عظيمة . واجتمع اليه من عمارة وقرقة
وسويد نحو من سبعة آلاف واقل بهم * ولما سمع احمد بمجيي اهل
الجزائر خرج ليصدهم عن الوطن والتقى معهم على بلد باجة * وكان مع
السلطان احمد خيله الزمازية . واخذ معه من الرجال الفا وستمائة والتقى بهم
فلم يغنوا عنه شيئا . واخذت محلته وانهمز احمد بمن معه . وجاءت الترك
الى وادي مجردة فوجدوه زائدا فمنعهم من العبور فارسل الباشا علي الى
بنزرت فجاءته الالواح والقناطر وجعلها جسرا على الوادي وقطع العسكر
والتقى مع السلطان احمد مرة ثانية قرب سيدي علي الخطاب فكسر ثانيا
وقيل وقع الحرب ثالث كرة عند سيدي عبد الوهاب ولم تكن للسلطان
احمد قوة فدخل الى المحضرة وقد ايس من الملك وراى الموانسة لعدوه من
عسكرة وفر عنه غالب الناس وخرج في بعض الليالي الى ربح باب
السويقة وقصد دار الشيخ سيدي علي المني نفع الله به وهو اذ ذاك
بقيد الحياة * فلما جلس في صدر البيت ولم يكن الشيخ حاضرا الا
والشيخ قد اقبل ووضع يديه على عارضي الباب وقال يا احمد فاجابه بنعم
فاستفتح الشيخ وقال - قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتُسزِع
الملك من تشاء - الى تمام الآية فعلم السلطان ان الامر مدبر فخرج وهو
ايس من الملك فرجع الى قصبه وجع ذخائره وامواله وبعض اهله وسن تبعه

وخرج تحت الليل فتبعه العرب والبعض من اهل البلاد فدافع عن نفسه ونهب الكثير من ماله وسار على طريق رادس ولم يبق معه الا نفر قليل وعرج في طريقه الى ناحية البريجة وقطع الى حلق الوادي ولم يكن البحر شامرا تلك الجهة كما هو في زماننا وانما طغى الماء بعد . ولما وصل الى المحصار قرع الباب فظن به العسس فاخبروا كبيرهم فاشرف عليه من فوق فعرفه احد بنفسه ففتح له الباب فدخل واطمأنت نفسه * ولما خرج عن المدينة لم يكن لاهل المدينة قبل بمداغمة الاثراك ففتحوا الابواب ودخل الباشا علي * ودخل العسكر معه واصبح جالسا في القسبة وذلك في سنة سبع وسبعين وقيل ثمان وسبعين وتسعمائة ونادى المنادي في الناس بالامان وطلع اليه اهل البلد واخذ منهم البيعة لسلطانهم ومن غد اجتمعت جماعة من جند السلطان احمد من الزمازمية الذين رجعوا عنه وسن بقي منهم وانفقوا على الرحيل من البلد فقال قائلهم - لا بد لنا من الوقوف بين ايدي الترك - فساروا باجمعهم الى باب القسبة وتكلموا معهم وقالوا - انا كنا خدمنا سلطاننا مدة اقامته ودافعنا عنه بقدر طاقتنا واما اليوم فان شئتم ابقيتهمونا في اماكننا وان شئتم صرفتمونا وارض الله واسعة - فتشاوروا في امرهم وابقوهم على حالهم وقالوا لهم - انتم نصحتهم سلطانكم وليس لكم ذنب وحيث اديتم حق ملككم وقاتلتم في طاعته انتم اليوم معدودون من جماعة - فمن ذلك اليوم عرفوا بجماعة الترك الى يومنا هذا وعليهم ابو الطيب قوانين البلاد وتصرفاتها واخذ يتصرف في الاعمال لان القوم ليس لهم خبرة باحوالها طنا منه انه يستبد بالحكم معهم لكونه هو السبب في اتيانهم وممن اعانهم فعاجلوه وقتل صبرا ونهبوا امواله وان الله لا يهدي كيد الخائنين وعوقب بنقيض مقصوده كما هي عادة الله في من سلحت نيته * ولما تمهدت البلاد رجع الباشا علي الى الجزائر وخلف في البلاد نوبة من اثراك وزواوة لضيانتها وخلف قائله رمضان حاكما في البلد وعدد الاثراك الذين خلفهم ثمانمائة والزواوة كذلك * وكان في عسكر السلطان احمد اربعمائة من

الأتراك وإما أراد أن يدافع أهل الجزائر كما ذكرنا قال للاتراك الذين في خدمة دولاء أهل الجزائر من جنسكم وأنا لا أريد أن تقع بينكم عداوة فتألبوا له إنما خدمناك لندافع عنك بانفسنا فابى عليهم وبعثهم إلى سوسة إلى أن وقع عليهم ما وقع واخذت الترك البلاد فتراجعوا بعد ذلك ومكثت في أيدي أهل الجزائر ثلث سنين والعرب من برها وأهل حلق الوادي من بحرهما إلى أن جاءتها العمارة من الأتراك باذن السلطان أحمد وذلك في سنة ثمانين وتسعمائة . وانفق عليها أموالا كثيرة . وإما وصلت العمارة إلى حلق الوادي أخرج الجنرال كتابا من عند سلطانه يذكر شروطا اشترطها على السلطان أحمد فامتنع منها وقال - مالكم عندي إلا المال لا غير وأما البلاد فليس لكم فيها شيء - فقال الجنرال - ان تفي بها فخير وإلا تقدم غيرك فف لنا بها - وقدموا أخاه محمدا فقبل الشرط ونزل بهم إلى البر وإما السلطان أحمد ففر إلى جزيرة صقلية وسكن مدينته بلرمو وبقي بها إلى أن مات رحمه الله وجيء به إلى تونس فدفن بزاوية الشيخ الجليزي بعد ما مكث ثلثة ايام ملقى في الجبال لم يؤذن بادخاله البلد طنا من القوم انه حي وادخل بعد ذلك ودفن والملك لله وحده *

الخبر عن خلافة الأمير المولى محمد بن المولى الحسن

أمه أم ولد وهو خاتمة بني أبي حفص وبانقراضه انقضت أيامهم قدم إلى المحضرة بعمارة النصارى فلما علمت أهل تونس بفجيئتهم هربوا من البلد خيفة من هول الأربعاء وهي الواقعة التي جرت عليهم أيام الحسن وهرب أكثر أهل تونس إلى ناحية جبل الرصاص واختفوا هناك في الدواميس وهذه الواقعة يعبر عنها بـخطرة الدواميس * وكان فيها الخطب جليلا وكانت في زمن الخريف وغالب أهل البلاد عرائس فانهتك حجابهم وافتضحوا ونالهم من الهوان ما لم يعهدوه وصنعوا نواويل في الغابات وسكنوا بها وتسولوا بين خيام البادية ونالوا من الخوف والجوع ما لم ينله أحد وتولى الحرس على النساء والذراري القائد عبد الله والقائد علي بن أبي زيد . وبعث اليهم

الشيخ الجديد يحرصهم عن قلعة الطمانينة . وبعث السلطان محمد بعد ذلك للناس وامرهم بالرجوع الى البلد ثم رجعوا فمّن وجد دارة اخذها وسن وجدها بيد النصارى وكل امره الى الله . وقسمت المدينة قسمين كفر وايمان * وفي تلك الايام اهيرن المسجد الاعظم ونهبت خزائن الكتب التي به ودرست بارجل الكفرة معالم المدارس وتفرقت ما جمع فيها من دواوين العلوم وتبددت في الشوارع حتى قيل ان المار من شرقي الجامع حيث النواوريين لان انما يمر على الكتب المطروحة هناك وضربت النواقيس في الحصرة * وسمعت بعض اهل البلاد يقول ان النصارى ربطوا خيولهم بالجامع الاعظم ونبشوا قبر الشيخ سيدي محرز بن خاف فلم يجدوا به إلا الرمل وفعلوا ما لا تفعله الاعداء بالاعداء . وساكنوا المسلمين وصارت الدار بالدار . وسكن القبطان مع السلطان محمد بالقصبة ويجلسان معا في سقيفتها للحكم واستمال القبطان قلوب الناس وساسهم بعدله ومكره ومنع من التعدي عليهم . وانحاز اهل باب السويقة على ناحيته ومنعوا انفسهم من الاهانته . واهل باب الجزيرة واهل المدينة اهيئوا لانهم تحت الرمية فجرى عليهم حكم النصارى * وفي تلك المدة عمر البستيون خارج باب البحر من تونس وفصلت اسواقه وحواليته وعمر بالكفرة ونال اهل تونس من اهل البستيون ما لم ينالوه من غيرهم حتى كانوا يفتنون الرجل عن دينه . وشاركت النصارى المسلمين في مساكنهم ومعاملتهم واقاموا معهم تحت القهر والاهانة وفي تلك الايام وقعت خطرة الشكارى بين مسلم ونصراني كل منهما اراد شراها فمد النصراني يده في المسلم فصاح المسلم واستغاث فقامت الناس لنصرة المسلم وقتلوا النصراني وكانت الواقعة بباب البنات فتسامع ابناء جنسه ففزعوا وخرجوا من باب السويقة ووقعت بينهم مقتلة دام فيها الحرب من الصبح الى غروب الشمس وبقيت جنايز الفريقين ملقاة وخرج السلطان وحز بين الفريقين وجرت النصارى موتاهم على العجل . وسبب هذه الخطرة على يد ابن الصغار كانت دارة بالعزافين . وقد ادركت ابنة يسكن هنالك وسمعت من

ولده يقول كان ابي هو السبب في تلك الواقعة والله اعلم بحقيقة ذلك .
وانرجع الى خبر الترك فانهم لما دهمهم العدو وعلوا ان ليس لهم طاقة
بمقاومتهم سلوا البلد وهربوا الى ناحية جزيرة شريك ونزلوا على الحمامات
فغلقوا دونهم اهل الحمامات باب البلد فطلبوا منهم القوت فمنعوهم وعلقوا
سلوقية ميتة على برج عندهم وبه يسمى برج السلوقية الى اليوم وقالوا لهم هذا ما
لكم عندنا . فباتوا هنالك وجعوا امرهم الى اين يكون ذهابهم فانفقت اراوهم على
القيروان وبها الباشا حيدر . وكان نما اليهم الخبر بما وقع بتونس فاضطرب
القيروان تلك الايام * ولمسا اراد الترك ان يتوجهوا الى القيروان
لحققت بهم النصارى على بلد الحمامات فلم يكن لهم مخرجا ياجاون اليه
فقال كبيرهم نجعل البحر خلفنا ونستقبل العدو والنصر بيد الله تعالى . وسمعت
سن يقول ان اميرهم كان خير الدين وليس كذلك لان خير الدين هو
الذي اخذ تونس من يد الحسن في حدود الاربعين وهذه الكائنة في
سنة ثمانين إلا ان يكون الحسن بن خير الدين والله اعلم * ولمسا
وصل العدو الى الترك صدقوا في القتال وصبروا صبرا لا حرار فهربت الكفرة
وركبت الترك ادبارهم الى ان اخرجوهم من الخنقة التي بقرب الحمامات
وقتلوا منهم ما شاء الله وقطعوا رؤوس القتلى وبعثوا منها اجالا للقيروان
لنسكين الاحوال فيها . ووجدت صناديق للنصارى مملوءة بالريش بقصد
سن قتل منهم مسلما رشقوا ريشة في راس قاتله للباهاة فخذلهم الله تعالى *
ومن الغد رجعوا الى الحمامات فحاصروها واخذوها عنوة وقتلوا سن قتلوا
عليه من الرجال وفر الباقون وسييت اولادهم وحريرهم ونهبت اموالهم
وفعلوا بهم الفاقة . واتي الشيخ الجديدى فافتك منهم النساء والاولاد وتراجع
اليها سن هرب . والتحق الترك باخوانهم بالقيروان واقاموا هناك عشرة
اشهر مدة سلطنة محمد وتحكم النصارى بتونس . واشتد الامر على الذين
بالقيروان وضائق بهم البلاد * وكان بها الباشا حيدر وهو الذي ضرب
الحيدري المشهور بالقيروان . واراد الفرار عنها لشدة الامر وكان يتردد الى

الشيخ سيدي احمد الرنسان نفع الله به فكان الشيخ يربصه ويوعده بالخير
فيقف عند اشارة الشيخ الى ان قدر الله بارتقاء المحن * وازالت البوس
والحزن * واطهار شعائر الاسلام بالدرجة العلية * ونشر الاعلام الخاقانية
وتطهير الديار التونسية * من الكفر والارجاس * فسلم الله هذه المملكة
بالخاقان سليم بن سليمان والله رءوف بالناس * وكاتب اهل القيروان
اخوتهم بطرابلس والمزائر فأتوا بنية الجهاد من الجزائر ومن طرابلس ومن
القيروان ونزلوا بساحة تونس في يوم واحد وناوشوا القتال لاهل تونس وضائقوها
من البر واقاموا عليها مدة فلم يفعلوا شيئا * ولما طالت اقامتهم ولم يحصلوا على
شيء عزموا على الرحيل الى بلادهم . فظهرت لهم مراكب في البحر فظنوا
انها عمارة اثت لنصرة النصاري فقويت نفوسهم على الرحيل بالليل * وكان
من قدر الله ان العمارة المذكورة من قبل السلطان سليم ابقي الله البركة
في ذريته الى يوم الدين والقبطان بها علي باشا وسردارها سنان باشا فلما
وصلوا الى ناحية المرسى من حلق الوادي وعلم المسلمون الذين هناك
بانها عمارة الاسلام طلع اليهم بعض المسلمين فسالوه عن احوال البلاد فاخبرهم
بمخبر الحال النازلة على البلد فكتبوا كتابا وبعثوه الى امراء تلك المحال
يخبرونهم بمجيي العمارة السلطانية ويأمرونهم بالاقامة في اماكنهم فلما
اتاهم الخبر ايقنوا بالنصر وتقوى عزمهم الى ان فتح الله عليهم * وسمعت من اهل
الحضرة من يقول سبب مجيي العمارة الى هذه الديار ان السلطان سليم
راى في منامه الشيخ الولي سيدي محرز بن خلف يستجده على بلاده وقال له
- انا محرز بن خلف - فلما أصبح سال عن الشيخ وعن بلدة فقيل له تونس *
وقيل ان العمارة كانت معينة الى الاندلس فجدة لغرناطة لان اهل غرناطة
بعثوا يستجدونه فعزم على ارسال هذه العمارة اليهم فبلغه خبر غرناطة وانها
اخذت في تلك الايام واحتوى عليها اعداء الدين ففتر عزم السلطان عن
الاندلس وبعث بها الى تونس . ولعل الاتفاق وقع من الطرفين والله اعلم
وكان عدد المراكب ثمانية عشر معونة ومن الغلائط وغيرها من السفن

الفا وخسمائة قطعة حرس الله هذه السلطنة العثمانية من عافات الزمان . وجعلها تذب على الدين المحمدي وهي بشعائرها مشيدة لأركان . ولم يزالوا مطبقين على تونس من برها وبحرها إلى أن تمكنت أيديهم بسحرها ونحرها ونزعوا ملكها من أيدي الكفرة بعد ما كانوا استولوا عليها وسلبوا ملك بني أبي حفص بعد ما كانوا ملوك البلاد الأفریقیة وغيرها والله يرث الأرض ومن عليها * وكان ابتداء ملكهم كما قدمنا ذكره سنة ثلث وستمائة وانقرض بانقرضهم سنة إحدى وثمانين وتسعمائة فكانت مدة ملكهم ثلثمائة وثمانين وسبعين سنة * وملك الله هذا الأقليم الأفریقی كما ملك غيره لآل عثمان . وطهره بتوليتهم عليه من أهل الشرك والصلبان * وحديث بلغنا ما اردناه من الأخبار السابقة نضيف بحول الله وقوته ما تيسر لنا من الأخبار اللاحقة ان شاء الله تعالى لا قوة إلا به ولا اتكال إلا عليه *

الباب السابع

في الدولة العثمانية والسلطنة الخاقانية

أدام الله ظلال أمنها في الخافقين . وجعلها دائمة اليمن

والبركة قاهرة لأعداء الدين . وخادمة لأحرمين الشريفين

أول سن ملك منهم البلاد جدهم عثمان واليه انتسابهم وهو عثمان بن أرطغرل بن سليمان شاه وكان سليمان هذا في بلاد ماغان قرب بلخ وهو من جنس التركمان الرحالة النزلة من طائفة التتار ويتصل نسبهم إلى يافث ابن نوح عليه الصلاة والسلام * وأما ظهور جنكزخان وأخرب بلاد بلخ وأخرج منها السلطان علاء الدين خوارزم شاه تفرقت أهل تلك المملكة وأخرج سليمان شاه المذكور من بلاد ماغان بخمسين ألف بيت من التركمان وقصد أرض الروم وعبر عن الفرات فغرق بفرسه فمات وتفرقت جماعته في أطراف تلك البلاد وبقيتهم موجودة هناك إلى الآن على عادتهم في النزول والارتحال وخلف سليمان أربعة من البنين فعاد منهم إلى بلاد العجم اثنان

وتوجه اثنان الى بلاد الروم وقدموا على السلطان علاء الدين الساجوقي صاحب بلاد قرمان وملكه اذ ذاك بقونية فاکرمهما واذن لهما بالاقامة بارضه فاستاذناه في الجهاد فاذن لهما واجتمع اليهما جماعة من التراكمة فواصلوا الجهاد في ارض الكفرة ولهم وقائع مشهورة عند اهل السير ومات ارطغرل وخلف عدة اولاد اشدھم باسا عثمان فواصل الجهاد على عادة ابيه فرأى السلطان علاء الدين جده واجتهاده فاکرمه واعزه وامده واعانه وجعل له المرتبات السلطانية . وارسل اليه نوبة خاقانية ودق بين يديه الطبل والزرر وسماه خان تعظيما له وتفخيما * ولما دقت الطبول بسين يديه قام هو على قدميه اجلالا لمخدومه فمن هناك صارت عادة لال عثمان القيام عند دق النوبة قانونا جاريا الى الان وجرى عليه اسم السلطنة سنة تسع وتسعين وسبعمائة . وافتتح تلك السنة قرة حصار وخطب له فيها وتمادي في فتح تلك الحصون وساعدته القنادير لما سيكون الى ان توفي رحمه الله سنة خمس وسبعمائة وتولى بعده ولده السلطان اورخان بن عثمان وهو الذي افتتح مدينة برسا في حياة والده وجعلها دار الملك . وفاق والده في الجهاد وفتح بلادا كثيرة . واجتمع لحربه جملة ملوك نصارى من بلاد الرومي وقصدوا لقاءه في بر الاناطولي فسير اليهم ولده سليمان بك فجاز اليهم الى بر الرومي ودهمهم على حين غفلة فمزقهم الله وفرق جمعهم وفتح عدة اماكن وعاد الى والده منصورا . وعاش اورخان الى سنة سبع واربعين وسبعمائة فمات رحمه الله . وتولى بعده ولده السلطان مراد بن اورخان بن عثمان سنة سبع واربعين وجلس على تخت الملك سنة وفاة ابيه . وهو الذي فتح ادرنا واتخذ المالك وسماهم يكشريه معناه العسكر الجديد والبسهم اللبد الأبيض المشي الى خلف . وكانت له صولة عظيمة . واجتمعت ملوك الشرك الى قتاله فهزمهم وقتل زعيمهم الاكبر . واظهر بعض ملوكهم الطاعة واقبل لتقيل يده فظعنه بخنجر كانت معه فمات رحمه الله ومن ثم صارت عادة عند آل عثمان لا يدخل احد بسلاح على السلطان وان يفتش ثيابه وان يدخل

بين رجلين يكتفان به * وتوفي سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة وتولى بعده
بايزيد خان . وكنيته يلدرم معناه الصاعقة وعمره اذ ذاك اثنتان واربعون
سنة واقام سنة عشر سنة سلطانا . واستولى على قلاع كثيرة وغصب ملوك
الطوائف الذين بازائه . واخذ ابن كرمان وجبسه ففر من حبسه وفر منه
ايضا ابن تنسبا في صورة قلندري حلق لحيته وجواجهه وابن اسفندار وغيره
من الملوك ولحقوا بتيغور ملك التار واستغاثوا به وحرضوه على اخذ بلاد الروم .
وتيمور هذا من اشر ملوك الدنيا اهلك ثلثي العالم وملكه وكان مبتدا امره
من وراء خراسان . وملك ما وراء النهر والسند والهند والصين والعراق .
وجاز الى الديار الشامية والحلبية ولم ينح منه الا مصر والمغرب وسفك
من الدماء ما لا يعلمه الا الله واخبارة كثيرة ليس هذا محلها وقتل من
العلماء الوفا لا تحصى . وسئل بعض الفضلاء عن تيمور اي سنة ظهر فيها
فقال - في سنة « عذاب » * ولما وصل الى بلاد الروم خرج بايزيد
الى قتاله فخذله سن كان في عسكره من التار وغيرهم . ورجعوا مع تيمور
باستمالته اليهم وبقي بايزيد في جمع قليل وقاتل بنفسه الى ان هجم على
تيمور فالقي عليه بساطا فائقله واخذ اسيرا ومات عند تيمور في القيد سنة
سبع وتسعين وسبعمائة وتسلطن بعده بنوه عيسى وموسى وقاسم وسليمان
ومحمد . ووقع بينهم القتال والتحاسد نحو اثني عشرة سنة . واستقل بالملك
السلطان محمد بن بايزيد في سنة خمس وثمانمائة وعمره اذ ذاك ثمانين
عشرة سنة . وكان مطاعا مقداما واسع العطاء عين صدقات للحرمين
الشريفين ومهد البلاد وفتح عدة فتوحات . وتوفي بعد سبع عشرة سنة من
سلطنته سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة وتولى السلطان مراد الثاني في التاريخ
المذكور اي اثنتين وعشرين وثمانمائة فاقام الشرع في ايامه ولازم الجهاد
على عادة اجداده وفتح بلادا كثيرة الى ان كبر ولده محمد فتخلى له عن
الملك واجلسه في حياته على سرير ملكه وتقاعد برصاة الى ان وافاه حامي
فم استقل بالامر السلطان محمد خان في سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة

وعمره اذ ذاك عشرون سنة ، وهو من اعظم سلاطين آل عثمان في الجهاد متوكلا على الله ، واكبر فتوحاته قسطنطينية العظمى وجعلها دارا للملك ، وبنى بها المدارس وقرب العلماء واجرى عليهم النفقات ، واستجلب العلماء العظام من اقطار البلاد وتزخرفت بايامه الدنيا وتشرفت العلماء في ايامه ، وفعل خيرات لا تحصى ، وتوفي سنة ست وثمانين وثمانمائة رحمة الله عليه .

وجلس بعك في الملك السلطان بايزيد ابن السلطان محمد في ربيع الاول من السنة المذكورة وعمره اذ ذاك ثلثون سنة ، وقام بالامراتين وثلثين سنة وفتح عدة قلاع واقتكها من ايدي الكفرة ونازعه اخوه في الملك ووقع بينهما الحرب فانهمز اخوه هاربا الى مصر في ايام قيث باي فاكومر ، وعاد الى قتال اخيه مرة اخرى فهزم وهرب الى بلاد النصارى فدنس عليه اخوه سن قتلهم هناك بموسى مسمومة حلق راسه بها وتوفي ايامه ظهر اسماعيل شاه ببلاد العجم ، واظهر مذهب الرافضة واستولى على تلك البلاد فغزاه بايزيد وكان رحمه الله محبا للجهاد مداوما على افعال البر ، وكانت بيضة الاسلام في ايامه محفوظة يحجب الاولياء والصالحين وبنى المدارس والتكيات وديار المرضى وهرعت الى بايه اعيان الناس ومدحه شهاب الدين ابن الخليفة شاعر منكرة بقصيدة وارسلها اليه فاثابه بالف دينار وجعل له كل سنة ستمائة دينار ، وهي باقية في عتيقه تصل الى اولاده في كل سنة الى يومنا هذا ، وكانت له عدة اولاد فرقمهم في حياتهم على المناصب الى ان ماتوا في حياتهم ، ولازمه مرض القوس وهو من امراض آل عثمان فعجز عن السفر ومال العسكر في حياتهم الى ولده سليم وتقاتل معه وعاخر الحال خلع نفسه وقدم ابنه الملك وخرج الى ادرنة فمات سنة سبع عشرة وتسعمائة والسلطان سليم جلس على تخت الملك في السنة المذكورة وعمره اذ ذاك ست واربعين سنة وبلغ ملكه تسع سنين ، وكان جبارا سفاهة للدماء قوي البطش غزا بلاد العجم وافتك مصر من الشركست ، واخذ مدينتي حلب والشام ، وهو اول من خطب له بخادم الحرمين الشريفين ، وتوفي

في ثامن شوال سنة ست وعشرين وتسعمائة رحمة الله تعالى عليهم . وقسم
بالامر بعده ولده السلطان سليمان في التاريخ ودامت ايامه في الملك سبعا
واربعين سنة . وفي ايامه فتحت عدة بلاد وغزا بنفسه بلاد الانكروس
وغزا جزيرة رودس واخذها من اهليها وكانت ليس لها مثل في الحصانة
واسلوها له بعد حصار شديد وصايق عليها وعاخر الحال طلبوا منه الامان
على اموالهم وانفسهم فاعطاهم امانا فخرجوا الى بلاد المغرب وعمرؤا جزيرة
مالطة دمرها الله . وكانت افعالهم برودس كافعالهم لان عسى الله
ان يبدد شملهم عن قريب . وفتح رودس اول شهر صفر سنة تسع وعشرين
وتسعمائة وجعل بعض الافاضل فيها تاريخا وهو « يفرح المؤمنون بنصر
الله » . ولما تمكنوا من مالطة وزاد ضررهم ارسل اليهم في اواخر ايامه عبارة
لاخذها فما امهله اجله . ومن فتوحاته جزيرة استنكوى وبودرم وقلعة
ايدوس . وسافر بنفسه الى بلاد العجم وحرب امامه الشاه واخرب بلاد
تبريز واخذ بغداد . وفتح عراق العرب وطلب الشاه منه الامان والهدنة
فاعطاه ذلك ورجع الى مقر سلاطنته . والطف تاريخ قيل في هذه السفرة
« فتحنا العراق » . ولم رحمه الله ثلث عشرة غزوة على اهل الشقاق والنفاق
ومات رحمه الله في غزوته الاخيرة بقاعة سكتوان وكتم الوزير موته وارسل الي
ولده السلطان سليم فاقبل بسرعة وعند ذلك اظهر الوزير موت السلطان
سليمان . ووضع في تابوت ورجعوا به الى القسطنطينية . وكانت مدة سلطنته
ثمان واربعين سنة سقى الله ثراه من صوب الرحمة . وكفاه من الفخر ان
علامته الوجوه في ذلك العصر وهو المولى ابو السعود رحمه الله رثاه بقصيدة
طائفة تدل على فخرهما الناشد والمنشود . وهي من غرر الرثيات وبراعة
استهلالها حيث قال :

اصوت صاعقة ام نفخة الصوور فالارض قد دانت من نقر ناقور
وهي طويلة استرنا عنها وليس هذا محلها تركناها خشية الاطالة . وجلس
بعده على تخت الملك ابنه السلطان الاعظم السلطان سليم الثاني

وبويع يوم الاثنين لتسع مئتين من ربيع الاخر سنة اربع وسبعين
وتسعمائة . ومولده سنة تسع وعشرين وتسعمائة . ومدة سلطته تسع سنين
وهو المبارك النقيب علي الديار التونسية سليها الله بسليمها من اوباش
النصرانية وقامت الخطباء باسمه المبارك على منابرهما ولاحظت اعين
السعادة منازل الحضرة واصيف فخر الدولة العثمانية الى مفاخرها . ولما
تمكن من ملكه تبع طريقته اسلافه في الجهاد . فمن اكبر غزواته فتح
جزيرة قبرس بالسين المهمة . وفتح بلاد اليمن بعد ما عصى اهلها . وقد كان
فتحها والده السلطان سليمان فلما مات قام بها مظهر ابن شرف الدين
يحيى الزيدي واستفحل امره بتلك البلاد فبعث اليه ضكرا صحبتة الوزير
المبارك سنان باشا فافتك البلاد . وبلغ منها ما اراد . وهذا الباشا السعيد
لم يكن له نظير في دولته عال عثمان ولا جاء مثله من ذلك العصر الى هذا
الزمان فكيف خلف رحمه الله من المآثر والخيرات حيث حل ركابه وكنم بنى من
مساجد وتكيات . يتحل بها المسافر وينال من خيراتها ويحمد ذهابه وايابه
فانه كان ميمون النقيبة حيثما سار ولا استقرت قدمه باقليم الا بنى فيه
اماكن للخير والصدقة والناس كثيرون ممن شاهدوا تلك الآثار حتى انهم
يقولون ان جباية تلك البلاد لا تقى بما صنع من خيراته . وكان محبا
لفعل الخير والزيادة الى ان مات زاد الله في حسناته . وقد سمعت سن
يقول انه كان يعلم سر الحجر المكرم ودليل هذا كثرة ما خلف من اماكن
يحبسة على الفقراء والى يومنا هذا يدعى له وعليه يترحم . وعلى يديه كان افتتاح
هذه البلاد والله رءوف بالعباد . وذلك ان سلاطين تونس من بنى ابي
حفص كما بيناه في اول الكتاب كان منهم من بلغ درجة الملك ومنهم
من قاربها ومنهم من نال الاسم من السلطنة فقط ومنهم من تغلبت
عليه العرب واقاموه في الملك وشرطوا عليه شروطا وافى لهم بذلك وتماديت
ايامهم في اقبال وادبار الى ان اتاهم ما اتي على غيرهم فصاروا عبرة لغيرهم لما
خلت منهم الديار . ولما اراد الله تعالى انقراضهم وضعفوا تفرقت

ءاراهم واختلوا الى زسن مشينهم لا حنينهم ، واطهر من مساويه ما غلى به
 حنات احنينهم * وفي ايام تملك النصارى حلق السواي وبنوا فيه
 حصارهم المشهور وشيدوا فيه بناء لم يشيده شداد ، في ارم ذات العما
 وابتدوا بناة سنة سبع وثلثين وتسعمائة ، وهدموا اكثر اقواس الخناية التي
 كانت لقرطاجنة واخذوا حجارها لبنانهم وجعلوا الرمية على اهل البلاد من
 الجير والجص ، وحصنوه حصانة لم يكن لها نظير واداروا به خندقا
 وادخلوا له ماء البحر الى ان دار به دور السوار وملاوه بالآلات الحرب
 والرجال وما يحتاجون اليه بحيث صار غصة في الحلق ، وصارت النصارى
 تكمن باغربتها ومراكبها ويقطعون في البحر على المسافرين وياخذون
 كل سفينة غصبا وعم اذا هم المسلمين وملكهم اذ ذاك باشيلىة اعادها الله
 للاسلام ، وكان استجدة الحسن في السابق كما ذكرنا وتبع اباه ابنه احمد
 واراد ان يعد من نجباء الابناء واللعين النصارى ساعدة على ضررهم ويضمهم
 في الباطن بمكرة على غدرهم فاستصفى اموالهم واموال اهل البلد في واقعة
 الاربعاء وكمل على بقيتهم في خطرة الدوامين ولم يبق لاحد ما سعى *
 ولما تمكن عسكرة تونس في ايام السلطان محمد تمكن بالبلد اي تمكن
 وصار قبطان النصارى يحكمهم معه في حضرته وهو له قرين وعلم بذلك
 صاحب بلاد اسبانية ان تونس في قبضته وصار يفتخر بها بين زعمائه
 في قومه وقعدته حتى اذا راى من قواميسه الميل عنه يقول لهم - داري
 عندي - يريد تونس ، واراد ان يتولى عليها من اولها الى اخرها ويفعل
 بها من اقامة شعائر الكفر كما فعل بغيرها ولما اراد ان يجعلها مانه قيص
 الله سليما سلمها منه * ولما نمت اخبار تونس وما حل بها الى
 ملك بني عثمان وهو السلطان سليم جعل الله النصر والتمكين في عقبه الى
 يوم الدين تاقت همته الى نزع الديار التونسية من ايدي الكفرة ، ويبدل
 عوضهم اناسا بررة ، وقد تقدم ان الشيخ سيدي حرز بن خلف نفع الله به
 تعرض له في منامه واشار عليه باخذ تونس في القطة ولم تكن الرويا

اضغاث احلام * وتيسيل ان الباعث لم على هذه العبارة وقد قدمنا خبرها اهل غرناطة فانهم استجدوه لنصرتهم فلما عزم برأيه بلغه استيلاء اللعين على حصونهم فثنى عزمه الى هذه الديار وعلى كل وجه بارادة الله جرت الاقدار . فانتدب لهذا الامر منان باشا رجة الله عليه وجعله سردار العسكر و اضاف اليه من يكون له النظر على المراكب البحرية ومن كانت له بالبحر خبرة ودريته وهو قبطان البحر قاي علي باشا اعلى الله منزلته في درجات الجنان وانعم السلطان عليهما بتشاريفه المعتادة وخلع عليهما وحكمهما فيما يحتاجان اليه من آلات السقر وزيادة وشحن المراكب بما يحتاج اليه من الذخائر والاموال وعلات الحرب وبرز العسكر من القسطنطينية غرة ربيع الاول سنة احدى وثمانين وتسعمائة وكان يوم خروج العسكر يوما مشهودا وشحنت الاغربة بالرجال وعددها مائتا غراب وثمان عشرة معونة وغيرها من السفن الكبار والصغار فالجملة الف وخسمائة قطعة . وقد سبق التعريف بها وسارت العبارة فوق الماء مثل الطيور اولي اجنحة مثني وثلاث ورباع . وان كان البر يضيق بها فلها في البحر اتساع . وطفت على متن البحر كالطوفان . وان بردت اكباد اهلها بالامن وجسومهم بماء البحر فان مدافعهم لاعدائهم سخنت وملئت بالنيران . واجتمعت في ميناء نورين . ومن هناك توجهوا للمغرب على ربههم متوكلين . واجتازوا بقلعة في بر الكفر تسمى تيجة وخطروا للبر فدهمهم العدو واقتتلوا ففر العدو منهم بعد ساعة من نهار ومات هناك بعض اليبات شهيدا . وظهرت علامة النصر واخذوا في طريقهم عدة قبلاح وغنموا شيئا كثيرا وفي طريقهم اخذوا مركبا مشحونا بالقمح وفي الثاني عشر من الشهر وصلوا قليبية فنزلوا هنالك واستراحوا . وفي الرابع والعشرين من الشهر بلغوا حاق الوادي ونزلت العساكر بعيدا من رمية المدافع ونزلوا اوطاق الوزير منان باشا * وكان من قدر الله تعالى قبل وصول العبارة العثمانية ببيوم وصل الي تونس الباشا حيدر من القيروان * وقد تقدم خبره ولم يكن لي علم به انه كان متوليا على منصب تونس من

قبل حتى وجدت في تاريخ انه كان صاحب البلاد واطنه خرج منها حين دعه العدو وكذلك مصطفى باشا صاحب مدينة طرابلس فحضروا الى تونس ونزلا معا بازاء المدينة في سيجوم لتصد محاصرتها * وفي آخر اليوم ظهرت مراكب في البحر فظنوا انها نجدة للعدو فعولوا على الرحيل ليلا ولما كانوا على اية ذلك جاءتهم الاخبار من عند الوزير سنان باشا مع رجل من اهل المرسى كان طاع للعمارة واستخبره الوزير عن احوال البلاد فاخبره بخبر الحال فبعثه اليهم رسولا يخبرهم بقدوم العسكر العثماني . فلما صبح عندهم الخبر قويتم نفوسهم وسار حيدر باشا ومصطفى باشا في تلك الليلة في بعض الخواص الى حاضرة الوزير سنان باشا وسلموا عليه وطلبوا منه ان يتوجه معهم بنفسه فامر طائفة من امرائه وعين لهم الفنا من العسكر واعطاهم مدافع وزرأبز وما يحتاجون اليه وامرهم بالمسير الى تونس صحبتهم البكر بكية مصطفى وحيدر وارسل معهم ابراهيم بك من صفاقس مصر المحروسة ومحمود بك بصنّجق قبرس وباكير بك صاحب قرة حصار وصحبتهم الفان من العسكر مع اناسهم حبيب بك وتوجهوا في الحال الى تونس واحاطوا بها احاطة السوار بالمعصم وناوشوها بالقتال من كل جهاتها . فلما رأى السلطان محمد الحفصي ومن معه من النصاري كثرة العساكر علموا ان لا طاقة لهم بالقتال هذا مع ان قلعة تونس كان اكثرها خرابا لتواتر المحن وقلة الاهتمام وكذلك المدينة لم تكن معوزة باهلها بل غالبها خراب ايضا فضلا عن سعة الشوارع التي بها . فعجزوا عن تحصين البلد وقلعتها فخرجوا الى مكان يقال له -- قولودكز -- معناه بحر الرمل وعملوا به حصارا من الخشب وحشوة بالرمل والتراب والتجارا اليه * قلست هكذا وجدت اسم هذا المكان مقيدا ولا اعلم في تونس مكانا يعرف بهذا الاسم إلا ما يذكر اهل تونس عن المكان الذي يعرف بالبستيون خارج باب البحر من شرقي المدينة . وهذه الاخبار تصدق عن ذلك المكان والخبر متواتر عنه إلا ان صاحب التقييد الذي نقلت عنه هذه الحكاية كان

بعيد الدار عن الديار التونسية وإنما بلغه الخبر بلسان المخبر وعنه قيد ما سمع منه . ولما تحصنوا بهذا المكان وكان فيه نحو سبعة آلاف مقاتل ما بين كافر ومرتد وشحنوا هذه البقعة بآلات الحرب والمدافع الكبار ومن الطعام شيء كثير ظنوا أنه يمنعهم من قضاء الله . فعند ذلك خلت المدينة وقصبتها ولم يبق بهما من يصونهما فدخلهما العسكر العثماني من كل جهة وملكوا المدينة وقلعتها وحصنوها بالآخشاب والألواح والتراب واحكموا ذلك . هذا والحرب بينهم على ساق . وأهل الملة الحمديّة مقابلت لأهل الشقاق . وبعثوا يخبرون الوزير المعظم سنان باشا بما وقع لهم ويطلبون منه المدد بالأعانة ومن ينصرهم فلما بلغ الوزير ما هم عليه عول على من يقوم مقامه ويسترفيه فبعث لنصرتهم القبطان قلج علي باشا رحم الله الجميع فتوجه بجمع من العساكر المنصورة من طائفة السليمانية ليكونوا أعانة لمن تقدم قبلهم من عسكرهم . فلما وصل الباشا قلج علي إلى تونس وشهد تحصن البستيون وكثرة النصارى والأعراب المرتدين الذين به رءاه حصنا منيعا فبعث إلى الوزير يطلب منه عدة مدافع أخرى وزيادة عسكر فبعث له ألف ينشري وبعث معهم علي آغا ساحدار الباب العالي وثمانية مدافع وستة زرايز والحقهم بالقبطان قلج علي باشا . فتسللوا ووصلوا إليه اجتمع أمرهم أن يدوروا بالبرج من كل جهاته وكانت الكفرة وتس معهم من المرتدين كثيرين ما بين فارس وراجل وجاءت لنصرتهم طوائف من العربان وخرجوا من قلعتهم مرارا ودهموا المسلمين واقتتلوا مرارا ومات من الفريقين خلق كثير . فريق في الجنة وفريق في السعير . واشتد الأمر على المسلمين والمدد متصل بأعداء الدين . وبلغ الخبر إلى الوزير سنان . فجاء رحمه الله بنفسه إلى اصلاح هذا الشأن . هذا والحرب متصل بين أهل خلق الوادي وبين رجال من العسكر العثماني قويي الهمم غلاظ شداد . ولما نظر الوزير إلى حصانة القلعة التي هي البستيون أشار براهيم السعيد على ما اقتضاه نظرة السديد بالتدبير . وأمر بتوزيع طوائف العسكر من

كل جهاته . وعين لكل موضع من يقوم به من رجاله وكماته . وأشار على القبطان والبكر بكيت بما رآه من الصواب . وهون على الجميع حسن العاقبة ووعدهم بنصر الله واحسن اليهم بالخطاب . فاشتدت نفوسهم بكلامه ورويته . وابتعدوا برأيه ومشورته . وعاد من يومه الى محل اوتاقه من حلق الوادي وقصد لاعم فبالاعم وان كان كل موضع حصل فيه فضل الجهاد . ويأتي تمام الخبر في محله ان شاء الله تعالى . وما استطردت الى هذا إلا لارتباط الحديث لان اول الحرب وقع في هذا المقتام عدة ايام . ولما تيسر ابتداء الفتح بحلق الوادي كان في البستيون التمام . وانرجع الى خبر حلق الوادي ومآثره . ونسوق الكلام ان شاء الله من اوله الى اخره . تقدم ان العمارة المنصورة بلغت الى مستقرها من حلق الوادي يوم اربعة وعشرين في ربيع الاول ونزلوا للبر على بعد من رمية المدافع ونصبوا اوتاقاتهم . وارتجت الارض باصوات مدافعهم . ورين مكاحلهم ونزلوا المدافع الكبار التي اتوا بها لهذا القصد . ورموا بها من البعد . الى ان علا الدخان وصار النهار يحاكي الليل . وبرز الامر من الوزير ان يتقدم العسكر على عادته . وان ياخذ كل انسان اهتبه لما يعلم من صناعته . فمنهم متفرس متمرس بالحرب والجلاد . ومنهم من عادته نقل التراب والرمل وقلع الاصلاد . وصاروا يتقدمون قليلا قليلا ويسوقون التراب ويستترون به ويحفرون خنادق في الارض وينزاونها . ويجعلون مشاريس ويستترون من خلفها . وهذا داب العسكر العثماني في كل مكان . ولم يزلوا على هذا الاسلوب الى ان احاطوا بالبرج من كل جهاته ورموه بالمدافع والمنجنيقات والبندقيات ورموا عليهم اصنافا من آلات الحرب . وكان هذا الحصن لم ير مثله في الشرق ولا في الغرب . وكان للنصارى به اهتمام وحصنوه بما قدروا عليه من المبتدأ الى التمام . واداروا به خندقا واجروا الماء فيه . والماء من البحر الى البحيرة والسفن تجري فيه . وهو ممنوع من كل جهاته . واسواره مشيدة مشحونة بحماته . وقد كنت منذ زمان وقفت على رسالته بعثها بعض من شاهد الواقعة لبعض الروساء بالديار العثمانية واخبر فيها

بما شاهد من شدة الحرب ومنعة الحصار وكثرة رجاله وذخائره وسعته وطوله بما يعجز عنه الوصف ومن شاهد بقية عاثارة حكم بصحة ما وصف ولكن طال عني وبعد زمانها ولم يحضرني إلا القليل من اخبارها ساذكرها في اوانها * ومن جلة ما قال فيها ان سعة السور يسير عليه سبعة من الخيالة من غير ازدحام . وان البناء الذي به ما ساء طائر عقل ولا منه خام . وعدد الدور التي حوله لسكنى المهجرسين ازيد من مائتي دار والبحر من جميع جهاته . والخندق به دائر ودور المهجرسين من ناحية المغرب واثارها باقية . وكل ما ادموه من البناء اهدمه الله على ايدي المسلمين وهددت صنائع المشركين فهل ترى لهم من باقية . وكان عمق الخندق ستين ذراعاً وقعره متصل بالبحر وفي حافته قبعة منيعة اعدوها للتحصن فيها ونهبوا تحت الارض نقبا طويلا يصلون منه الى تلك القبعة . وكانت قريبة من ناحية الوزير ففطن بمن كان فيها فصار الوزير اليهم برجاله وقتلهم قتالا شديداً . وملك القبعة وقتل من كان بها . واعجزهم امر الخندق فما وجدوا له حيلة إلا ان يملأ بالتراب فبعث الوزير بامر السعيد الى العسكر ان يجتهدوا في نقله فامتشلوا الى ان نقاوه في ثيابهم * والرسالة التي تقدم ذكرها يقول فيها ومما رمي به في الخندق من الصوف مقداره بالعدد سبعون الف شليف . والشليف عبارة عن حل الجمل ووضع في كل شليف قطاران من الرصاص ليشغل به ويغوص في الماء * قسست الله اكبر هكذا تكون هم الملوك فاذا كان من الصوف والرصاص هذا المقدار وهذا العدد ولو تماثلت قيمته لكانت مئين من الالوف فكيف غير ذلك من الاجفان والالات الحرب وبارود ومصروف من الاموال على الرجال هكذا تكون والله ملوك الزمان . ولولا ان السلطان سليم رحمه الله من البشر الذين بعد النبوة لقلنا انهم سليمان ولكن هو ابن سليمان . واخبرت من اهل تونس ان الصوف الذي القوة في الخندق جيء به من نجع دريد اكثر من غيره اقله * واظن ان الشيخ عبد الصمد ممن حضر الخطرة

كما ان جد احمد بن نوير المحمودي حضرها هو وجلته من العرب الذين
بارض طرابلس جاءوا صحبة المحلة التي بها مصطفى باشا * ولما التقوا
في الخندق الصوف القوا من فوقه الحطب والشراب والاششاب واهتم
العسكر بنقل الشراب كل الاهتمام واقدما بنيتهم غاية الاقدام الى ان ملأوه
من اوله الى اخره وصارت فوقه كيمان كالجمال . وجلت الرجال من
الشراب ما لا تحمله الجمال . وكانت لتلك العساكر نية صالحة . باعوا انفسهم
واشترى الجنة فكانت تجارتهم رابحة . وسمعت من نقل عن شاهد
تلك المواطن انه مر برجل من العسكر وهو حامل على ظهره حملا من
الحطب لكي يلقيه في الخندق وبه عدة جراحات وهو على اخر رمق قال
فادرت ان اخفف عنه فابي ولم يزل سائرا به الى ان القاه في محله .
ومات لوقتته بحضور اجله . رحمه الله وعامله بنيتهم عن عمله * ولما احتل
الخندق بالشراب بنوا المتاريس فوقه وصار امكن اعلا من حيطان الحصار
واتفق هذا الواقع لاربع عشرة ليلة خلت من ربيع الثاني من السنة
المذكورة هذا والحرب نازها متقد في كل الجهات . وافرغ الله الصبر على
مصائب المجاهدين والخزي على الطغاة . ونصب الوزير مدافعة فوق الحصار
ورمى من كان به من الكفرة من افواهها بالنار . فالتفتهم النار الى النار .
ووصل في اثناء ذلك رمضان باشا المتولي على مدينة الجزائر في التاريخ ومعه
ثلاثة عالى مقاتل واجتمع بحضرة الوزير سنان باشا وطلب منه خدمة
يودىها فارسله ومن معه الى اعانة الذين بتونس . فتوجه اليها وحط عليها
مع من هنالك من العساكر والبايات . والامراء والغزاة . واستمر الوزير في
تحرير المسلمين على الاقدام الى البرج الذي بحلق الوادي وتشديد الحرب
عليه من كل جهاته الى ان وهنت نفوس اهل العناد . ومن قدر الله
سبحانه ان يجد عرب كان بعسكر من ناحية رادس فعزم اهل الحصار
ان يدهموا ليلا على حين غفلة وتكون وصمة على المسلمين فخرجوا عليه
عند الفجر فوجدوه متيقظا على اجهة فارقع بهم فانهمزوا بين يديهم فتجههم

يقتل فيهم لئلا يدخلهم الى حصنهم . ووافق الحال ان الوزير عين من
العسكر من يقدم بنفسه الى البرج ويبيع نفسه في مرضات الله وجعل
لهم عطايا سنية كاول فالاول من الف دينار وقل وعين لذلك من جميع
الاجناس . ووافق دخول المنهزمين من ناحية رادس وهم ذاهلون ولم
يستطع احد اغلاق الباب والمسلمون على اعبته فحملوا جلة رجل واحد من
كل الجهات واصلوا بكلمة التوحيد وارتفعت الاصوات فتزلزلت الجبال
بهزتها . ودخلوا القلعة والقصر المشيد بنيتهم . واخذوه عبوة بالسيف .
وقتلوا من فيه من المقاتلين بغير تشبيه ولا تكييف . وكان هذا الفتح
القريب والنصر الغريب . الذي سر به البعيد والقريب . لست مضين
من جمادى الاولى سنة احدى وثمانين وتسعمائة والله الحمد والمنة . وغموا
ما كان فيه من الذخائر التي لم يوجد مثلها في مكان ومن العدد والسلاح
وعالات الحرب ما لا يوصف . واخبر الوزير ان الذهب الذي انتهبه
العساكر ليس له حصر فامر الوزير بتفتيش الاخبية والرجال فوجدوا
شيئا كثيرا . واخبرني بعض الناس قال اخبرني جدي وكان ممن حضر
الفتح واصابه جراحات يوم الدخول لا حصار قال بينما انا راقد اذا بعض
اصدقائي وضع تحت فراشي من الدنانير التي انتهبت فلما دخلوا الى الحبا
الذي انا فيه ووجدوني في حالة المرض انصرفوا عني وسلم ما كان تحت
الفراش وكان ازيد من ثلثة آلاف دينار . واسر قبطان النصارى صاحب
البرج والحاكم عليه . ومر السيف على من وجدوه من النصارى المهجرسين
والمرتدين من ساكني البرج وما يليه . وشاع في الخافقين خبر هذا الفتح
المبين . وقضي الامر وقيل بعدا للقوم الظالمين . وكان هذا الحصار من
اعظم ما شيد بنيانه فوق الارض . فاتاه جيش السلطان سليم وقال امرة
السعيد فريد ان ينقض . وكذا وقع الهدم على ذلك البناء العالي الى ان صار
هبا . وحط من اعلاه الى اسفله وتفرق من كان فيه بايدي سبا . وراى
الوزير ان ابقاء على حاله كاولى لم يامن عليه من الافات . وكان

اثقانه بالفعل الماضي فوقع عليه الامر بجزم الفتح فخشي ان لا يتم له الرفع
فيما هو عات . ولم يبق من اثره الا ما هو معلوم عندنا اليوم . وهو المكان الذي
كان مسكنا لقبطانهم وباقيهم مسكنا لليوم * ومن عجيب الاتفاق انه
رسمت معالمه في سنة سبع وثلثين وتسعمائة ومكثوا في تحصينهم مدة ثلث
واربعين سنة لم يبطل لهم يوم بلا تحصين * ولما اراد الله سبحانه وتعالى
نزعهم من ايديهم اخذ في ثلثة واربعين يوما عدد ما مأكوه من السنين .
فكان كل يوم من ايام الفتح يقابل مما ملكوه بسنة . وان كان طغيانهم تزايد
في تلك المدة وانتبهوا لاختد البلاد فانه كان سنة . والله تعالى يديم عز هذه
السلطنة العثمانية ليديم بها عز المسلمين . ويجعل سيفها قاطعا بحدة في
الحد وفي رقاب المشركين والمنافقين . وارسل الوزير البشائر الى الباب
العالى . وكتب بما يسر الملك والامراء والوالي . ولولا تدارك الله هذه
البلاد بنصرة هذا الملك العظيم . لكان الكفر استحوذ على اكثرها حتى لا
يكون بها سليم * وقيل ان ملك انصارى لما سمع بمجيي العسكر
العثماني اطعمته نفسه ان يمد اهل الحصار بسدد من عنده . ويرسل
عمارة مشحونة بذخيرته وجنده . ووطن ان باب الاستدراك واسع . ولم يعلم
بان الخرق اتسع على الراقع . فبعث رجالا من حكماؤه يتطلعون احوال
القوم . فذهبوا ورجعوا في زمن قريب كانهم يوم او بعض يوم . فسألهم عما
شاهدوا من احوال العسكر وابصروا . فلم يكتدوه بنصيحتهم واخبروه . وقالوا
راينا ما اذهلنا . وحير افكارنا وشغلنا . وذلك انا وجدنا كل صاحب صناعة
مشتغلا بشغله . وكل من عين في مكان لاجهاد ملازمنا لفرضه ونفله .
والقوم بين طباع وجزار . واسواق ملثانة بالباعة من كل صنف والمشتري
بين دلال وسمسار . وحداد ونجار وبيطار . واكثرهم مشتغل بجمع الدرهم
والدينار . ومنهم من يتداول الحرب ويعتمد عليه . ومنهم من همته شان
نفسه ولا يلتفت اليه . وليس لاحد علم بما صنع الاخر . وعسكر المقاتلة
ليس له ارا من عاخر . وارتفعت اليهم بجميع النصرانية . لم يغن ذلك

شيئا ولم تبق منهم بقية . فبطل عزمه وزعمه . وعلم ان الهم دهمه واهمه . فاستوحش لما اخذله الله بعد الثانس . واذهب الله رجسه الذي كان بتونس * ولما اتم سنان باشا ما فتح الله عليه بحلق الواد . ثنى عزمه المبارك الى البلد التي لم يخلق مثلها في البلاد . فرجع بعسكرة المنصور الى تونس واجتمع بالعزيزة المحاصرين قلعة البستيون وهم في اشد القتال ففرح البكار بكية والامراء بقدرته واشتد ازهم به واطمانوا وتقدم معهم وجاءوا على سن بالقلعة حملة الاسود الصارية . وتعلقوا باطراف المحصار من كل ناحية . وعملت السيوف والمدافع بين الفريقين . ومات خلق كثير من المسلمين . وتواطى المسلمون على الاقدام الى ان دخلوا عليهم بالسيف وقتلوا منهم زهاء ثلثة آلاف . ورمى بانفسهم من اعلا المحصار الى اسفله زهاء خمسة آلاف وبعيدوا رمية سهم ثم ارادوا ان يتسرسوا بالتراب لان العسكر كان مشغولا بالنهب فتداركهم الوزير قبل ان يستحكم امرهم فتقاتلوا قتالا شديدا . وطم اهل الكفر ان لا مانع لهم من الموت الا الموت فاقدّم كل على صاحبه وتصاربوا بالخناجر وعانق بعضهم بعضا الى ان بدد الله شاملهم وقتلوا عن اخرهم الا سن نجا منهم الى شكلي ولم ينج من قصاء الله . وملككت المسلمون البستيون واخذوا ما كان فيه من امتعة واسباب ولبوسات وءالات حرب ومدافع وبارود كثير وبشماط اعدوه لمحارهم واخشاب والواح استعدوها لاتقان حالهم * وكان البستيون اقوى ضررا على اهل تونس من غير لانهم ارادوا ان يبنوا فيه حصارا ومدينة وقد ابتدأوها وفصلوا شوارعها واسواقها وكادت ان تستكمل لولا لطف الله باهل تونس ولو تاخر العسكر العثماني قليلا لكان تم لهم ما ارادوه ولكن قدر الله اعجلهم عن اتمام البساء واتقانه . ولو تكمل بنيانه لكان اصعب من غيره ولو لم يهتم السلطان سليم بهذا الفتح لاستاصلوا افريقية بالجملة ويتفرعون من تونس الى طرابلس ولم يكن لهم مدافع هذا مع شدة نفاق العربان الذين بافريقية لانهم او اكثرهم لا يراعون الا ولا ذمتهم والكفر اقرب اليهم من الايمان فجزى الله

خير هذا السلطان علينا وعلى جميع المسلمين . وجعل السلطنة والنصر في عقبه الى يوم الدين . ولما اخذ البستيون وجدوا الجامع الذي خارج باب البحر مائتان بالسلاسل والاغلال وربما اهل البستيون كانوا يفتنون الناس عن اديانهم وما عسى غير ذلك . وكان اخذه بعد حلق الوادي بسبعة ايام وقيل خمسة عشر يوما وقيل غير ذلك والله اعلم . واسروا قبطانهم فاراد ان يفدي نفسه بالمال فضربوا عنقه لانهم وجدوه يبني في رودس وايضا في جربة لما اخذها درغوث باشا وهذه الثالثة في البستيون فاراح الله منه الاسلام . ثم ان الطائفة الملعونة لما تحصنت بشكلي طلبت امانا من الوزير فامنهم . وقد رأى سيف ذلك مصاحبة فجاء اليه زهاء مائتي منهم واخبروه بامور مهمة منها ان عندهم مائتين وخمسة من رجالهم اهل صناعات غريبة . منها عمل الطوب الذي يعجز عنه وتذويب الحديد والنحاس وعمل المدافع الكبار وغير ذلك من الصناعات فاعطاهم الامان واخذ اولئك المعلمين وشرط عليهم تقريغ المدافع وسبك النحاس وتكون في ارجلهم القيود ويتكفل بعضهم ببعض فرضوا بذلك واعطاهم على هذا الشرط الامان وكساهم وجعل لهم العلوفات واستخدمهم للباب العالي ومن ذلك الزمان كثرت صناعة المدافع بتلك الديار . وكان هذا الفتح الاخير المبارك يوم الخميس لخمس بقين من جمادى الاولى سنة احدى وثمانين وتسعمائة وقتل في القتال ثلاث عشرة الف مقاتل . ومن المسلمين ذلك القدر ختم الله لهم بالشهادة . وبواهم دار الرضى لما ختم لهم بالحسنى وزيادة . ومات من اعيان العساكر المنصورة امراء اعلام . فمن مشاهيرهم صفر بك صنجق الاسكندرية . وبايزيد بك صنجق ترحالة . واحمد بك صنجق اراونته . ومصطفى بك صنجق اميس . ومن امراء الاكراد خضر بك وفرهاد زعيم الينشيرية ورأس زمرة البنايين . وكثير من الزعماء واهل الثمارات وغيرهم عدد كثير . واخذ الوزير من الاماكن الثلاثة مائتي مدفع وخمسة مدافع كبار غير الصغار وزرايز وترك لحظ ثونس خمسة وثلاثين مدفعا وارسل للباب العالي مائة وسبعين مدفعا من الكبار العظيمة للاعانة هناك . وارسل بصورة الفتح الى

الابواب الشريفة خلد الله سلطتها . وانفذ في الخافقين كلمتها . ورفع درجتها
عائنين . ولا يظن الواقف على هذا المجموع اذا سمع لنظرة حصار خلق
الوادي انه كجملة الحصارات الموجودة كلا بل هذا اعظم حصارات المغرب .
وناهيك ان النصارى تكثر في بنيانه واتقانه طول المدة التي ذكرناها .
ومدوا لاجل ذلك الحناية التي يعجز العالم عن هدمها فما عسى مبنائها . واخذوا
جاراتها المنحوتة من عهد ابن النمرود . واغرقوا عليها من آلات البناء حتى
قيل انها من صنع داود . وانما اطلق لفظ حصار على هذا المكان مجازا . وانما
هو مدينة على الحقيقة والبحر بينه وبين من يصل اليه مجازا . وشكل هذه
المدينة مربع . واربع حصارات في تراكبها الاربع . والبحر من قبلتها
والبحيرة من ناحية الجنوب ويلتقي البحر والبحيرة من ناحية الغرب ولهم عند
مجمع البحرين قبة وهي المعبر عنها بالبريجة في يومنا هذا . وادخلوا خارجا
من البحر اخذا من القبلة الى الجنوب اخذا في طريق الناحية الشرقية .
وخارجا آخر مارا من الجهة الغربية ويدوران بالمدينة دور السوار بالمعصم
وتدخل غلاتهم من البحر الى الخليج الاخذ من ناحية الغرب وتكون
مرسعا عند باب مدينتهم . والباب تحت الحصار الذي على ربع المدينة ما
بين المشرق والجنوب والخليج المار من شرقيها فيه مرسى الغلات الكبار .
وغربي المدينة على صورة الربض الدور التي كانت سكنى المهجوسين وسكن
سواهم من الكثرة ازيد من مائتي دار ولهم جاز بينهم وبين من يصل اليهم
مثل الصور . وبناء المدينة بوجهين داخل وخارج كل وجه حصارته من
اعظم شيء يكون وما بين الوجهين حجر دقيق مفرغ عليه الجمير والرمل كافراغ
الرصاص بحيث لا تعمل فيه المعاول ولا القيسان بل ولا البارود الذي هو
بلا ريد . ويشهد لما قلناه ان في اماكن من هذه القلعة عدة مواضع كانوا
جعلوا فيها الغمام فلم تغن شيئا . واثار هذه الغمام باقية . واثار الجحطان
على حالها راقية . وفي وسط الحصار كنيسة باقية اثارها ايضا ولهم عدة
مواجل لاجتماع الماء الذي ينزل من المطر وهي مثل الدواميس مقبو عليها

من اعظم ما يكون وهي باقية الى اليوم ، وبكل ربع من الارباع منها خضار
مستقل بنفسه مبني على اقيسة يحير العقل في وصفها وصورة الاعلى كالاسفل
في الانتقان . وهذا قليل من كثير . وانما شاهدناه من بعد التدمير . ولم يبق
منها إلا الربع الذي بين القبلة والمغرب وهو الحصار الموجود في زماننا هذا
ومفتح الباب الآن الى ناحية المغرب . وهو باق على حالته الاولى ولم يتغير
منه إلا شيء يسير » ولما نزلت بساحتهم العمارة العثمانية صباحا وانذروا
باخذ ما احكموه « فسأ صبايح المنذرين » . ولما اخذهم الله اصبحوا لا ترى
إلا مساكنهم كذلك تجزي القوم الظالمين . ونزول العمارة من ناحية المشرق
وامتدت الى ناحية الجنوب ومن هنالك وقع الردم الذي القوة في الخندق
كما ذكرنا سابقا وجعل فوقه المتاريس الى ان صارت مدافع المسلمين
اعلى من فوق رموس اهل الشقاق . والوضع الذي اخذ منه التراب والقوة
في المتاريس انحصر فيه الماء واختلط بماء البحيرة حتى صار كانه منها يسدوه
الغديرة اللحاء لكثرة دائها وعمقها . وصار السمك فيها كثير . والمكان الذي
كان مينا المراكب من كل الجهات صار ملاحه يسعى الملح منه الطائفة
المرتبون لان لحفظ الحصار . وعائار تلك المصانع مشهورة وانما وقع الردم
على الدور التي كانت من خارج المدينة وعلى الاماكن المرتفعة منها . واما
الجدران فهي الى الان يشهد لها سن نظر اليها بانها كانت غاية لا تدرك
وانها كانت حصينة منيعة ان مال او يتدلك وطولها ... (نقص) ...
واما المكان الذي يعرف بالبستيون فمعروف لكن ليس فيه عاثر بناء إلا
ما وجد فيه في حدود الخمسين بعد الكلف في ايام حاكم تونس وهو مراد داي
لما امر بنقل الازبال التي اجتمعت هناك والزم اهل المدينة ان ينقلوها ويضعوها
في المكان المنخفض ما كان في المرتفع فوجدوا من كور المدافع شيئا مستكثرا
يستدل به على ما وقع هناك من شدة الحرب ونهايك بمكان اجتمعت على
اخذه اربعة محال واربعة باشوات حيدر باشا ومصطفى باشا صاحب طرابلس
واحد باشا صاحب الجزائر وكان منفصلا عنهما في التاريخ ورمضان باشا كان

محموليا عليها . والمدد الذي امدهم الوزير به وهو ابراهيم بك من صناع مصر
ومحمد بك صنعت قبرس وباكير بك صنعت قره حصار كل هؤلاء ما منهم إلا
ومعه عسكر الثمان من عسكر السلطان والى رجل من الطبجية لخدمة المدافع
والى ينشري وعلى عاشر ساجدار الباب العالي وجماعته والطامة الكبرى
وقلج علي قبطان البحر حضر مع هؤلاء المذكورين وعدة مدافع وزرايز امدهم
الوزير بها ومساعدة الوزير لهم المرة بعد المرة . وبعد هذا لم يحتوا عليه إلا
بعد فراغهم من حلق الوادي . وان كان هذا الخبر قد سبق ذكره إلا
اني اعدته هنا لزيادة التعريف بها وقع من البلاء في وقعت البستيون واثلا
يظن الظان ان هذا المكان ليس بشي . واما جزيرة شكلي ادركنا بها عاتار
البناء وقد سبق التعريف بها في اول الكتاب . وهذه الاماكن المذكورة
اصحزت سلاطين بني ابي حفص ولم تكن لهم قوة عن حسم هذه الطامة
واهل تونس معهم في جهد جهيد . ونار حرب كانوا قيل لها هل امتلات
فتقول هل من مزيد . الى ان سن الله تعالى على هذه المملكة بمن نظر حالها .
وفك بعد ما استولت عليها ايدي الكفرة عتالها . وهو سلطان البرين والبحرين .
وخادم الحرمين الشريفين . وقامع الطغاة والفسدين . السلطان ابن نسل
سلطان السلطان سليم بن سليمان . خلد الله سلطنته . وابدها في ذريته .
وجازاه في دار الكرامة بما فتح بسيفه وحسن نيته . ورحم الله وزراءه الذين اخلصوا
له بالطاعة . ولم يشق احد منهم العصا ولا خرج عن الجماعة . خصوصا
سن كان هذا الفتح على يديه . الوزير الاعظم سنان باشا عامله الله بما جرت
من المعاملات على يديه . ولما تم له هذا الفتح . الذي حصل له به الربح
والنجاح . بعث بالخبر الى الابواب العاليية . وبشر بان الكافرين ليس لهم
باقية . وانعم على من كان في ركابه من الزعماء والاكابر . وبذل احسانه
لمن كان معه من العساكر . وانعم على كل صاحب مرتبة بما يستحقه . وعرض
ذلك على الباب العالي فبلغ لكل احد حقه . ومهد البلاد وامن العباد .
وقمع وخافه اهل الفساد . وترك في تونس من العسكر العثماني دارا من ديار

الينشيرية وهي الواحدة بعد المائة على ما هو المتعارف بينهم . والتجاري على عادة القوانين العثمانية وسن سلك طريقهم . ورجع الى تلك الديار . وخلف من ذكره ما سارت به الركبان وطارت به الاخبار . واخذ قبطان النماري وقيدة وحمله في مركبه وحمل السلطان محمد اآخر بني ابي حفص وهو اآخر العهد وبه انتطعت دولة بني ابي حفص من هذه الديار . ولم يبق من نسبهم الا ارامل وعجائز وثيبات وابكار . وانشيد لسان الحال *
كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسر بمكة سامر

ولما تمكن قدم العسكر العثماني في تونس كما ذكرنا ورثب الوزير سنان باشا قوانين صارت من بعده ثابتة الرسم . واطهر ناموس الملك وقدر فيها المرتب المعلوم . رجع مع الى دار سلطانه بالديار الرومية . وخلف هذا العسكر المعبر عنه بالينشيرية . فضبطوا ملك تونس ودعوت قواعدهم . واستمرت بايديهم خائفا من سلف والزمان مساعدهم . واصالحوا ما فسد من بنيان فلعتها . وسكنوها وجعلوا دار الخلافة بها . وهي المعبر عنها بدار الباشا . وكذلك الديوان كان يرسم بها وجعلوا قوانين يتميزون بها وحذوا في اول امرهم في الاحكام حذو ديوان الجزائر . والمتصرف في احكام الباد باشا الوقت ونظر العسكر الى آغاهم . ودونت الدواوين وخرجت الولايات والجنات . ونشرت في الاقليم الافريقي باسم السلطنة العثمانية الرايات . وتزعم الخطباء على المنابر باسم السلطان العثماني وضرب اسمه على الدرهم والدينار . واصيقت الى مملكته الشريفة هذه الديار . واستمرت عليها الولاة العثمانية . وجاءتها من القسطنطينية زعماء الروساء وتحكمت فيها الباشوية . وجعلوا اصطلاحا على عادة اهل الجزائر التحكم في الديوان والعسكر جماعة البلوكباشية . ولكن ساروا في احكامهم بعنف على سن دونهم في العسكر ووقع منهم الجور حتى ان الواحد من البلوكباشية اذا كان عنده صبيان وهم المعبر عنهم بالعزيرة تكون له حرمة وافرة وربما مد يده في اليولداس وما عسى سن دونه * فسيمت نفوس العسكر واضمروا لهم الشر وتعاقدوا بينهم على

الفتك بهم في يوم معلوم وهو يوم جمعة * وكان وكيل المخرج في الديوان واحد منهم اسمه طبال رجب وله عقب الى اليوم فساعدتهم على ما ارادوه ووعدهم انه لا يحضر ذلك اليوم لتكون البيث التي فيها السلاح مغلوقة بحيث لا يجدون سلاحا يذبون به عن انفسهم . فلما كان اليوم الذي تواعدوا فيه واجتمع اهل الديوان دخل عليهم العسكر على حين ثلثة ووضعوا السيف في سن وجدوه هناك ولم يمنع الا سن لم يحضر ذلك اليوم وتتبعوهم في منازلهم وقتلوا منهم من ظفروا به ولم ينج الا سن فر بنفسه وكانت هذه الواقعة اخر ذي الحجة سنة تسع وتسعين وتسعمائة * وكانت اشارة الشيخ القماش قد تقدمت بما صار لهم لانهم كانوا طالبة ببال ليستعينوا به على مرتباتهم لان الشيخ كان ينفق انفاقا من لا يخشى الفقر من كثرة احسانه للفقراء واحياء الزوايا التي في المدينة والمخارجة عنها واطعام الطعام وفك الاسارى وافعال البر حتى قيل انه كان يتصرف في انفاقه من كون الله فسولت لهم انفسهم بمطالبة فطالبوه وارادوا اكرامه فبعث جماعة من الفقراء الى المجازر التي بتونس وامرهم بمشتري رءوس الكباش فاجتمع له منها شيء كثير وفي اثناء ذلك حل بهم ما حل فكانوا يرون هذه الوقعة من كرامات الشيخ نفع الله به عامين * ولما فعلوا فعلتهم تحزبوا احزابا وصار كل حزب منهم له رءيس فاجتمعت عدة رؤساء وصار كل رءيس يدعا باسم الداي وهذه اللفظة معناها خال باللسان العربي وهي عندهم تكبرة بمن ينادى بها وصارت جماعة تقرب من ثلثمائة رجل * واذا حل بهم امر تجمعوا في القسبة وتشاوروا بينهم الى ان يتفقوا على رأي واحد ولكن لا يتم لهم رأي من كثرة دايانهم * وكان اكبرهم اذ ذاك ابراهيم داي اشهر بينهم شجاعتهم وكثرة جاعتهم الا انه لم ينفرد بينهم بالحكم فتمكث على حالته ثلث سنين وطلب منهم دستورا لزيارة الحرمين فاذنوا له وفارقهم ولم يعد اليهم وعاد الى بلاد الروم فاستوطنها وعاش الى بعد الستين والالف * ولما خرج من بين اظهرهم قام مقامه موسى داي واراد ان ينفرد بكلمته في الحكم فلم يتم له مراده فلما رأى الاضطراب في العسكر

والهرج بينهم ذلت نفسه فمكث نحو سنة وطلب منهم المسير إلى الحج
كما طلب إبراهيم داي فاذنوا له . فلما خرج من بين أظهرهم بعثوا له أن لا
يعود اليهم فما رجع بعد ذلك . ثم تشابعت فيهم الرساء وصار كل واحد منهم
يريد الاستقلال فقام من بينهم اثنان احدهما قارة صفر والاخر عثمان وكان
عثمان اقل من في الدايات جمعا وذكرنا إلا أن الوقت ساعده والقدر موافق
له فوقع بينه وبين صفر داي مشاجرة فذهب كل واحد منهما إلى منزله
ولبس لامة حربيه واقبل إلى القصبته . فسبق إليها عثمان فدخلها وجلس
في سقيفتها واجتمع اليه بعض جماعته فلما رأى صفر داي متبلا إلى القصبته
بعث له من ردة وامره بالخروج من البلاد فخرج على وجهه ولم يستطع
بينهما عنزان فخرج صفر داي وسافر إلى ناحية الجزائر ولم يزل هناك إلى
ايام يوسف داي فاعاده إلى البلاد ولم يكن له اسم بعد وءاش إلى قريب
من الخمسين والالف ومات بتونس بعد ما تزوج بها وكان له ولد * وادركت
صفرا هذا ورايته . واما عثمان فانه لما نفى صفرا هابه من سواه واخذ في
تشيت اصحابهم وخافهم اكثرهم فهربوا من بين يديه . وسكن غالبهم في
اطراف البلاد خيفة منه . وهو اول داي انفرد بالكلمة في سنة سبع والقب .
فباشر الولاية بجاش متين وصولته زائدة وكانت فيه شجاعة قوية بحيث
يباشر الامور بنفسه . وربما سمع ببعض الجنات في الغابة للفسدين من
الانراك يتشبهون الغلة فيخرج بجماعته في طلبهم حتى يظفر بهم . وكان اهل
البساتين قبل ولايته اذا طابت غلاتهم طلبوا من اهل الديوان من يحرسهم
ممن يجتري عليهم من العسكر لنهب غلاتهم فيعينون لكل مكان ساقجا
يحرسهم ويجعلون له جعلاً على ذلك . فابطل عثمان عادتهم وصار يحرسهم
بعنايته فتخافه الناس وجعل تلك العادة ياخذها الساقجي من الباعة الذين
يلوجون في الاسواق فلسان على كل واحد . وانحسست الاشوار من التعسف
في الجنات والبساتين . وقام بالدولة احسن قيام لا ترد كلمته . واذا تكلم لا
يراجعه احد . وازادوا ان يغتالوه مرارا فلم يتم لهم ذلك لانه ياتي اليه من

يعلمه فيتمكن منهم ويقتلهم اشرقت له * ولما تم له الامر نفى
اهل جربة القاطنين بتونس لانهم كانوا تحت حكم اهل طرابلس فاجلأهم
من تونس * وكثرت في ايامه غنائم البحر حتى كانت لا توصف وفي
ايامه كبر صيت محمد باي بن حسين باشا وكان قبطان البحر بغلانظم وجر
عدة غنائم مشهورة . وكان عثمان داي اذا جاءت غنائمه طلع الى حلق
الوادي وبيعت الغنيمة هناك فيقع للتجار ربح قوي * وفي ايامه جاء
دال قبطان من بر النصارى وحصر ما بحلق الوادي من المراكب ومنعها
من الخروج فخذاعه عثمان داي الى ان غدر به واسره وسجنه في القسبة
وبها مات * وفي ايامه كان الشتاء الاظم وذلك في سنة ثلث عشرة واربع
عشرة بعد الالف وهو مشهور بين اهل المحصرة بحيث اجتمعت ثلث مسائل
الوباء والغلاء وتغيير السكة في زمان واحد فكان اهل تونس يرون هذه
الامور من اعظم شئ حل بهم بحيث بلغ قفيز الحنطة ثلثين دينارا . وادركنا
من كان يستعظم هذا الامر ولو ادرك ما رايناه في عصرنا لاستعظم ذلك لانا
شاهدنا الغلاء المفرط الذي لم يسمع بمثله في افريقية قط بحيث بلغ القفيز
من الحنطة اضعاف ذلك وبيع الصاع من الحنطة بنصف ريال فيكون ثمن
القفيز قريبا من المائة ريال وذلك في محاصرة القسبة والمدينة في الكائنة
العظمى التي حرقت فيها ابواب المدينة وسياتي لها ذكر بعد . واجتمعت
مسائل غير هذه * وفي ايام عثمان داي كثرت غنائم البحر كما قدمنا لان
النصارى كانوا في غفلة عن الاستعداد لتسحين المراكب الكبار . وانما كان
يسافر الغزاة في الفراقط وما ظهرت المراكب مثل الشيطيات والبطاشات وغيرها
من السفن الكبار الا في زمن عثمان داي . وكذلك في بلد الجزائر وتماذي
الحال الى اليوم وسافر عثمان بنفسه للمحلة مرتين محلة الجريد وهي التي اخذ فيها
بلد سدادة ومحلة الصيف . ومهد البلاد وجعل قوانين للرعايا يكون العمل بها
ويسمون بها قوانين عثمان داي وقد تغيرت لان تلك القوانين * وفي سنة سبع
عشرة قتل عثمان داي محمد باي بن الباشا حسين لانه اراد الوثوب على عثمان

فطن به . وكان اتفق مع جماعة مستحيضة واطلع على امرهم ساقسلي رجب
فاخبر عثمان داي بذلك وقيل كذب عليهم وفي سبب قتله اختلاف
وانذر محمد باي فتفرقت جماعته وهرب بنفسه الى ناحية افريقية فخانته
تلك العرب وقبضوا عليه واتوا به فسمع عثمان داي فبعث من قتله قبل
ان يدخل تونس خيفة من الفتننة * وكان عمر محمد باي اذ ذاك ثمانين
وعشرين سنة وذكره طبق بلاد النصارى وفعل بهم الفاقة ورزق سعادة
في البحر لم يسمع بمثلها وكان نسيج وحده رحمه الله وعفى عنه * وفي هذه
السنة والتي تليها جاءت كلاندلس من بلاد النصارى نفاهم صاحب اسبانية
وكانوا خلقا كثيرا فوسع لهم عثمان داي في البلاد وفرق ضعفاءهم على الناس
واذن لهم ان يعمروا حيث شاءوا فاشتروا الهناشير وبنوا فيها واتسعوا في
البلاد فعمرت بهم واستوطنوا في عدة اماكن . ومن بلدانهم المشهورة سليمان
وبلي ونيانوا وقرنباية وتركبي والمجديدة وزغوان وطبربة وقريش السواد وجزاز
الباب والسلوقية وتستور وهي من اعظم بلدانهم واحضرها والعالية والقلعة وغير
ذلك بحيث تكون عدتها ازيد من عشرين بلدا فصار لهم مدن عظيمة
وغرسوا الكروم والزيتون والبساتين ومهدوا الطرقات بالكراريط للمسافرين
وصاروا يعدون من اهل البلاد * ولما استقام لعثمان داي ما اراده
عاجله حامي واتى عليه ما اتى على غيره ولحق بربره في سنة تسع عشرة
بعد الاف ولم عقب الى يومنا هذا * وقسم بالامر بعك يوسف داي
وهو اول داي استقام امره بلا تعب وكان عثمان داي رشح في حياته وزوجه
بابنته ولم يدخل بها وكان في مرضه سالوة من يلي بعده فقال لهم - صاحب
الامر عجم داي - (وكان غائبا في بلد باجة لان فيه شهابية) - وان اردتم
حناء انفسكم فقدموا يوسف لان فيه لنا . وكان قصده توليته لانه صهرة
فاما مات عثمان بعثوا الى عجم رسولا واصبحوا منتظرين في امرهم وتجمعوا
عند دار عثمان داي * فبينما هم كذلك اذ دخل علي ثابت وكان من
اصحاب يوسف فلما رأى جمعهم اقبل بحسارته وقبل يدي يوسف داي

وبارك له فلم يبق من الجماعة احد إلا وفعل مثله فبايعهم كبار العسكر
وظلعوا به الى القصبة واجلسوه على عادتهم وجاءه الناس وبايعوه على طبقاتهم
وتم له الامر . ومن غد اقبل عجم من باجته فلقي الامر قد فاتمه فلم يسعه
إلا المبايعة فكان يوسف داي يكرمهم فيما بعد : واخذ علي ثابت في تدبير
المملكة وحرف نية يوسف داي عن التزويج بابنة عثمان داي فتخلى عنها
ردبر عليه . بتزويج حظايا من بنات الاعلاج لانه خاف من مصاحرتهم لاولاد
عثمان داي والزعماني جدهم ليستبد هو بالامر وحده فكان كذلك فاستقام امره
وساعده جده الى ان باغ رتبة لم يبلغها احد قبله وسيأتي له خبر . وفي
ايام يوسف داي تحضرت البلاد وكثرت عمارتها وكان مغرما بتجهيز المراكب
في البحر للغزو وبلغت عدتها خمسة عشر مركبا من الكبار . وفي ايامه
كثرت الروساء في البحر وكانت لراكبهم سدعة وهيبة . ومن اعظم رواسه
عصرة قبطان مصصوم وقبطان وردية كانا نصرانيين فسافرا في ايامه
وهما على دينهما واسلما بعد وكان لهما صيت في البحر . وساءت ايام
بالغنائم من البحر والهند في البر فبنيت في ايامه عدة اماكن في المدينة
منها سوق الترك امر بتحصيره على ما هو عليه اليوم وكان على غير هذه الحالة
فجاء من احسن الاسواق التي بتونس وبني الجامع المشهور به وجعل امامه
من الطائفة الحنفية وجعل له اوقافا للموذين والقراء والخدمة فجاء من
احسن ما يكون وبني بازائه مدرسة تعرف به ايضا وفيها عدة بيوت
للقاطنين بها ومدرس على مذهب الامام ابي حنيفة وجعل مرتبا للقاطنين
بها والخدمة واقف عليهم ارغفة من الخبز لكل من الموذين والامام والطلبة
وقد تلاشى اكثر ذلك . وبني الميضة التي تحت القهوة يستفح بها كثير من
الناس وكذلك القهوة التي فوق الميضة وجاءت من احسن ما يكون
وجعلها وقفا . وبني السوق الذي به الجرابة ماوى لتجارهم وهو من اعجب
الاسواق وكذلك الحمام القريب من السوق المذكور وبني عدة فنادق لسكنى
الطائفة اللوند . وكذلك السوق الذي يباع فيه الرقيق من السودان

وغيرهم ويُنال له البركة وهي من أجل الأسواق * وكذلك فتح باب
البنات بعد ما كان مسدودا وبوبه وجعل فيه عدة حوانيت فجاء من احفل
الأسواق وبنى قريبا منه سوقا يباع فيه الغزل وكانا قبل اليوم في غايته
العمارة وقد تلاشى امرهما ولم تبقى إلّا رسومهما وعمرت تلك الناحية بعد ما
كانت خرابا من مكان يعرف بزنتة جودة إلى باب البنات وكان المار
من هنالك في النهار يخاف على نفسه فعمرت تلك الناحية وهي اليوم من
أجل حارات تونس ، ولم غير ما ذكر من الخيرات التي بقيت بعدة تذكر .
ومن أكبر حسناته ان جلب الماء العذب على الحناية المشهورة بدو فرق ماءها
في المدينة في عدة اماكن منها القبة المرخة التي تحت الصومعة الملاصقة
للجامع الأعظم ومنها في راس سوق الترك وفي اماكن أخرى وانفع الناس
بهذا الماء زمانا وقد تعطل في زماننا هذا لقلّة من ينظر في شأنه واهمال
الحكام له ولا حول ولا قوة إلّا بالله * ومن خيراته بناؤه النظرة العجيبة
التي على وادي مجردة من ناحية بلد طبرية وجاءت من أجل الثناطر وهي
اليوم من اعجب المنتزهات التي لها ذكر بين الناس ، وكان عليها برج في
حياته ثم زاد فيه من بعده مولاة الفتى نصر عاغت ثم تولع به ولده المرحوم
احمد شلبي وضخمه ثم صار من بعده الى حفيدة ابي الحسن علي باي فزاده
ضخمته الى ان صار يضرب به المثل وجاءت بسعادته على اجل شكل وسياتي
لذلك زيادة ايضا . وبنى في عدة اماكن غير ما ذكر للشباب المواجه في
الاماكن المعطشة وجلب اليها الماء من اماكن بعيدة يتنفع السافرون بها
وكانت له صدقات عديدة منها اعطاه للوديين في ليلة المولد
الشريف خمسة ريبالات لكل مكتب حتى ان المكتب ولو تعطل في مدة
السنة يجيء في هذه الليلة لاخذ ما هو معلوم اثنائه الله على صنعه * ومن
زمن ايام دولته . وسلك في فعل المعروف طريقته . وكان يصدر عن رايه
في قومه وقعدته . المرحوم برجته الله الحاج علي ثابت وهو رحمه الله تعالى
جسنة من حسنات يوسف داي ، وكان صاحب احسان للفقراء والمساكين

ولم ذكر عند اهل تونس لايحتاج الى تعريف * ومن بعض حسناته
تصحيحة للمسجد الذي بازاء داره داخل باب الجزيرة وجعل له اوقافا وكذلك
تشييده للجامع خارج الباب المذكور والميضات التي بسوق الترك وجاءت
من اجل ما يكون وينتفع بها الغريب وجعل لها اوقافا لمن يقوم بها وكانت
في غاية الحسن الا ان بعض جفدته استولى عليها وامرها مصير الى التلاشي
ولم اخبار تحتاج الى ديوان ومات رحمه الله في سنة احدى واربعين والاف
وهو من كان يعين يوسف داي على فعل البر ولو تتبعنا حسنات يوسف داي
لطال بنا التبع لها * وفي ايامه في سنة اثنى وعشرين والاف كانت محلة
الجزائر الاولى ولم يقع بينهما قتال * وفي ايامه كان الفناء الاعظم الذي يقول
له اهل تونس وباء سيدي ابي الغيث لانه فيه توفي الشيخ رضي الله عنه
ونفعنا به وكان في سنة ثلثين واحدى وثلثين والاف ومات فيه خلق كثير .
وفي ايامه في سنة اربع وثلثين اخذت غرابان من اغربته مالطة وجيء
بهما الى تونس وزينت البلاد لاخذهما * وفي سنة سبع وثلثين كانت
الواقعة العظمى بين عسكر الجزائر وعسكر تونس ومات فيها خلق كثير وكانت
في شهر رمضان من السنة المذكورة واستجلبهم الشيخ ثابت بن شنوف
واطمعهم في البلاد ولما التقى الجمعان كانت الدائرة في اول يوم على اهل
الجزائر حتى طلبوا لاما ن ثم ان الاعراب خانته وكان اعظمهم اولاد سعيد
فانكسرت محلة تونس ونهبت وعاثت الاعراب في الوطن ومشت جماعة
من مشيخة البلاد مثل الشيخ تاج العارفين العثماني والشيخ ابراهيم الغرياني
والشيخ مصطفى شيخ الاندلس وغيرهم وتم الصلح بين الفريقين * وفي سنة
ثمان وثلثين كانت محلة الكفاف لقيام بني شنوف وكابد ذلك الاهوال مراد
باي وكان صاحب دهاء . وفيها اخذت النصارى غلاطين لاهل تونس .
وفي سنة احدى واربعين توفي الحاج علي ثابت وفيها جاء منصب الباشاك
لمراد باي . وفي التي تليها اخذت جماعة من اولاد سعيد وركبوا على الخوازيق
في المراكض وفيها ظهرت نجاسة محمد باي . وفي ايام يوسف داي فتحت

احسن ما شوهد في تونس من الدعة والسناء . وفيها جاء الخبر بوفاة السلطان مراد وتولية اخيه السلطان ابراهيم . وكانت ايام اصطا مراد هذا من احسن الايام . وقد اتفقت جماعة على القيام عليه ففطن بهم وقتل منهم جمعا كثيرا وفرتن فر منهم . وكانت له صولة عظيمة وهيبته وهو اول من جعل القواد يلزمون بابيه كل عشية بقصد الانصاف لمن يشتكي منهم ولم تكن هذه العادة لمن تقدمه * وفي ايامه بني البرج الذي بغار الملح على يد المعلم موسى وامر ان تبني هناك مدينة واستنفر الناس الى السكنى فيها وسلفهم دراهم للتعمير والاعانة فاستوطنها جمع من الاندلس وغيرهم وهو السبب فيه حتى صار من اجل المراسي التي يبلد الاسلام وكان قبل ذلك مكنا للنصارى فانحسم ضررهم وهذا بعض من حسناته . ويبيع تفيض القمح في ايامه باربعة دنانير نواصر ومطر الزيت بدينارين ومنع خروج القمح لبر النصارى ودخلت هيبته في قلوب العسكر والعامه من الناس حتى ان الذمي كان لا يجار عليه ولا يظلم بشيء . وكانت كلمته لا ترد ولا يراجع احد ولو كان ولده . وهو احد من راس في والبحر لانه كان خدما فيه قبطانا ورزق فيه السعادة التي لم يرزقها احد من قبل * وكانت ايامه في البحر من اجل الايام ولما تولى الحكم بتونس كانت ايامه عند العامه كذلك الى ان توفاه الله وقدم عليه بعمله وكانت وفاته سنة خمسين والفر ربه الله تعالى * وقسم بالامر بعده احد خوجه ويقال له اوزون خوجه باتفاق من العسكر ولم يختلف عنه اثنان لانه كان في اول امرة وهو خوجه بالديوان يعامل الناس بالرفق واللين وخصوصا الايتام من ابناء العسكر يهش لهم ويتحنن عليهم فمالت اليه القلوب وقدموه عن رضى منهم فباشروا الولاية بجبروت وشهامة وكان جمعا للمال * وفي اول ولايته جاءت اعربة مالطة ودخلت الى حلق الوادي واخذت منه هدة مراكب احدها مركب بو شاشية وحرقوا مراكب اخر وفعلوا فعلا عظيما ولم يمنعهم البرج الذي هناك فعند ذلك امر ببناء برج آخر لحصانة المراسي

ويومئذ ايضا كان الغلاء المشرط الذي لم يسمع بمثله وفعل فيه برا
عظيما المرحومان محمد باشا واحمد شلي لانهما جعلتا صدقات من الارغفة
للضعفاء تفرق عليهم كل يوم ويقع نزاحم بين الناس في مكان التفريق وربما
مات بعض من الازدحام بدقربة من زاوية الشيخ الجليزي وانقطعت
الاسعار من القمح والشعير ولكن كانت مدة يسيرة . ثم تدارك الله سبحانه
عباده وتراجع الحال واثت السنة في غاية الحصب وارتحم الناس . وفي
اول دواته وقعت المحاسبة بين المرحوم محمد باشا وسليمان باي وظهر قبل
سليمان مال اخذ عوضه محمد باشا غياطه والزندالة والسانية التي براس
الطانية فذهب كل هذا لاحد خوجه وهذا يدل على سخاء الباشا المذكور
وفي سنة ثلث وخسين كان الفناء الاعظم ودام سبع سنين . وفي سنة
خمس وخسين كان ابتداء العمارة لكندية وجاءت الاوامر السلطانية لقصد
العسكر والمراكب اعانت للسلطان فندب احمد خوجه الناس وجعل على اهل
المدينة والربضيين امرا لتجهيز المافرين وعين جمعا من الرعية للسفر ولكل
واحد جعل من ذلك المال مقداره ثلثون كرونة لكل رجل وعين جلته من
المساجي والقيسان والنفاس وبعضهم في المراكب وكذلك في السنة التي
بعدها ثم قطعت بعد ذلك . وفي ايامه ابتدا المرحوم محمد باشا بتزويل الزمول
وقويت شوكتهم على العربان ومشى فيهم الهوان . ومات سليمان باي في
ايامه وانفرد الباشا بتدبير وطنه ولم يكن له منازع وحصلت بينه وبين احمد
خوجه مشاحنة لدخول بعض الماكزين بينهما فسله الله من شره وتحكم فيه
ومات على يديه في اشد اهانة وكان اسمه جيدة عاشور فانتقم الله منه
واستقامت احوال احمد خوجه وكان مطاعا في عسكرة بحيث انهم استنفر
العسكر الى غار الملح لاجل واقعة يطول شرحها فلم تكن الا ساعة من النهار
حتى خرج العسكر عن اخره وام يبق بالمدينة احد وهذا من نفاذ امرة .
وكانت قريته من موته فلم يعيش بعدها الا اياما يسيرة وبداه مرضه الذي
مات فيه وكانت وفاته سنة سبع وخسين والف . وتسولى بعده الحاج محمد

لاز في صبيحة اليوم الذي مات فيه احمد خوجة وبسويح في جمع من اكابر
العسكر في سقيفة احمد خوجة وطاعوا به الى القصبة وجلس على بابها وجددت
بيعتهم هنالك وكان مسكنهم داخل القصبة فكان يجلس عند الباب لتعاطي
الاحكام في كل عشة الى ان انتقل الى داره المجاورة لتربة الشيخ ابن خريسان .
وفي اول ولايتهم كانت الوليمة الكبرى التي لم يسمع بمثلها في اقليم المغرب
وهي الوليمة التي صنعها المرحوم محمد باشا لولده المرحوم مراد باي بالحرّة
الجليلة ابنته يوسف داي رحم الله الجميع واطهر في العروسة من ابنة الملك
ما لم يكن لغيره في الديار التونسية ومكث اربعين يوما في الاحتفال
لها وانفقت فيها اموال تجل عن الحصر وشاهد الناس ما اذهلهم مما لم يسمع
بمثلهم وفي جملة الايام الاسمطة ممتدة بالاطعمة الفاخرة مما يكل عنه
الوصف واكل منها اهل البلد قاطبة ولم يرد احد عنها وجاءت الناس من
اقطار الارض والمغنيون من سائر البلاد ولم تخل ليلة من الليالي من الفرح
ويسرج من القناديل ما لا قدر له ويوقد من الشموع كل ليلة ما يشهد
له العقل انه لا يكون إلا بديار الملوك الضخمة وكانت تلك الايام تعد
من الاعمار وجاءت الوفود من كل بلد للشهنة وانشدت الاشعار واجيزت
اربابها ووصل من الاحسان والبر لمن يستحقه وتحقق عند اهل تونس انهم
ما سمعوا بمثلها حتى في زمن بني ابي حفص وهي اول وليمة صنعها سامحهم
الله تعالى وغفر له بهمه وكرمه . وفي ايام الحاج محمد لاز تقوى امر بلباسهم
المستيري في الامارة ومنته نفسه بالغرور وذلك بمعاونة كشك مراد مملوك
الحاج محمد لاز وكان لاز المذكور يصدر عن راي مملوكه . وفي ايامه صودر
القائد عبد الله ابو خوران واستصفت امواله واهين بعد ما كان قائد القواد
على يد المرحوم محمد باشا . وفي ايامه صادر الباشا المذكور بلباسهم
القنصبي واخذ جملة امواله واعتقل في زاوية الشيخ سيدي ابي الحسن
المجافوي ثم رضي عنه فيما بعد ورد عليه ما اخذه منه وبعده استصفى اموال
بني صندل ونكبههم علي يد كتابهم احمد المناري وتقوى شان علي هوى

الترجان بمساعدة الباشا له حتى اعجبته نفسه ومثله بالمحال فنكب على يد الباشا واراد ان يفتك به فعاجل نفسه بان اكل السم ومات وهذا من حسن نية الباشا بحيث لم يفته من اعدائه احد . وفي اول ولاية الحاج محمد لاز كانت الطامة الكبرى وكادت ان تكون فتنة لولا ان تداركها الله براي الباشا المذكور وهي التي بيعت فيها عدة نواصر من مرتبات العسكر على يد القائد داود اليهودي الذي كان صرافا فكادت ان تكون فتنة بين العسكر فهدن الله الفتنة برايه السيد ورد لكل واحد ما نقص من مرتبه ودفع المال من عنده وحل من دارة الى الديوان اكياسا على اعناق الرجال وكان شيئا مستكثرا وسلم الناس من الفتنة وهذه النازلة تعد من مآثره الحسنة الجميلة . ودامت ايام الحاج محمد لاز الى ان توفاه الله لثلاث وعشرين خلون من شوال المبارك سنة ثلث وستين والاف بعد مرض طويل ودفن بترتبه عند باب القصبه . وقسم بالامر بعده الحاج مصطفى لاز ببيع في صبيحة اليوم الذي دفن فيه الداي المذكور وذلك بمشورة الباشا وهو اذ ذاك باي المحال فبعثوا يشاورونه في سن يتولى دايا فاشار بتولية الحاج مصطفى لاز فعندما جاء امره السعيد بايعه العسكر . وعند جلوسه بباب القصبه دخل الباي المذكور من غد وكان قد رجع من سفره فاشتد به ضد الحاج مصطفى لاز . وكانت جماعة غيره اعناقهم ممتدة للولاية فطاح ما بايدهم ويئسوا . ولما استقر في الحكم وتمهد امره زوجه الباشا بجارية من جواريه وجهزها بجهاز معتبر كاحدى بناته ووهب له دارا من اجل الدور وفعل معه من الجميل ما لا حد له . وفي اول ولايته نكب بلفاسم المنستيري على يد الباشا لانه كان حاقدًا عليه لامور بدت منه وكذلك نكب الشيخ مصطفى الاندلسي واستصفيت امواله وهرب الى وطن الجزائر ومات هناك وكذلك نكب الشيخ صالح وفعل به ما فعل بغيره . وفي ايام الحاج مصطفى جاءت مراكب الانكليز الى غار الملح واحرقت مركبا كان خارج المرسى ورمت على الحصار بالمدافع واستنفر العسكر الى غار الملح

وكانت واقعة مشهورة وذلك في سنة خمس وستين والف هـ وفي السنة التي تليها كانت الوليمة الثانية من الولائم المشهورة التي صنعها لولده محمد باشا الخفصي على ابنة عبد الرحمن باشا وكانت ايضا تعد من عجائب الدهر وفي ايام الحاج مصطفى بعث محمد باشا هديته المشهورة مع ابن قلمان ولم تدخل الى الديار الرومية هدية افخر منها من بلاد المغرب وطلب منصب البشاوية فاجيب الى ما سال وجاءته الاوامر العثمانية سنة ثمان وستين وخرطب فيها الباشا ابن الباشا . وفي ايام الحاج مصطفى لاز كانت الزينة المشهورة التي ضرب بها المثل لما كان بها من الدعة والترقب وجاءت من احسن ما يكون وهي بشارة باخذ السلطان اقليما من بلاد النمسة . وكانت ايام الحاج مصطفى ايام هناء وراحة لان غالب تدبير الامور كان يصدر عن راي الباشا رحمه الله وإلا فالحاج مصطفى كان لين العريكة ويكره سفك الدماء إلا ما كان من واجبات الشرع واكثر الاحكام يقلد فيها الشرع هـ وفي ايامه كانت الوليمة العظمى التي اجتمع فيها ثلثة باشاوات وهي وليمة احمد باي بابنة عثمان باشا صاحب طرابلس واحتفل فيها المرحوم محمد باشا غاية الاحتفال وكانت سنة تسع وستين . وطالت ايامه الى ان توفاه الله ليلة الجمعة التاسعة عشرة من ذي الحجة سنة خمس وسبعين . وقبل عام بالامر بعده الحاج مصطفى قره كوز جلس عند باب القصبة في صبيحة اليوم الذي مات فيه الحاج مصطفى لاز من غير اتفاق من العسكر وانما قدم نفسه بنفسه واستولى على الامر بشهامته وكان مهابا وفيه اقدام فهابه الناس . ويوم ولايته ظهرت عليه سكينته وابتدا امره بتنقية اهل الجرائم ومعاقبتهم بالشنق والخنق على ادنى شيء وخصوصا سن اتهم بالسرقة فكان لا ينظر في امره بشيء ولا يعرف له إلا لفظة حبس فشنق خلقا كثيرا وفر من المدينة كل من كان يتهم بشيء وتفرقوا في البلاد ولم يعد اكثرهم إلا بعد موته . وكان فيه بعض هرج وتعتل غالب الاحكام في ايامه وصار غالب اهل الديوان وغالب الحكام لا يتصرفون

بشيء خيفة من باسمه وشرة وربما تعطلت بعض احكام الشرع وهو الذي عزل الشيخ مصطفى بن عبد الكريم عن منصب الفتيا وقدم عوضه الشيخ ابا المحاسن يوسف شهر درغوث فباشر الفتيا بعفاف وصلابة في الدين والحق الى ان توفاه الله شهيدا كما سيأتي وهو يعد من حسنة قره كوز . وفي ايامه كانت وليمة محمد باي ابن المرحوم مراد باي بابنة احمد شلي ابن يوسف داي واحتفل الباشا كعادته في غيرها من الولايات . ولم يزل قره كوز في تشديده على الجناة والاقدام على سفك الدماء حتى ان اكثر المعاملات كادت تبطل وانحسم الشر عن الناس وخافه البعيد والقريب وانقطعت السرقة من البلد إلا ما قل ونزلت العافية حتى في البادية ولكن لم تطل ايامه . وكان في سن الشيخوخة وقيض الله له قرناء منهم احمد صنايلي والحاج حسين شاقال فذهبا به كل مذهب وعاجلاه بان اطعماه سما فتغيرت اسواجه وتضاعف ما كان فيه من طبع السوداء حتى صارت تحدث له حالات متناقضة ولم يفعل به ما فعلا إلا ليتم لاحدهما الامر بالولاية . ولما ازدادت فيه السوداء اتفق جماعة من الاكابر ووافقهم بعض رؤساء الوقت فخلعوه وقدموا عوضه الحاج محمد حاج اغلي . وفي شهر رمضان علق الحاج علي الفلاري وكان ترجمانا . وفي شبته منه ايضا علق خمسة انفس على دعوى من غير اثبات . وفي آخر دولته توفي المرحوم برحمة الله محمد باشا وبموته انفق الرثق وصار كل احد بقدر اجتهاده وانفتح باب الخلع على الدايات فخلعوه واخر ذي القعدة سنة سبع وسبعين والف واخرجوه من القسبة الى دار بحومة كتاب الوزير فلم تطل ايامه ومات في العشر الاول من ذي الحجة من السنة المذكورة . ويسمى خلعهم نفي من المدينة حسين شاقال واحمد صنايلي ولم يتم لهما ما املاه الله سر في تقلبات الزمان . فتولى الامر الحاج محمد حاج اغلي المتقدم الذكر جالس على باب القسبة يوم خلع قره كوز وابى ان يدخل دار الامارة حتى اخرج قره كوز منها فعند ذلك دخلها وهي دار معدة لمن يتولى هذا المنصب . والحاج اغلي هذا ممن تريس في المراكب وكان

يعد من القباطين المشهورين وكانت فيه سكينته زائدة فلاجل ذلك قدموه
طنا منهم انه يحسن السيرة في البلاد فظهر منه خلاف ذلك فقل تدبيرة
وصار لا يامر بشيء إلا فيما قل وربما يامر بالشئ وينهى عنه كأنه ما امر
به وتلاصبت الايدي في الاحكام ولم يرد احد عن مراده . ونفى جماعة من
الاكابر وسال عنهم بعد ذلك وقيل انه لم يامر في امرهم بشئ وصارت
الاحكام تصدر عن غيره ويوهمون انها صادرة عنه . وصار الكاتبان اللذان
بالديوان هما صاحبا الحل والعقد وهما شعبان خوجة والحاج محمد بيشارة لا
ترد لهما كلمة . وفي ولايته امر بخدمة الزبلة التي عند سيدي عبد الله
الشريف نفع الله به وخدم فيها الرضيين والمدينة عدة ايام وكان يحضر
بجماعته هنالك ودام على حاله الى اول سنة ثمانين وقيل احدى وثمانين
فخاعوه كثيرة واخرج الى داره بمقربة من دار الديوان وبعد ايام حجر عليه ولزم
بيته الى ان توفاه الله وقيل انه خوط في عقله فلهذا خلعه . ومنهمم الحاج
شعبان خوجة المذكور جلس مجلس الدايات في القصبته في السنة المذكورة .
وفي تلك الايام كانت الوليمة التي صنعها مراد باي لآخيه حسن باي
ولولده علي باي وجاءت من اجل ما يكون ومشى على طريقة والده واربي
عنه واطهر من الاحتفال ما لا يوصف . وفي ايام الحاج شعبان كانت الزينة
العظمى لاخذ كندية في ذي القعدة من سنة احدى وثمانين . واول امرة
واشر الولاية بتعفى ونظر في معاش الناس وربما باشر بنفسه ميزان الخبز
في الاسواق وكان مهابا وسكناه بالقصبته فاحذ له المرحوم مراد باي دارا
ووزن ثمنها وزاد الحاج شعبان في بنائها على ما كانت عليه فجاءت من
اجل الدور وسكن بها . ثم خالطه بعض اهل الفساد واغروه بمعادة
البايات وزينوا له كل قبيح واضمر ان يفتك بهم وفشا الخبر بين الناس
وبلغ الى ارباب المملكة فمكروا به قبل ان يمكر بهم . والذي اغراه على
ذلك ابن القائد جعفر ومحمد بن احمد خوجة على ما قيل . فلما رجع مراد
باي من محاشه محلة الشتاء سنة اثنين وثمانين ابى ان يدخل الى المدينة

واضمر الشر لشعبان خوجة فلما فطن لذلك خاف على نفسه وكان مراد
باي كاتب اكابر الدولة واخبرهم بما نوى الحاج شعبان فمالث قلوب الناس
عنه وتحقق ما اضمره بما صنع قبل من امور فيها بعض هضم في جانب
البايات فلما احس بالشر بعث بجماعة من اصحابه الى الباي يستعطفونه
وحلف لهم بايمان وكان الباي مراد لم يظهر ما في ضميره الا بعد ما استحوذ
على القائد احمد بن جعفر وعلى محمد بن احمد خوجة واراد ان يجعلهما فتنة
فلما وصلت الجماعة الى مراد باي تكلم معهم في خلعة فخلعوه بالمحلة وآخر
ذي الحجة من السنة المذكورة وقدموا عوضه الحاج محمد منتشالي ويوم
دخولهم المدينة دخلوا لقصبتها واخرجوه منها الى بستانه براس الطايبة وبعد
ايام بعثوا به الى زغوان فاقام بها يسيرا ومات يوم الثلاثاء لسبع عشرة مضت
من ذي القعدة سنة ثلث وثمانين والف وحيي به الى تونس ودفن بازاء
دار وقبرة معروف هناك * ومنهم الحاج محمد منتشالي بويج في
المحلة كما سبق وجددت بيعته يوم دخوله القصبة واستوطنها وكانت فيه
بلادة لم يجرب الامور وغالب الاحكام في ايامه تصدر عن البايات وهو مساعد
لهم لا يخرج عن امرهم بشئ وقنع بالمنصب واسمه فقام على سيرته اقل من
سنة واتفقت جماعة من اهل الفساد وزين لهم الشيطان ما نووه فدخلوا
القصبة على حين غفلة وحاصروا منتشالي وبعثوا الى الباشا صاحب المنصب
اذ ذاك وكان متفقا معهم فخلعوا منتشالي وقدموا الحاج علي لاز واخرجوا
منتشالي وبعثوا به الى زغوان الى ان مات هنالك وحيي به الى تونس
ودفن بتربيته قبالة دار وقبرة معروف هنالك * ومنهم الحاج علي
لاز بويج في النصف من ذي القعدة سنة ثلث وثمانين يوم الثلاثاء ووافق
ذلك اول يوم من الحسوم فتطير الناس من ذلك وساعدة قوم غير راضيين
وزينوا له بحالات عقلية ويوم ولايته فر محمد باي الحفصي ولحق باخيه
مراد باي ودخلت محلة الشتاء ولم يدخل مراد باي ولا اخوه الحفصي وكان
اجتماع الحفصي باخيه مراد باي فوق القيروان ثم انهما توجهما الى ناحية

الزواريين . ولما استقروا مشى بينهم الرسل وكل منهم حاقد على صاحبه وضامر له سوء وحدثت في المدينة احوال تؤذن بالفساد وتحزبت جماعة الحاج علي لاز وزاد ضررهم . ولما علموا ان مراد باي اخذ حذرة منهم عزله واقاموا عوضه محمد ءاغا ولبسوه قفطانا وركب في المدينة ونادى المنادي بولايته واخذ يستجلب الناس والرعايا وينفق الاموال وهو لا خبرة له بالامور . وبعد ان كان ذلك كذلك بعث مراد باي بعدة اوامر يحذر الناس ويندبهم الى الرجوع عما فعلوا فلم يزدتهم الا عتوا ثم بعث اليهم اعقادا من الخيل وغاروا على ما حول البلد فخرجت اليهم جماعة علي لاز وخيله فالتقى الفريقان ووقعت بينهم الحرب في عدة ايام . وءاخر الحال جاءتهم جماعة من اولاد سعيد والمثاليث وغيرهم من الاعراب فخرجوا بمحلبة ظاهر البلد وكانوا قبل ذلك جعلوا سوالا وحكم فيه القاضي وافتي فيه بعض الفقهاء بما وافق اغراضهم فعند ذلك نهبت ديار البايات وغالب ءاثاثهم وكان الخطب جليلا . ولما خرجوا واقاموا بظاهر البلد وجاءتهم البايات وظهرت طلائع خيلهم بادروا الى لقائهم وخرج من المدينة كل من يقول بقولهم والتقى بعضهم ببعض فلم تكن الا ساعة من نهار حتى انهزم محمد ءاغا ودخل المدينة مكشوف الرأس وخلف عسكرة فتحكمت فيهم ايدي اصحاب مراد باي فقتلوا منهم خلقا كثيرا ولم ينج الا من بعد اجله وهذه الواقعة تعرف بخطر الملاسين وكانت بعقبة الجزار ونهبت الاعراب ما حول المدينة وتحصن الحاج علي لاز وجماعته بالقصبة ومن غد اصبح بابها مغلقا وبانت المدينة في سوء حال . وبعث الباي الى باقي العسكر بالامان وامرهم بتولية الحاج مامي جمل فبعثوا له وبايعوه في الديوان وبعثوا الى الحاج علي لاز واصحابه فخرجوا بالامان ومشوا الى زاوية الشيخ سيدي محرز بن خلف فلم تكن عنهم وخصوصوا بها ومات هنالك اكثرهم وبعث بالحاج علي لاز الى الحمامات فقتل بها ونهبت عدة اماكن بالمدينة وتبع الباي ءاثار المفسدين فقتلهم وكانت وقعت له لم يسمع بمثلها بحيث مكث القتل اكثر من شهر . وكتب

الباي اوامر وبعث بها وفودا الى الباب العالي مخبرا بما وقع وجاءه الجواب
بما في مرادة وزيادة والقصة اطول مما ذكرنا وكانت هذه الواقعة منتصف صفر
سنة اربع وثمانين * ومنهم الحاج مامي جمل بويج منتصف
صفر كما تقدم وسار على سيرة منتشالي في مساعدة الزمان إلا انه كان فيه
مرج وغفلة وكان يظهر التدين والعفاف ويميل الى الفقراء وذلك منه لامر
ما وفيه امسالك ويشكي من الفقر وما ازدان اول دولته إلا برأي البايات
ثم تغير حاله فيما بعد . وفي ايامه نافق ابو القاسم الشوك بوسلات فقاتله
مراد باي وحاصره وفرغ له من سائر البلدان وانتم عليه جميع العمالة فطاب
له الجبل وقطع رأس الشوك وجاعته ورجسه الى تونس والقصة طويلة .
وفي ايامه اخذت غلياطة محمد باي اخذها عدو الدين . وفي ايامه
مات المرحوم مراد باي في جمادى الاولى سنة ست وثمانين . وفي ايامه
وقع الخلاف بين محمد باي واخيه علي باي وقدم عندهما محمد الحفصي .
وفي شهر رمضان من السنة المذكورة سافر محمد الحفصي الى بر الترك . وفي
ايام الحاج مامي قويث الوحشة والفتنة بين الاخوين واكثرها بمساعدته
وغلبه على امره جماعة من اصحابه فكانوا يهونوا عليه الصعب ولم يزل امره في
تشيت الى ان خلع بالحاج محمد بيشارة او اخر ذي الحجة سنة ثمان وثمانين
والف وخرج من القصة ودخل الزاوية القشاشية الى ان كان من امره ما
سندكرة بعد . وفي ايامه كان الوباء العظيم وابتدا في سنة ست وثمانين
وارتفع سنة سبع وثمانين ومات فيه يوسف باشا وقبره بمقربة من الشيخ
سيدي محرز نفع الله ببركاته وقبر معه ولداه وبنيت عليهم قبة حسنة . وفي
سنة سبع وثمانين المذكورة خرج علي باي الى ناحية المغرب . وفيها
كانت وقعت وسلات مع محمد باي ومات فيها خلق كثير وسياتي طرف
من ذلك . وفيها جاء محمد الحفصي من بر الترك ولم يقبل . واضطربت
أراء الحاج مامي حتى خلع آخر ذي الحجة كما تقدم واقيم بدله الحاج محمد
بيشارة * ومنهم الحاج محمد بيشارة بويج في المحلة على يد الاعداء

علي باي آخر ذي الحجة المذكور وجيء به الى تونس فجددت بيعته
واخرج الحاج مامي ولم يتعرض له بكروية واستنفر عسكرا لاعانتة علي باي
وبعث بالمدافع الى الكاف وسكن بالقصبة ايام ولايته وكان فيه طيش في
احكامه وهو من كتبة الديوان في السابق وكان يظن ان فيه سياسة فلما
تولى لم يظهر عليه شيء منها وكاتبه علي باي في مسائل تصالح به فلم يقبل
منه . واخذ العسكر في ايامه مرتبا واحدا وبعث الى الحاج مامي مرتبه وهو
مقيم بالزاوية . وخلق في منتصف صفر من سنته واعيد الحاج مامي الى
الولاية وذلك حين احتوى محمد باي على المحلة عند الكاف ورحل علي
باي الى الجريد كما سيأتي خبره فبعث محمد باي الى تونس وامر باعادة الحاج
مامي فخرج من الزاوية وطلع الى القصبة واخرج ببشارة ونفاه الى راس
الجبل وبعد ايام امر بقتله ولم يف له بما فعل معه ومن يوم رجوعه لم يهنا
له شيء . وبعث بجمع من اصحابه الى الكاف لكشف الخبر والنزاهة اهل البلد
بالعسس ليلا وجعل العسكر على الابواب نوبا ومشى طارق الفتن في غالب
الاقليم وبدا نفاق القيروان ومكثت تونس في جهد من العسس نحو من
اربعين يوما . ومن اغرب بلادته وهرجه ان الجماعة الذين ارسلهم للكاف لما
رجعوا وجدوا رجلين في الطريق مسلوبين فسالوهما - سن فعل بكما هذا -
فقالا - اصحاب من جماعة مصطفى سبنيول وهو بمكان كذا - . وكان مصطفى
المذكور طرق ذلك الجانب فلما سمعت الجماعة من الرجلين ذلك سالوا
من ذلك الطريق واتوا على غيرة خيفة من السبنيول المذكور ولما اخبروا
الحاج مامي بذلك لم يصدقهم فقالوا له هذان الرجلان المسلوبان فسالهم
فاخبراه بالصدق فامر بضربهما فضربا اعادنا الله من قلته التوفيق . ولم يزل
يتربص الاحوال الى ان فشا بين الناس ان علي باي رجع من الجريد
والتقى مع اخيه في الفحص وهي الكائنة العظمى وهرب ابو رخيص وابن
عثمان وجماعة كانوا في تونس في صندل من البحيرة . وبعد ايام جاء الخبر
مع بلوك باشي وحسين بن مامي قراش فعند ذلك هرب الحاج مامي الى

الزاوية كعادته و بقيت المدينة بلا حاكم فاضطر العسكر الى داي فوق اختيارهم على اوزون احمد فهرب ايضا ومن غد اخرجوه غصبا وقدموه دايا بعد ما شرط عليهم شروطا رضي العسكر بها فباعوه نصف النهار وبات حاكما ومن غد خرج الى الناس ولم يبت إلا وقد تبين خلعه فكان الواجب ان لا يعد من الدايات . ومنهــــــــــــم اوزون احمد بويغ في السابع والعشرين من ربيع الاخر سنة ثمان وثمانين واقام يومين ولم يبرز حكما وكان بعث فيه علي باي ان يولوه فهرب الى الزاوية كما سبق خبره واعيد الجواب الى الباي فعند ذلك بايع بالمحلة محمد رايس طاباق وبعث به الى تونس ولم يعلم احد بذلك فلما سمع اوزون احمد بعث بجماعة من العلماء الى الجبل الاخضر لان مصطفى سبنيول كان هناك محاصرا للدينية ومنع عنها الداخل والخارج والزم الباعة ان يجلبوا بضاعتهم للجبل الاخضر وامر الجزارين ببيع اللحم هناك وانقطعت المادة عن اهل تونس فوصل الداى محمد طاباق ولم يكن لاهل المدينة علم فلما وصل الفقهاء برسالة اوزون احمد وبالشروط التي اشترطها وجدوا الناس قد بايعوا طاباق فطاح ما بايديهن وبايعوا مع الناس ورجعوا فاخبروا اوزون احمد فهرب الى الزاوية الى ان كان من امرة ما سيأتي ان شاء الله . ومن اعجب الاشياء ان المورخين يعدون اهل المناصب من الخلفاء والسلاطين وان السادس منهم يقتل او يخلع واثبتوا كثيرا من اخبارهم وجاءت على اتفاقهم في الاكثر إلا ان هذه الدولة خالفت جميع الدول لان الستة الدايات الذين كانوا مستقلين لم يحجر على احد منهم الخلع وهم عثمان ويوسف ومراد واحمد ومحمد ومصطفى كل هؤلاء كانوا مستقلين وماتوا في ولايتهم ومن بعدهم ثمانية على نسق واحد وقع الخلع عليهم قارة كوز والحاج علي والحاج شعبان ومتشالي والحاج علي لاز والحاج مامي وبشارة واوزون احمد هؤلاء المخلوعون ويمكن ان يقال الاولون ثمانية ايضا لان ابراهيم داي الاول وهو الذي تسمى بهذا الاسم ومن بعده موسى داي لم يقع الخلع عليهما لانهما سلما باختيارهما . فهذا من اعجب

الاتفاقات ولله الامر وهو العليم الحكيم * ومــــن الدايات العظام
واهل الرتب الفخام الذي جاء في اخرهم وهو كاولهم الامجد الانجد
محمد داي عرف طاباق معدود من الروساء الذين بلغوا درجة القبطنة
ونال سعادة وافرة وعلا اسمه وجرت له امور اضربنا عنها الى ان بلغ هذا
المنصب على يد المكرم علي باي بويغ له بالمحلة بالفحص آخر ربيع الانور
سنة ثمان وثمانين والف واقبل الى تونس فنزل بالجبل الاخضر وبعث
الى تونس جماعة من اصحابه فقبضوا على الحاج مامي جل وجماعته وسيروهم
اليه وكان ذلك آخر العهد بهم * ويوم الخميس آخر الشهر خرج الديوان
الى لقائه ودخل المدينة ويوم دخوله كان بعض الناس يغضي من جنبه
وبعضهم راي عليه مخايل الولاية ولما نزل عند باب القصة جاءه الناس فبايعوه
هنالك وتكلم بكلام يدل على لينه ولم يعملوا ما وراء ذلك ودخل القصة ومن
الغد امر باخراج من بها ما عدا جماعته وبعد ذلك باشر الامور بشهامته
وحدة ونفى جمعا من الاكابر وشئت كثيرا من المخالفين وقام بنصرة الباي
احسن قيام * وفي ايامه ابتدا الغلاء واجتهد في ضبط السعر غاية الاجتهاد *
وبعد ايام بعث الباي احد المماليك واقامه خليفة للبasha * وفي شعبان من
السنة المذكورة جاء خليفة البasha من بر الترك ودخل المدينة بزي الباشوات
 واجتهد في امور المملكة وغير السكة لانها كانت غير مرضية فجاءت على
وفق المراد وفرح الناس بها * وفي ايامه تقوي الخلاف في القيروان والمنستير
وصفاقس وبعث ارسالا للقيروان والمنستير فلم تقبل منه * وفي ذي القعدة
من السنة زادت الاراجيف في البلاد وطالت غيبة الباي وخبرة عن
الناس * وفي ذي الحجة كانت الواقعة العظيمة التي احرق فيها
ابواب المدينة وتعطلت المساجد من صلاة العيد والجمعة وكان الخطب
جليلا ودخلت جيوش محمد باي المدينة وعاثو كيف شاءوا ولم ينازعهم احد
وانخذل اكثر العسكر واستنفرهم مرارا فلم ياتوا اليه ومكث ثلثة ايام يتدارك
الامر وفاق باب القصة هو ومن انضاف اليه وانحصروا هناك وكان قد هيا

ذخيرة تقوم به وبايع العسكر في مدة الحصار ساقسلي حسن ورموا على القسبة بالبندقيات ودام الحصار والحرب ليلا ونهارا ورمي على الحصار بالمدافع عدة ايام وخفر تحتهم لغم واطلقت فيه النار وجعلت المتاريس في عدة اماكن ونار الحرب مشتعلة في كل جانب وانقطعت الاسعار من المدينة حتى بلغ صاع القمح نصف ريال عبارة عن ستة ريالات الوبية فكان مبلغ القفيز ستة وتسعين ريالا وهذا شيء لم يسمع بمثله في تونس * والزم اهل المدينة والربضين بالعسس في داخل المدينة وخارجها وظم البلاء واشتد الخوف وانقطع المار من عدة اماكن من الطرق ودهم الناس ما لا قبل لهم به ولم تزل الحرب في المدينة والابواب مهدمة والناس في جهد اربعة وعشرين يوما * وفي تلك الايام قبض على جماعة من اهل البلد والزموا باداء المال وقبض على العالمين المفتيين الشيخ محمد فتانت والشيخ يوسف درغوث فاعتقلا فاما الشيخ محمد ففر ليلا واما الشيخ يوسف فقتل * وءاخر الامر استنفر محمد باي العسكر فخرجوا معه إلا قليلا منهم فكان من امرهم ما سنذكره بعد وفتحت القسبة رابع المحرم او سادسه سنة تسع وثمانين وعصى اهل باب السويقة ووقع منهم حرب لاهل المدينة وبني باب السويقة حاجزا بين الفريقين فهدموه وجأهروا بالعصيان وجاءت الاخبار بهزم العسكر الذي خرج ثم تناقضت وهرب اهل النوبة التي بحلق الوادي حتى لم يبق به إلا رجلا ن وبعث عوضهم رجال اخر فإظهروا الخلاف وكانت الاراء مختلفة في كل مكان الى ان جاءت رؤوس القتلى وحطت عند باب القسبة ومات خلق كثير من اكابرهم ساقسلي الذي تولى دولاتلي وكان في ايام الحصار الحاكم في القسبة طاباق وفي المدينة ساقسلي المذكور * وفي تلك الايام ارجف بهوت ملي باي من مرض كان اصابه وعافاه الله منه ثم اخذت الفتنة في الانحطاط وتمادي الغلاء الى ان من الله بمراكب جاءت من بر الترك بالقمح فحط السعر قليلا كل هذا وطاباق مكابذهة الاهوال ومتحمل لصعاب الامور صابر لها وزاد للجماعة التي كانت محصورة معه خمسة نواصر ترقيا لكل واحد في مرتبة

وهذا لم يسبقه اليه غيره وعفا عن الذين لم يدخلوا معه القسبة وعلم عليهم وكان الذي حمله على الصبر معاصدة الباي له الى ان تم له ما تم فعند ذلك هابه الناس قاطبة وخافوا باسمه واظهر شهامة على من خالفه واشتدت شوكته . وفي آخر شعبان اقبل محمد باشا الحفصي من الديار الرومية في زي عجيب ودخل المدينة بشعار السلطنة بما لم يدخل به احد قبله ومعه من الاعلاج والطبول والانفرة والالات الباشوات ما لا يوصف فكانت النوبة تعزف عند العصر فيلتذ بسماعها خلق كثير ويقع لذلك ازدهام كبير واحضر معه امر السلطان نصره الله للمكرم علي باي برفع ركابه وتعظيمه واجلاله . وفي ثالث شوال من سنة تسع وثمانين والى كانت الزينة العظمى وبقيت هذه الزينة سبعة ايام بلياليها وفي الثامن منها وقعت الوحشة بين الباشا والداي فخرج الباشا مغاضبا وسكن في برج كرنباية . وفي تلك الايام نزل الباي على المنستير وحاصرها اياما ورحل عنها . وفيها جاء الخبر ان محمد باي ركب البحر . وفي ربيع سنة تسعين رجع الباشا الى سانيته براس الطابية ولم يقع بينه وبين الداي اتفاق . وفيها خرج الباي الى محلة الصيف واقام هنالك وخرجت له محلة الشتاء قبل اوانها فارسلها للجريد لصيان البرج الذي في توزر واخذ في سنة احدي وتسعين والى . وفيها استنفر الداي العسكر للكاف ومنعهم مرتباتهم . وفي ربيع الثاني من هذه السنة بعث الداي العسكر نجدة لاهل سليمان . وفي جمادى الاولى جاءت الرسل من الجزائر لاجل الصلح وقابلهم الداي بعنف . وفيها صادر اهل المرتبات ومنعهم لقلته استماعهم امره . وفي رجب خرج الباشا الى القيروان وكان من خبره ما سيأتي ذكره . وفي شوال خدمت صفاقس . وفيه جاءت رسل اهل الجزائر ونزلت محلتهم في الحدادة . وفي الحادي والعشرين من شوال جاء الخبر بخدمة الكاف وفرح الداي بذلك . وفي ذي القعدة جاء الخبر برضاء الباشا مع الداي . وفيه خدمت اولاد سعيد علي باي وتعطلت مرتبات العسكر في

هذه المدة الى ان دخلت سنة اثنتين وتسعين والفس ، وفي اول ربيع الثاني منها قام العسكر على ساق وطلبوا مرتباتهم فلان لهم الداي القول فابوا فغلق باب القصبة واحس بالشر ومكث ثلثا وكانت هرجة عظيمة لولا ان تداركها الله بالباي فقمع اشرارهم وهدن الفتنة ووعدهم باخذ مرتباتهم * وفي سابع ربيع الثاني كلف اهل المدينة والربضين باداء الرمية فامتنعوا ثم اذعنوا وتمشى لاداء في الوطن كله * وفي جادى الاولى كان الختان في برج باردو لحفيد الباي وكانت تلك الايام تعد من الاعمار * وفيه قويت الوحشة بين الداي والباشا * وفي ثاني جادى الثانية سافر الباشا الى الديار الرومية وبقيت البلاد بلا باشا والمرتبات والمجايي تحظ في الديوان * وفي هذه الايام وقع الرخاء العظيم وكثرت الغلال والخيرات بحيث وصل قفيز القمح الى اربعة ريالات واقل من ذلك والله تعالى يلهم هذا الداي للسداد والصلاح ، ويصلح حال من تسبب في اقامته بهذا المنصب ويبلغه النجاح . كيف لا وهو حسنة من حسنات الامير علي باي نسال الله تعالى ان يوفقهم لما يحبهم ويرضاه *

وحيث اثبت بجملة من اخبار الدايات وجب ان ناثي بنبذة من اخبار البايات وان كانت هذه التي جعلتها لم تدون قبل وانما تلقيتها ممن كان قبلي واخبرني وعنه اعتمد في نقلها على سبيل الاختصار وذلك ان في مدة بني ابي حفص سلاطينهم كانوا يخرجون بمحاليهم لجباية خراجهم وفي ايام الدولة العثمانية تقسمت البلاد بين القواد وصار اعظمهم يخرج بالمحلة وكانت لاعراب في قوة واستحوذوا على جل البلاد كعرب افريقية اولاد ابي الليل واولاد بوسالم واولاد حزة وغيرهم واولاد شنوف بوطن الكاف واولاد سعيد واولاد مدافع واهل الجبال غالبهم عصاة وكان صاحب المحلة يعاملهم بالمخادعة والرفق والقواد يتعاقبون في التزامات المحال فكانت احوالهم مضطربة وكثرت المحاكم بالمدينة فكانوا في جهد مع الرعية والعرب اشد شوكة في اول الامر فكان يعسر الخلاص معهم وخصوصا اهل

جبال عمدون وجبل وسلات وجبل عطاطة * واول من سما واطهر ناموسا لهذه الطريقة وتسمى بين هذه الرعاية بهذا الاسم على الحقيقة القائد رمضان من الاعلاج واصلم من اهل الجزائر وخدم المنصب هناك وانتقل الى الديار التونسية وتحصل على هذه الرتبة وكانت فيه سياسة وتدير فاقني الممالك وعلت همته وتخرج من ممالك عدة رجال اخذوا المناصب في حياته وتسموا بهذا الاسم قبل مائة فمهم مراد باي ورمضان باي وحسين باي هؤلاء مشاهير مواليه وكان اعظمهم همة وابعدهم صيتا مراد باي وكان فيه حذق زائد عالم بتدبير الرعية وجباية خراجها استولى في حياة استاذة على الولاية الضخمة واستخلفه في حياته وكان يتفرس فيه النجابة عن غيره حتى عن اخيه رجب * وكان مراد ايضا يتفرس في ممالك استاذة حتى اني سمعت ممن سمعه يقول عن مملوكي استاذة حسين ورمضان اما حسين فلا يموت حتى يفتقر ويعمى وكذلك كان يطلق على رمضان اسم الفقر فنجحت فراسته وكان يفتخر بنفسه ويقول انا ملازم لخدمة استاذي وعندي كذا وكذا مال وعندي شيء معتبر ولم يزل يترقى الى ان صار بعد استاذة في هذه الرتبة * ولما مات استاذة في ايام يوسف داي اراد اخوه رجب باي ان ينفرد وحده فسعى عند يوسف داي فقال له سن اصبغ عند باب الصغير ابن صندل فهو باي المحال لما يعلم من ذكاء ابن صندل وكان اذ ذاك قد هرب الى الزاوية فاصبح عند باب مراد فخدمه فاحتوى على المنصب وزاحه رجب باي واستخدم اولاً خياخم فلم يقيم باعباء المنصب كقيام ابن صندل فاذا خرج مراد بمحلة جباها على وفق المراد دون غيره وربما اشركا * وفي ايام محلة الجزائر كان كل واحد بمحلة وهرب غالب ممالك استاذة اليه فكان يستخلف حسينا * ولما وقع عليهم في محلة الجزائر وعاد من سنته الى محلة الكاف ساس امورها على وفق مراده وكثرة الروساء مضرة لافتراق الكلمة ولم يزل يعلو وغيره يسفل الى ان منته نفسه باعلى المراتب فبعث الى الباب العالي وجاءه التخليد

من السلطنة وذلك في سنة احدى واربعين والى * وكانت فيه سياسة لم تكن لغيره الى ان تم له ما اراد بحسن تدبيرة وتنزل به عظام الامور فلا يتضعع لها وكان مغرى بقتال اولاد سعيد وتمزيق شملهم وكانت له القدرة عليهم إلا انه لم ينفرد بتدبير البلاد لمشاركة الغير له فيها * وفي آخر غزواته التي جلاهم فيها وقطعهم واخرجهم من البلاد الى وطن طرابلس ولم يستقروا به وهي آخر محاله جاءه خبر المنصب وهو على مدينة صفاقس وتسمى باسم الباشا وتخلف لولده على المحال وباشر هو منصب الباشوات ولكن لم تصف له الايام ومات من سنته ودفن في تربة بازاء الشيخ سيدي احمد بن عروس نفعنا الله به ثم نقله بعد ذلك بزمان طويل ولده الاسعد محمد باشا وجعله في تربتهم بالجامع الذي اخترعه وسمي به وجاء من اعظم المساجد وسياتي ذكره بعد ان شاء الله تعالى رحم الله الجميع وتجاوز عن سيئاتهم انه سميع مجيب *

* محمد باي *

من احبى رسوم البايات في الديار التونسية وشيد معالمها في البلاد الافريقية وظهر من ابنته الامارة ما لم يظهره غيره وفعل ما لم يفعله ملوك بني ابي حفص في زمانهم ولا غيرهم الامير الاحب عبد الله محمد باي ابن المرحوم برجته الله الامير ابي الظفر مراد باشا رحم الله الجميع استقل بالامر بعد وفاة والده وكان والده تولى له عنها في حياته لما ترقى الى الباشوية فلما مات ابوه انفرد بالامر وباشر الولاية بجنان قسوي وقابل الرعية برفق واحسان وقرب القاصي وقهر العاصي وهو اذ ذاك في عنفوان شبابه . وكان رحمه الله معتدل القامة تام الخلقة ازهر اللون بديع الشكل لا يمتلي منه الناظر لحسن اعتداله ولم يكن في زمانه احد من امثاله فيه حدة ولين وعقل وزين مثله كاتبه ووزير الصغيز بن صندل وكان كاتب ابيه من قبل وخليفته في السفر رمضان باي وحسين باي وجعفر باي ومصطفى باي استخلفه في آخر الامر وكل من المذكورين له صيت وسمعة

ومقام بين الامراء ورفعته وهؤلاء هم المشهورون من ممالئكم وخدمته ركابه .
ممن لا بد لكل واحد منهم ان يمثل لامرة ويقف بسبابه . وتخرجت من
مواليهم عدة رجال . ممن باشر الامارة وجباية الاموال . وغيرهم جم غفير لو
تنبعنا اسماءهم لصاق بنا القرطاس . وكفاه شهرة ما لهجت به البلاد وروته
من اخباره الناس . وكانت له اخلاق رضية . ونفس ائمة . وفيه ذكاء مفطر
وراي مصيب . اذا اضمر شيئا لا يبيدي سره لاحد ولا يظهر عداوته اذا اراد
المعاداة محبا لظهار الفضائل بذالا للاموال وربما يعطي عطاء من لا يخشى
الفقر وعم احسانه البعيد والقريب . وشهد له بذلك العدو والخيب .
وكان مجلسه بجمع العلماء والفضلاء ويكرم اهل العلم والصلاح ويحب الغرباء
ويود الفقراء ويستحسن ان ترى ثروته على احبائه ويعجل بالاحسان لاهل
حضرتة واصحابه وبمجلسه العلماء والادباء وتقع بين يديه المباحثة وله
مشاركة بفهمه الذكي . وجعل لاهل مجلسه المرتبات السنية بحيث يعم الجميع
بالانعام وجعل لهم دفنرا فيه اسماءهم ويعطوا على قدر مراتبهم وتجري
عليهم عاداتهم من البر والغنم والبقر والتمر والتفصيل والدراهم وغير ذلك مما
هو من عاداتهم . وكفاه فخرا ان العلامة ابا عبد الله محمد بن مصطفى الازهري
نزىل تونس كان يقول - لو سئلت عن ثلث لاجبت بلا ولو قطع راسي -
وقد تقدم ذكر السوالين والثالث الموعود به - ولو قيل لي هل رايت اكرم
من محمد باشا لقلت لا - فكفاه مدحا شهادة هذا العلامة . التي بقيت في
وجنات الطروس كالشامة . فان قال قائل - ما صدرت هذه المقالة من الشيخ
إلا لما غره به من الاحسان . ولهذا وجب عليه ان يمدحه باللسان والجنان .
لقوله صلى الله عليه وسلم - جبلت القلوب على حب من احسن اليها -
وهذا الشيخ من كثرة ما احسن اليه اطلق لسانه بالمدح وخلف هذه
المقالة تروى عنه - قائل له - سلينا لك هذه ولا نسلم لك غيرها مما هو مشهور .
واذا جاء الحق ذهب الباطل والزور . هذه خيراته باقية من بعده .
وصنائع بر تفرقت بين الناس وحسنات اكتسبها بجدة . والناس مطبقون

على مدحه وقوة سعده ، ولا يخلو ارباب الصدور في كل وقت من اصدقاء
واعداء . وهذه المحاسن شهد بها الصديق والعدو « والفضل ما شهدت
به الاعداء » وسيتلى عليك بعد هذا ان شاء الله . ولو تتبعنا محاسنه لاحتجنا
الى تأليف مستقل . ولكن ناتي في آخر الفصل بما هو مشهور ويضرب
به المثل . ونرجع الى الاول فنقول لما استقل بالامر بعد والده كان المشارك
له في المنصب رجب باي ثم سليمان باي وكانا لم يبلغا شواها . ولم يجريا
عجراه . الى ان لحقا بالله وانفرد بنفسه . وفي ايام مشاركتهما له في الولاية
حادث لاعراب في غالب الاقليم . وخصوصا منهم زريعة الخبث والاصل
اللتيم . اولاد سعيد لا اسعدهم الله لان طبعهم الفساد في البلاد . ويهلكون
الحرث والنسل والله لا يحب الفساد . لان امرهم كان متشتتا مدة من
السنين . الى ان ظهرت على اهل تونس الواقعة المشهورة بين العسكرين سنة
سبع وثلاثين . وقد مر ذكرها فقامت قيامتهم على ساق . وتمادوا في النفاق
والشقاق . وغالب اوقانهم جار على منهاج الضر . وبقيت نفوسهم الخبيثة في
الكر والفر . وكان المرحوم مراد باشا مقاوما لهم وحريصا على تبديد شملهم فعاجله
جامه . ولم يبلغ منهم مرامه . وكانوا ياجتئون الى بلد الحامة ويتحصنون بها
لانيها ساعدتهم في نفاقهم نحو سبعة اعوام فكانوا بها يتحصنون واليها ياجتئون
وعرب افريقية كذلك الا انهم اقل ضررا من غيرهم واولاد شنوف متغلبون
على وطن الكاف الى ان من الله تعالى بهذا الامير . فقطع دابرهم والحق منهم
الغني بالفقير . فخرج بمحلتهم الشتائية سنة احدى واربعين والفساد . وشد ازر
بلاد القيروان بعدما كاد ان يقع بها من اولاد سعيد الخسف . واستوثق امرها
واولى عليها مملوكه القائد علي الحناشي وكانت فيه فروسية . ودخل
بمحلتهم الى بلد الجريد وخلص نجباء وظهرت همته ورئاسته وباشر اموره
على وفق مراده . وتقدم انه كان معه مشاركا في وظائفه رجب باي
الا انه لم تكن له فطنة . وانما بلغ باسم اخيه من قبله . وتقدم ان
اهل تونس يذكرون ان ثلثة من الرجال كانوا نجباء . وكل واحد منهم له

أخ ومات الثالثة قبل أخوتهم فلم يبق منهم أحد مقام أخيه أحدهم رجب باي المذكور لأن أخاه رمضان باي كان في غايته الذكاء فلم يبق رجب مقامه وإنما نال ما ناله بسابقيته أخيه ولما مات خلف ولده سليمان فدخل بمخالبه بين معترك الفرسان فلم يتم له مراد . وانفرد المرحوم محمد باشا بأمور المملكة وأخذ في تهديد البلاد . وقمع أهل الفساد . وأغرى بين أولاد شنوف ووسطاء بعضهم على بعض . إلى أن حاز رسمهم من الأرض . والتفت إلى الحامية فخرج إليها بمحلتهم سنة أربع وأربعين وألف وأرسل المتوينة في البحر والعسكر في البر وحشد إليها من جميع البلاد . وكانت على نفاقها سبع سنين وهي ما جاكما قدمنا لأولاد سعيد . وكان نزولها عليها يوم من السنة المذكورة فنصب عليها المدافع والمنجنيقات وحفر المتاريس وأمر بقطع النخل فقطعوا منه شيئاً كثيراً وحاصروها من كل جهاتها وداوم عليها الحصار وكان تقدم منه إنذار لهم مع المرابطين وأمنهم فلم يغن شيئاً فعند ذلك أقسم أنه لا يرتحل عنهم أو يحكم الله بينهم وبينهم فناوشهم القتال وجعل العساكر نوبا في مقابلتهم وداوم بهم الحصار وضائق عليهم ومات من الفريقين خلق كثير . وجاء إليها المدد من أخوانهم المتمردين فلم يجد نفعا لكبير منهم ولا صغير . ومع ذلك كان يبالغ في إرسال اليهم بالاعذار والأنداز ليقيم الحجّة عليهم فلم يزدتهم إلا طغيانا . كأن لكل متمرّد منهم شيطانا . وكانت الحامية هذه في غايته من الحصانة . ولاهلها خبرة بالحروب ومكانة . وهي في مكان منيع والنخل محقق بها . ولها خندق دائر من كل جهاتها . ولما نفذ القضاء دارت عليها الدوائر وكان المتعصبون يقولون لو مكث عليها عدة أعوام . لن يتيسر لهم بها مرام . والأقذار مخالفت للظنون . وما قدر الله به يكون . فداوم عليها الحصار . والقتال لا يفتر بينهما في الليل والنهار . وهم كل يوم في مدد مزيد . وتُمرّد من غوايته شيطان مرید . والأمير يستخدم في الرجال . ويجوز بالمال . إلى أن يسو الله عليهم بفتحها . وانتحلت له بعد جمعها . فقتلت رجالها . وسبيت

فساوها ونهبوا اموالها . وبيعت اولادهم ببيع الرقيق . وضبغت صخورها
بدماء اهلها صبغ العقيق . وخرب المساكن . واجلا منها الساكن . وكانت
وقعت مشهورة . واخبارها بين الناس مذكورة . ولما تم له ما اراد منها .
امن الذين هربوا عنها . وامرهم بالسكنى خارج البلد . وضرب اهلها بسيف
الغزو بعد سيف الحد . واذعنوا لاداء الخراج . ودخلوا في طاعته فاجراهم
على احسن منهاج . وكان هذا الفتح واخر ذي الحجة سنة خمس واربعين
والف . ولما سمعت بهذا الفتح جيرانها من البلاد العاصية . جاءته الوفود
مستامين من البلاد القاصية . وشاع ذكره بين البلاد . وعم اسمه المحاضر
والباد . وصارت له سمعة عند اهل النفاق . وطار خبر اخذ الحامة في
الافاق . لانها مكثت نحو سبع سنين متعادية في ضلالها . واستصعبت
عن غيره الى ان اخذها وكان من فحول رجالها . وكان جبل وسلات قد شمع
بانفه في هذه المدة . فلما بلغه ما حل بالحامة لانت صخوره بعد الشدة .
ولما تم هذا الفتح رجع الى حضرته العلية . وقد سار الرعب في قلوب
الرعية . وعلم ان طالعه اخذ في الصعود . وطالع اعدائه في السعد الذابح
وهو في سعد السعد . ثم تهيأ لاولاد شنوف وقاومهم بالكفاح الى ان انزلهم
من صياصيمهم . وقتل جل رجالهم وجلا باقيهم وجز نواصيمهم . وما زال يتبع
فلهم واحدا بعد واحد الى ان افناهم ولم تبق منهم بقية . ومن نجا بنفسه
ضاقت عليه الارض وطلب منه الثقية . وكانوا قبل ولايته متغلبين على
الكاف ورعيته وهم اهل الفتنة بين العسكريين وقد مر بعض اخبارهم .
وكان من تقدمه من البايات عاجزا عن ان يحل بدارهم . الى ان يسر الله
لهذا الامير ما لم يتيسر لغيره . وفتح له كل صعب ورزقه من خيرة .
واحتوى على ما كان بيد اولاد شنوف . واجلاهم من مساكنهم وديارهم
وانزل من تبقى منهم منزلة الخوف . ولم يبق شيئا من اثارهم . وكانت لهم
سمعة في البلاد بين عرب افريقية . وتحكموا في وطن الكاف مدة من
الاعوام وجبوا الجبايات من الرعية . الى ان فلهم . ودخلوا تحت امرة

واذلهم . فدانت له عند ذلك جميع العربان . وحلث بهم الفاقة ونزل بهم
الهوان . ثم التفت الى اولاد تعيس . الذين لم يكن لهم رئيس إلا ابليس .
فاخذهم بمكرهم ولحق اولهم بآخرهم . الى ان قطع دابرهم . فكر عليهم بغزوات
متواترة . الى ان جعلهم في الحضيض الاوهد رفع الله بما فعله بهم درجاته في
الآخرة . فمارسهم المرة بعد المرة . واثنى عليهم بحاله الكثرة بعد الكثرة . الى
ان اذاقهم الذل والهوان . وفك ما بايديهم من جباية الاوطان . وحل بهم
الصغار . والزمهم اداء الدرهم والدينار . وصاروا يفزعون من انتسابهم الى
النسبة السعيدية . وان سئل منهم احد عن نسبه فر الى النسبة اليهودية .
وتشتوا بعد اجتماعهم . وركنوا لاداء الخراج بعد امتناعهم . وتفرقوا ايدي
سبا في الخافقين . وقضي الامر وقيل بعدا للقوم الظالمين . وامن الله البلاد
والعباد . وقمع بهذا الامير اهل البغي والفساد . وامنت السبل في ايامه من
الافات العادية . وصارت الطعينة في ايامه رائحة غادية . ولولم يكن
له من المزايا إلا قطع هذه الطائفة الرذيلة في ايامه لكانت له من اعظم
النضائل . ولو توسل بها في الدار الآخرة لكانت من اكبر الوسائل . ولم
تقم لهم قائمة مدة حياته . الى ان بعثوا من قبور الذل ولكن بعد مائة .
عسى الله ان يقطع دابرهم . ويهلك اولهم وآخرهم . ومن وقائع الباشا
المذكور ادخاله عرب ورغمة في عمالته . وكانوا قبل ذلك يعدون انفسهم
من اجواد العرب فادخلهم في طاعته . ونظمهم في سلك اهل جبايته . ولهم
خبر يطول . ويعجز له الوصول . ومن غزواته المشهورة ووقائع المذكورة
اخذه لجبل مظباطة وكان مستمرا على النفاق . فخرج اليه بمحلاته سنة
سبع واربعين والف واقام فيه الحرب على ساق . فلأزمه بالحصار . وضيق
على اهله من جميع الاقطار . الى ان سلموا له بنادك الخراج عن رؤوسهم .
ورضوا منه بالامان على اهلهم ونفوسهم . وكانوا قبل ذلك يعدون انفسهم
انهم اهل حرب ومنعة . واستعصموا بجبلهم الذي له بين الجبال رفعة .
واحله البربر الذين كانوا من اهل جالوت . فسلط الله على آخرهم هذا الامير

كما ساط على اولهم طالوث . وبنى في جبلهم حصارا . وجعل فيه انصارا .
والزعمهم من الخراج ما طابت به نفسه مدد السنين . وعظف بعنانهم
وقابل قوماً اخرين . ومن وقائعهم المشهورة التي اذقت اهل عمدون
المرار . وفعل بهم ما فعل بغيرهم والزعمهم البوار . بعد ما كانوا متخصصين
بجبايهم ويصعب الوصول اليهم . ولا تسمح نفوسهم بشيء من الاداء إلا ما
هان عليهم . لان جبلهم في غاية الحصانة . ولهم به قوة ومكانة . فنزل
عليهم بخيلهم ورجلهم . وضايق بهم الى ان دانوا له وداس جبلهم برجلهم .
وسبى منهم النساء والاولاد . بعد ما قاتلهم وقتل منهم واباد . ودخل جبلهم
عنوة . وقطع منهم الشدة والخزة . وعفا عن بقيتهم بعد ما ذهل كل خليل
عن خليله . واجراهم كاخوانهم بحرى الاداء وسيلهم . وذلت في ايامهم العربان
والزم الصغار لمن كان له منهم شان . مثل اولاد ابي الليل الذين كانوا
في زمن بني ابي حفص اهل حل وعقد . فاهانهم الى ان سمحوا باداء
الماشية والنقد . وكذلك اولاد حمزة واولاد صولته . وغيرهم ممن كانت له
شوكة وصولته . ولازم مدة حياته في تتبع اثارهم . الى ان محمدا ذكرهم
واخلي ديارهم . وهؤلاء ممن كان يشق العصا في السابق . فلازمهم الاداء
الى ان اتصل الاول باللاحق . وهذه الطوائف ممن افنى ابن ناجي بتحريم
مبايعتهم واللات الحرب . وكذلك البرزلي قال عرب افريقية اهل حرب .
وكذلك الشيخ اللقاني ضرب بهم المثل قال المحاربة من عرب افريقية
وبالجملة فان ضررهم كثير . وهم من الذين لا يراعون إلا ولا ذمة ولا
ينبتك مثل خيبر . فحسم الله هذه الطوائف الخبيثة في ايامهم . الى ان
صار المسافر يتوجه حيث شاء ببضاعته يبرز باكمامه . وامنت السبل
والطرق . وانتطع المتمردين والطغاة . ودانت عرب افريقية ولزمهم الدين .
واستمرت عليهم الجباية في كل حين وحيان الحين . ولما مهد رسوم عرب
اوطانهم . وجعل كل واحد منهم مشغلا بشانه . التفت الى عظماء مشائخ
العربان . مثل علي بن عبد الصمد وولده من بعده ابي زيان . فشاركهم في

عربائهم ، واجلاهم عن معاقلم وأوطانهم . وششتهم في القفار . وأخلى منهم
الديار . وأصاف دريد الى رعيته . وأحسن للبحسن منهم والزم الجاني
بخطيئته . وركب منهم عدة من الفرسان وجعلهم من جملة رجاله . ولما
عزم على ممارسة قبائل العرب شرع في تزييل فرسانهم . فجمع منهم
عددا وجعل كل زمالة في فج من فجوج أوطانهم . ولكل زمالة رئيس من رجاله
كالقائد حسن المتسبب لحسين باي وهو اشجع رجاله وعقبه موجود وهم
جماعة من اولاده واحفاده كلهم معدودون من فرسان العرب وسياتي ذكرهم
والقائد علي الحناشي مقدم زمانه ايضا والقائد احمد الرقيعي هؤلاء مشاهيرهم
وغير من ذكر كثيرين وركب عدة رجال من عسكر زواة يقال لهم الصبايحية
وجعلهم بركابه حيث سار يسرون . وجعل صبايحية اخر وقرر سكناهم
ببلد القيروان وجماعة منهم ببلد الكاف وجماعة ببلد باجة لتأمين الوطن
فاننت الطرقات في جميع بلادهم ومن اشهر سعادتهم ممارسة لطاغية العرب
في وقتهم الشيخ خالد بن نصر الحناشي . وكان خصال المذكور اشهرهم
سمعة بين قبائل العرب ولم منعة وعدة وقائع مع عسكر الجزائر عمر عنرا
طويلا ومارس الحروب وكان يتشامخ بانفتته على العمالة التونسية ويمتد
في وطنها لانه بجاور لها ويتعرض الى محاسنهم فيستكفون شره ويهادونهم
بالهدايا الى ان قبض الله له هذا البطل الهمام فتماذى على ممارسته الى
ان هزمه سننت اربع وخسين والى بمكان يعرف بصراط . وهي واقعة
مشهورة وكان تعرض على الوادي وحال بين الماء والمحلة فزاجته فرسان
الرجال . وكان ازمهم في ذلك اليوم القائد حسن وظهرت منه شجاعة قوية
ضربت بها الامثال . وهو اول من باشرة بالحرب فرحل عن الماء عنوة
بعد قتال شديد وانهزم هزيمة شنعاء ولم تقم له بعد ذلك قائمة مدة
حياته واخذ يلاطفه ويهاديه ولم يكن له ذكر بعد ذلك . ولم
يمت الباشا حتى خدم ركابه اولاد خالد المذكور ووقفوا ببابه واحتاجوا
اليهم . ولما سارت هذه السمعة بين القبائل من العرب خافوا من سطوتهم

فأذعنوا بالطاعة وجاءتهم الوفود من كل مكان وحداوة على قدر مراتبهم وأتوه من جميع الجهات بالتهنئة ودانت رعائيه وبلغ مناه واقفل اليه شعراء العرب وشعراء الحواضر وأنشدوه اشعارهم واجازهم الجوائز السنية وانتشر ذكره في الافاق الى ان طبق الوجود ولم يبق حي من العرب إلا وعنده خبر من سعادته فتكمش كل متمرد بعد ذلك وود كل شيخ من العرب ان يكون مملوكا . وكذلك شيخ مشايخ العرب الذين في ناحية الغرب الشيخ ابن علي دخل في سلك الجماعة . ولم تسعه إلا الطاعة . وكان من المتمردين على عسكر الجزائر وهزمهم مرارا عديدة فمن سعادة الباشا المرحوم انه كان يتصرف عن اذنه مدة حياته . واوصى باولاده اليه بعد مماته . فكان لا يتشيخ احد منهم إلا بعد مشورته . واذا اصابهم ضيم دخلوا في عمالته . ولما دانت له جلته هذه الجبابة وصفها له زمانه حين رعيته على احسن طريق . وانقطعت قلوبهم مع بعد اوطانهم من خوفه الى ان صار كل مسافر لا يحتاج في سفره الى رفيق . وربما سافر عدة ايام وليس معه إلا زاده وبضاعته ولم يلف من يتعرض له في الطريق . وامتدت المسافرون في جميع الافاق . ولم تكن مدة حياته قبيلة من العرب تميل الى النفاق . ولما ساعدة القدر على مراده حظ بكل كلمه على من اراد ان يكون من اصداة . وذلك ان جاعة من اكابر المحاصرة والقواد كانوا يريدون التنقص من ابهة . ويتطاولون الى رتبته . والقدر يقول له انت امير دولتنا . تصرف بما اردت انك باعيننا . فرد عزمه الى اهل البلد وبدا باكبر قوادهم القائد عبد الله بن خوران وهو اذ ذاك قائد القواد فصادره واستصفى ذخائره وامواله بعد ما كان منحرفا عليه . فدخل في طاعته وجث بين يديه . ومن كان يأنف من مقامه . ويأبى ان يكون من خدامه . الشيخ مصطفى شيخ لاندلس مكث عدة سنين في انحرافه وخلافه فاذاقه هوانا . والبسه من ثياب الذل الوانا . واستصفى جميع ما كان له ومات طريدا في غير وطنه . وكذلك شيخ عرب طرود الشيخ صالح اخذه مثل ما اخذ غيره . ودمر ذكره واستصفى خيره . وتم له الامر وما بقي له

منازع في دولته ، وهلك عدة رؤساء ممن كانوا في خدمته ، مثل الصنادلثة الذين هم كتابه وابي القاسم القفصى وعلي هوا كل هولاء من المخولين في نعمه لما كفروا بها اخذهم اخذة رابية واسترجع منهم ما كانوا اقتنوه من امواله ولم يبق في المملكة إلا من كان مطاعا له ويتصرف بامره ويقف عند حده ونال سعادة لم ينلها احد ممن تقدمه من الماضين . وجلس في رتبة تضاهي رتبة بني ابي حفص وكان يعد من السلاطين . وتصرفت المملكة من نهيه وامره . ونال ما لم ينله احد في دهره * ولما صفا له الوقت من اقرانه . وخلف كل احد مشغلا بشانه . نادى لاهل زمانه هل من مبارز فلما لم يجبه احد جل الدهر على كاهله وتصرف كيف شاء . والله سبحانه وتعالى يوتي ملكه من يشاء . وكانت محاله السعيدة اذا خرجت كعادتها لم يكن لاهلها تعب وكانهم يتنهزون في العمالة والاموال تجي بلا تعب واكثر مغنيها خمسون يوما * وهو اول من اتخذ قاضيا لمحكمة كعادة بني ابي حفص واتخذ الكروضة لرفاهية السفر وغالب احكامه لا تخرج عن احكام الشرع إلا ما تدعو اليه الضرورة من قمع فساد او سد ذريعة مما يستحكم بالقوانين . وتخرجت من مواليه عدة زعماء لا يحصى عددهم كل واحد منهم يعد من الملوك وجاءته التشاريف الملوكية . والاوامر الخاقانية وطارصيته في البلاد الرومية . وبعث الهدايا الجليلة الى الاكتاب السلطانية . وهاجر الى حضرته العلماء والادباء وجاءه كل طالب برحق من البلاد الحجازية . وانتشر ذكره في جميع الافاق . وهاذوه من مصر ومن الشام ومن العراق * ولما تم له ما احب من دهره تاقمت نفسه الى الرتب الملكية . واراد ان ينتظم في سلك الفرائد السلطانية . فطلب من الباب العالي منصب الباشوية . فبعث هدية حافلة لم يدخل من الغرب مثلها للديار الرومية . وعرضت على المحصرة العثمانية . فسيرت له الخلع الخاقانية . وكانت هديته في سنة ثمان وستين والى صحبة ابن كليان فكانت يضرب بها المثل وبلغه التقليد في اواسط رجب من السنة نفسها ودخل الى الجزيرة

بشعار السلطنة : وكان يوم دخوله يوما مشهودا تباشرت به اهل البلاد
وباشر الولاية على اكمل حال ولم تقع في ايامه مظلمة مثل ما كانت في
زمان غيره ، وشمل الناس بعدله وخيره ، ومدحته شعراء وقته ، واثاب كلا منهم
عن قدر مرتبته ، وتمشت المرتبات على احسن حال وكان الناس في ايامه
في هناء لم يروا مثله ، وايامه عدت من حسنات الدهر تقبل الله منه سعيه
وفعله ، واستمر في منصب الباشوية الى سنة ثلث وسبعين والى ثم بعث
الى الباب العالي واستغفى من المنصب وجله فقبل منه وعفا عنه وكان
خليفته بالباب في رتبة عالية وله الشفاعات عند اهل الدولة وكل ذلك
بهمته استاذة ، وبعد انفصاله عن الباشوية طالب الراحبة لنفسه وكان
سابقا تخلص عن جميع بلاده لاولاده وقسم بينهم المناصب فقدم ولده الاكبر
مراد باي على المحال وخراجها وجعل بيد اخيه الذي يليه وهو ابو عبد
الله محمد باي صنجق القيروان وصنجق سنوسة والمنستير وصفاقس وجلمسة
رماياهم ، والمذكور هو باشا زماننا ، وسياتي له خبر بعد هذا وقدم ولده
حسنا على صنجق افريقية وكلهم تسموا في حياته وتلقبوا بالقباب البايات
وكل واحد منهم له صيت وسمعة ولم يخرج من الدنيا حتى راي ماسرة
من بني وبني بنيهم وتلقب بنو بنيهم بالببايات في حياته ولا زال متماديا
في افعال البر والاحسان والاخذ بقلوب اهل العلم والصلاح وتن اصابته
نائبته من اهل البلاد ياجا اليه فياخذ بنحو اطهرهم ويتجاوز عن هفواتهم الى
ان الحق بالله تعالى وكانت وفاته رزعا على اهل تونس ساعده الله بمنه
وكرمه ، ولنذكر نبذة من مآثره التي بقيت بعده على سبيل الاختصار ولو
تبعناها كلها لاحتاجت الى مجموع مستقل فمنها تشييده منارة
الجامع الاعظم ببناء ضخمة وجعل في اعلاها درابز تقوي الموزنين البحر في
الصيف والبرد في الشتاء وجعل رخامة تقابل الناظر اليها ، ومزبورا اسمه
عليها ، وتاريخ البناء بابيات من انشاء كلاديب الشريف الموسوي :
ومنها الحنايا المجلوب عليها الماء من مسافة بعيدة من ابار قصته .

منهاى بها الحنايئة القديمة في ضخامة البناء وانفق عليها اموالا لا تدخل تحت حصر وتم بناءها في عدة سنين وادخل ماءها الى المدينة وفرقه في ازقتها واقف عليها اوقافا للقيام باصلاح ما يتعطل منها فانتفع بها الناس إلا انها في هذا الوقت تعطل بعضها من شدة الفتن * ومن حسناته انشاء المارستان بحومة العزافين وفيه عدة بيوت في اسفله واعلاء للرضى وجعل له اوقافا للقيام بلوازم الذين يحلون به منهم وخدمة يخدمونهم وطيبا ينظر في علاجهم وما يحتاجون اليه من اشربة وادوية ومن طعام وكسوة وفراش وغير ذلك وجعل له ناظرا ينظر في اوقافه وهو اليوم جار على احسن اسلوب تقبل الله منه * ومن حسناته بناء الجامع الذي بازاء تربة مقام الشيخ سيدي احمد بن عروس نفع الله به وكان موضعه دورا فاشترها من اربابها بثمن طابت نفوسهم به ومبلغه شيء كثير وبناءه في غاية الحسن والضخامة بحيث لم ير في المغرب اسر منه وضخامته تنبي من ضخامة بانيه واقف عليه اوقافا جليلت لاسامه وللموذين والقراء وما يحتاج اليه وجعل فيه مدرسا للعلوم الشريفة وجعل امامه من السادة الحنفية تقبل الله سعيه . وجعل فيه تربة بديعة وهي لم تكمل الى اليوم ونقل اليها جثة والده وقبره بها ومن مات من اهل بيته وبقيت فيه اماكن لم تكمل الى زماننا هذا قابله الله باحسانه * ومن محبته في الفعل الجميل ما سارت به الركبان افتكاكم المراكب التي اخذت للجزائريين من ايدي النصارى المرة بعد المرة بمال جزيل وانعم على الماسوريين وكساهم واحسن اليهم وصرفهم الى بلادهم وعدة اسارى ممن سواهم بعث بطلبهم من بلاد الكفر وخلصهم * وكذلك احسانه الذي كان لاهل القيروان في كل سنة يفرق بين ضعفائهم واهل البيوتات منهم * ومن سخائه وعلوهمته انه سمحت نفسه في يوم واحد بما قيمته مائة الف دينار وهي الواقعة التي جرت بينه وبين سليمان باي عند محاسنهم اياه واخذ منه الغياطة والزندالة والسائبة التي كانت لبني ابي

حُص في رأس الطايفة فسمح بالجميع لاجد خوجه الذي كان سردار العسكر في ذلك الوقت . ومن المآثر التي بقيت من بعده ما احياه من منازل باردو وشيد بها القباب الرفيعة وزاد على ما كانت عليه في ايام الحفصيين فمن شاهدهما حكم بعلوشانه على من تقدمه وكان موكبه بها كمواكب السلاطين ويحضر موكبه في سفره وحضره جماعة من المغنيين والملهيين والعلماء والمتكلمين والشعراء والادباء ويجلسون في مجلسه على طبقاتهم ولهم جوائز سنية ومرئيات سنوية تزيد على الخمسين الفادون ما يتبعها من هدايا وملبوس وهذا غير ما يصرفه في عساكرة واصلاح شأنه وما يحتاج اليه اهل بيته وغلانته وحشمه واتباعه ومرئيات اجنادة وهذا شيء لم يسمع به لاحد في اقليم المغرب . وبعث بصدقائه الى الحرمين الشريفين وجاءته جماعة منهما فاحسن اليهم وكان فضلاء الحضرة يحضرون محله وقت اقامته بتونس . وجعل لاهل القيروان صدقة سنية وكان يميل بيرة ورافقه عليهم ومن اهل سوسة من كان يفد اليه في غالب السنة . ونال وجاهة عنده مفتياها الشيخ ابو العباس احمد عرف العلي والشيخ ابو عبد الله محمد عرف العروي وهو شاعرة ومادحه له فيه وفي ولده القصائد الطنانة . وكان اديب وقته وشاعرة من غير مدافع . وكان يجله ويحسن اليه ويانس به . وللشيخ المذكور ولد فجيئ قدمه والده في حياته للفتيا وكان يروي مسند البخاري بحضرة والده في مجلس الباشا في السنة التي مات فيها وقد ابتدا به مرضه فكان يحضر الاستماع للتبرك بالحديث الشريف وبه ضعف وهذا من حسن فيته بحيث ختم عمره بهذا الختم الشريف ختم الله له بخير الاعمال . وربما فاتي له بمحاسن اخرى غير هذا الموضع عند ذكرنا محاسن تونس وخاتمة هذا الكتاب ان شاء الله تعالى . ومات رحمه الله في شوال سنة ست وسبعين والاف وحمل على الاعناق وكان له مشهد عظيم ودفن في تربة والده في جامعته الذي بناه وكانت وفاته رزءا في المدينة ساجده الله وحفا عنه . ومنهم الامير الضخم . وصاحب اللخولاع . قاصع المتمردين من اهل الفساد . المرحوم .

بزجة الملك الجواد . ابو النصر مراد باي انفرد بتدبير الاوطان بعد وفاة والده المرحوم وكان تخلقى له عنها في حياته ولما توفي والده تم له الامر . وكان صدرا من الصدور تام القامة بديع الشكل اشهل العينين واسع الصدر بعيدا ما بين المنكبين علامات الملك ظاهرة على شمائله من رءاه ادركته هيئته منفردا بتدبيره لا يتكل على احد قد تربى في نخوة الملك عن والده ولم سطوة وصولته قاما للاعراب لم تقم لاحد منهم قائمة في ايامه متفقدا لاحوال رعيته قاهرا من عاداه مهد البلاد كتمهيد والده واجرى الامور على عادته يحب الصيد والقنص ومكابدة ضحوات الخيل وهي عنده من اغنى الفرص ولم تجر في ايامه حادثة تتكرر منها النفوس إلا الواقعة المشهورة التي يعبر عنها بواقعة الملاسين والتي قبلها الواقعة في تغيير دولة شعبان خوجه لما اراده الله تعالى من تغيير النعم . وبهذه الواقعة انفتحت ابواب الفتن . وابتدا اهل تونس الشدة والبأساء وصدروا بالمحن . ونذكر بعضها على وجه الاختصار . وذلك ان الباي المذكور لم يكن له اهتمام إلا بامور الرعايا التي في الاوطان . ومدبر المدينة واهلها على مثل ما سبق هو الدولاتلي والمستولي في هذه المدة الحجاج شعبان داي وقد تقدم ذكره فاعراه بعض الاعداء من اتباع الباي ومن كان تحت نظره . وقد سولت له نفسه ان يقوم مقامه فاتفق مع جماعة وحسنوا للداي المذكور ما لم يكن حسنا ولا راد لامر الله وانفقوا اراؤهم الفاسدة على الفتك به وذلك موجبه الحسد لما خوله الله من خيرة واطلع على ما اضمره من الشر وكشب اليه بعض اصدقائه بالخبر فلما ثبت عنده ما اضمره رجع بمحلته كعادته وكتم سره ولم يظهره إلا لمن يثق به من بطانته . ولما قرب من المدينة بمرحلة خرجت وجوه الناس كعادتهم الى لقائه وخرج ابن احمد خوجه واحمد بن القائد جعفر وهو احد مماليكه وثبت عنده انهما اصل الفتنة وهما اللذان اغريا الداى فلما سلما عليه قبض عليهما ورجع بهما الى محلته فلما شعر الداى بذلك علم انه المطلوب فبعث جماعة من اكابر دولته يعتذرا الى الباي وانه

ما اراد شيئا وانها اخبار كاذبة وحلف بايمان والامر تسفر بخلاف قوله فلما وصلوا الى المحلة التقى بهم واليموه ما ارسلوا به له فاخبرهم بدلائل قاطعة فاتفق معهم على خلعه فخاعوه بين يديه وقدموا هنالك من اراد وهو الحاج محمد متشالي وبايعوه بين يديه ورجعوا به الى تونس وعند وصولهم القصبة دخلوا على الداي الحاج شعبان وخلعوه واخرجوه وجلس متشالي مكانه وكفاه الله شر ما ارادوه ودخل الى حضرة تونس مويدا بجورا فخافته نفوس اعدائه وتصرف في البلد بنفاذ الكليته وتيسر له ما لم يتيسر لآبائه وبعث بابن احمد خووجه الى بلد تستور وحبسه هناك ففر من حبسه وابن القائد جعفر ارسله الى بلد الجريد فكان ذلك آخر العهد به وهذه الواقعة سنة ثلث وثمانين والى ولما اطمأن بحضرته احسن الى وجوه اهل الدولة وفرق فيهم اموالا واستجلبهم وطيب خواطرهم واطمانت نفوسهم والتجأ اليه محسنهم وخافه مسيئتهم وتصرف كيف شاء ونفذت الامور على ما اراد وخرج في السنة المذكورة كعادته الى بلد الجريد لجباية الخراج فجاءته الاخبار ان اهل طرابلس وعسكرها عصوا عن باشاهم وحاصروه في قلعتها الى ان مات بها وانه اوصى باولاده الى الباي المذكور فسار الى طرابلس ليكشف الخبر فخرج اليه عسكر من طرابلس فاعذر اليهم وحذرهم واذرهم فابوا الا قتاله فقاتلهم وقتل اكثرهم واسر باقيهم فعفا عنهم وجاءته مشايخ البلاد والمرابطين وطلبوا منه ان يرجع عنهم ولا يتعرض لاحد بمكره فقبل منهم ورجع الى بلاده وانتشر الخبر فخافته نفوس اعدائه واضمر له اهل الشر في قلوبهم داء فعجل لهم بدوائه وذلك ان جماعة من العسكر زرع الله في قلوبهم الحسد على ما رزق من النعم وارادوا المكر به كما فعل الذين من قبلهم فقبولوا بالنقم فاتفقوا في غيبته هذه ودخلوا لقصبة البلد على حين غفلة وخلعوا الداي الذي بها واجلسوا عوضه دايا آخر وهو الحاج علي لاز وقدم ذكره وتعاقبوا بينهم على المكر بالبائيات جميعا ويوم فعلتهم كان يوم الثلاثاء وهو يوم دم واول يوم من المحسوم فايقنت اهل العقول

بإراقة دمه . وحكمت بحسبهم * ولما فعلوا ما فعلوا خرج المكرم محمد باي
ولحق باخيد واتزر بعضهما ببعض ورجعا الى بلد الزوارين من ناحية الكاف
وبعث الحاج علي لاز يخادعهما فلم يفده شيئا فعند ذلك امر ان تنهب
ديار البايات فاخذوا من متاعهم ما قدروا عليه وصارت هرجة في المدينة
وخرج الى الباي جماعات ممن ينتمي اليه وكرة الناس هذه النازلة لما وقع
بسببها من الفساد في المدينة واستعظموا الامر * ولما فعلوا هذه الفعلة قدموا
على انفسهم محمد باي وبعثوا وجعلوا مقام الباي وركب في الاسواق وطيف به
وجلس في بعض منازلهم واخذ يستعد لحربهم وبعث الى طائفة من العربان
واستنصر بهم وخرج بمحلتهم ونزل بالملاسين وبه سميت واقعة الملاسين وهو
المكان الذي في طريق سيجوم فبعث اليهم الباي يحذرهم على فعلهم فلم
يرجعوا عنه لانهم جماعة من اشرار العسكر وروسائهم لم تكن لهم عقول
للتمييز وغلبت اشرارهم اخيارهم فبعث الباي اليهم بعثا بعد بعث فكانوا
يخرجون كل يوم الى خارج البلد ويستنفرون معهم من هو على رأيهم
وجاءتهم مشايخ العربان وسخررا بهم وهونوا عليهم الامر واخذوا منهم دراهم
وثيابا على الرحيل فلم يجحدوا سن يحملهم فلم تكن الا ايام يسيرة حتى اقبل
الباي اليهم باجناده وزموله ونزل بمقربة من سيدي علي الخطاب وتاهب
لقتالهم فلما سمعوا به استنفروا بقية العسكر وخرجوا الى المكان المذكور واخرجوا
مدافع كانت معدة لهم وتقدموا الى مكان يعرف بعقبة الجزار فطلعت عليهم
الحيل من ناحية الباي وكان الباي في مرادة ابقاء الحرب الى غد فلما التقى
الجمعان وتناوشوا القتال لم تكن الا ساعة من نهار حتى ولوا على اعقابهم
منهزمين واخذت مدافعهم وامتعنتهم وقتلت منهم مقتلة عظيمة لم يسمع بمثلها
فيما تقدم ومن نجا منهم دخل المدينة والتجأ الى القسبة بقية الجماعة واغلقوا
عليهم الابواب وتحصنوا بها * وهذه الواقعة كانت يوم الجمعة في النصف من
صفر سنة خمس وثمانين والاف ومن غد اصبحت القسبة مغلقة الابواب واهل
البلد في حيرة لم تكن في حساب ومئات الاعراب في اطراف البلاد وكان

الخطب جليلا . ويوم لاحد قدموا دايا اخر وهو الحاج مامي جمل وبعثوا
اكابر العسكر الى البايع يعتذرون اليه فقبل منهم وامرهم باخراج المفسدين
من بينهم فبعثوا الى الجماعة المتحصنين بالقصبة فخادعهم الى ان اخرجوهم
ومشوا الى زاوية الشيخ سيدي محرز فلم يغن عنهم فاخرجوا منها وقتلوا . وتنبع
البايع كل من ركن اليهم ولافعالهم وقتل اكثرهم وما نجا الا اقلهم واسترجع
ما نهب من امواله الا ما قل . وهذه الطائفة فعلت الاوابد وافسدت
وخربت ولم يكن فيها صاحب عقل وكادت ان تخرب البلاد لولا ان تداركها
الله بهذا النصر . وكانت هذه الواقعة عبرة لاهل العصر . وتدارك البايع
المذكور احوال البلاد فصرف عنها العرب الذين اتوا معه فردهم الى اوطانهم
وامن الناس على ما بايدهم وكفى الله المومنين القتال واقام بمنزله في
باردو واخذ يتبع اهل الجنايات الى ان افنى بعضهم وانجلا بعضهم وكتب
اوامر وبعثها مع جماعة من كبار العسكر الى الباب العالي وجاءه الجواب
على مقتضى مراده . ومن هنا زادت صولته وعلت همته وسافر في سنته الى
افريقية كعادته والامور الاحكامية تنفذ في الحضرة باوامره ومشورته وزادت
همته على من تقدمه من ابيه وجده . ونال ما لم ينله احد في اقليم المغرب
بحزمه وجده . وفي هذه السنة اخذ اهل ويسلات في الشقاق . واعلنوا
بالنفاق . وكان قد لجأ اليهم ابو القاسم الشوك لانه خاف من سطوة مراد
باي لانه تحقق عنده انه كان ممن وانس عليه . وساعد بعض اعدائه
سرا وكاتبه ومال اليه . فخاف على حشاشه نفسه . واعتصم بالجبل مع ابناء
جنسه . لان هذه الواقعة المذكورة كشفت احوال كثير من المفسدين .
واظهرت خفياتهم الباطنة ففعل بهم ما فعل بقوم آخرين . وكانت لها سمعة
بين اهل البلاد الغربية . واتصل ذكرها بالبلاد الشرقية . وكنت مدحمة
على ذلك بقصيدة دالية فجاءت بسعادته على وفق المراد . وقرئت بحضرته
على المسامع الشريفة وحليتها باسم مراد . وهي ازيد من مائة بيت استوفيت
فيها الواقعة من اولها الى آخرها . واظهرت اسمه واسم اخيه ولديهما وجعلتهما

هو المسئول ان يذهب عن جميعهم الضير ويقيمهم آلافات . ويلهمهم الرشدي
الماضي والحال وما هو عات . ولنرجع الى بقية اخبار المرحوم مراد باي
فلما تحقق عنده نفاق الجبل . اخذ في استعمال المكر به والحيل . وكاتب
الشوك يخوفه ويحذره وهو متماد على نفاقه الى سنة خمس وثمانين والـ
خرج اليه بمحلتين عظيمتين واستنفر جمعا عظيما من اهل البلاد وخرج اخوة
معه بمحلة من صبايحته ونازل الجبل واداروا به من كل فج وبعثوا الى اهله
بجماعة من الفقراء والمشائخ فلم يثفق لهم طاعة فعند ذلك امر بقطع اشجارهم
وضايق بهم الحصار الى ان دهمهم وحل بدارهم ودخل الجبل عنوة . وقطع منهم
الثخوة . وفر الشوك امامه بعد قتال شديد . وقتل نفسه بيده وجيء براسه
وما ربك بظلام للبيد . وكان هذا الفتح في شهر صفر من السنة المذكورة .
ورجع بعساكرة ومحلته المنصورة . ويوم دخوله الى الحضرة عد من حسنات
الايام . وعام سعيد على اهل تونس يفتخرون به على الاعوام . ودخلت المحال
على كرتين . وقسمها بين ابنيه الاثنين . دخل ولده الاكبر المولى محمد باي
بالمحلة في اول يوم ومن غد دخل اخوة المولى علي باي . وهي اول محلة
دخل بها . وظهرت عليه ذلك اليوم مخائل الامارة والبها . ووقع للناس الفرجة
في يومين : وعوذت الناس الاميرين الاثنين بشاني اثنين . ونشرت على
رؤسهما الاعلام الخاقانية . وضربت الطبول العثمانية . وكانت هذه الايام من
تمام السعادة . وبها ختمت حياته الى ان ختم الله له بالسعادة . وهذه اواخر
سفراته . واواخر ايام حياته . ولم تطل له الايام من بعد . وتقدته من بين
اقرانه ولايام مولعة بالنقد . وتوفي بمنزله السعيد بباردو في العشر الاواخر
من جادى الاولى سنة ست وثمانين والـ . وحل على الاعناق وادخل
الحضرة ودفن في تربة ابيه وجده بجامعهم المشهور . وانفرد بعمله بعد ما
كانت عامرة به المنازل والقصور . وكانت جنازته حافلة وغلقت الاسواق
وبكت عليه الناس . وبموته انفتح الخرق وجار على اهل البلد الشر والباس .
وصى الله ان يرد كل خائف الى مأمنه . ويلهم ولديه المتولي منهما اصلاح

بوطنه انه مجيب الدعاء ومن محاسنه رحمه الله تعالى انشاءً ممجداً
يبلد باجته من احسن المساجد وجعل امامه من الطائفة الحنفية ووقف
عليه ما يحتاج اليه . وكذلك مدرسته بديعة الشكل عند باب الربع بمدينة
تونس واشتهرت باسمه يقال لها المرادية وبعضهم يقول لها مدرسته التوبة
لانهما كانت مسكناً للاجناد قبل بنائها ويقع فيها الفجور فغير رسمها الاول
وجعلها لتلاوة كتاب الله والعلوم وبها امام ومدرس وعدة بيوت للقاطنين بها
ولهم مرتبات ووقف عليها عدة حوانيت بازائها . ووقفها اخر بحيث تكمل
جراية اهلها . وسئلت عن تاريخها فجاء بالجمل . مدرسته علم ائابه الله على
ما فعل ومن فخامة قدره . ما شاد بين الخافقين بذكره . الوليمة العظمى
التي صنع لولده الامجد مولى الفخر الجلي والقدر العلي . ابي الحسن المولى
علي . ولاخيه حسن باي اي اخي مراد باي كانت من عجائب الدهر .
وتذكرة لاهل العصر . ضاهى بها الولاثم السابقة لابيه . وارى في التجميل
كعادة اسلافه وزاد فيه . وكانت سنة ثمانين والفرق وانفق الناس انهم لم
يروا مثلاً إلا فيما سبق لابيه وعليه الاجماع حصل . وعلموا ان هذا الفرع من
ذلك الاصل . ختم الله لنا ولهم بالسعادة . واثابهم الحسنى على صنعهم الجميل
وزيادة . انه ولي ذلك والقادر عليه . ومن البايات الذين حصلت لهم
الرئاسة وحصل الاجماع على تقديمهم الى ان دخلتهم المنافسة فقاسى كل واحد
منهما ما قاسى وهما الاميران الاجالان الاخوان الشقيقان اللذان رضعوا بين السيادة
من ثدي واحد . ولم يكن لذي عقل ان يفضل واحداً على واحد . إلا ان الله
في خلقه اسرار . ويعلم ما جرحتم بالليل والنهار . ولولا قدر الله الذي سبق
في علمه . لم يكن لواحد منهما ان يتزحزح عن رتبته ورسمه . ولناث بنبذة
ما وقع بينهما الى ان من الله تعالى على اهل الحاضرة بمن صالح بينهما وذلك
يوم وفاة المرحوم مراد باي كان ولده الانجد ابو عبد الله محمد وهو اكبر ولده
في المحلة كعادته لان والده كان ينوبه في حياته وشقيقه ابو الحسن علي
حاضر لفاته والده فلما سار الى رحمة الله اتفق اهل المحل والعقد على توليته

لاثنين لانهما كالنيرين ولا فرق بينهما ولا فضل لاحدهما في السياسة والتدبير . إلا كما يقال في المثل فضل الكبير على الصغير . فسيروا له صحة اخيه جماعة من اغوات العسكر وصحبتهم خلع سلطانية واوامر شريفة بولايتيهما جميعا وقرئت بالمحلة على العسكر وابسا التشاريف وضربت الطبول ونشرت على رؤوسهما الاعلام الملوكية وتباشرت الناس بهذه الولاية المتجددة فقام المكرم محمد باي بالامر احسن قيام . واستوفى خلاص رعيته على التمام . ونفذت الاوامر على وفق مراد الاخوين . واستوفيا ما كان على الرعية من الدين . ورجعا الى حضرتيهما في شهر رجب من السنة . فلما قربا من المدينة خرج اليهـما الناس على العادة للتسليم عليهما واجتمع بهما من لا يخشى الله والقي لهما كلاما باطلا انفعلا منه وكادت ان تكون فتنة لولا لطف الله ومن غد دخلا في موكبهما على العادة ولما حلا بدار عزهما دخل المكرهون بينهما بالنميمة واطهروا لكل واحد منهما النصيحة واغروا بعضهما على بعض وكان بنيان الفتنة على اساس فارادوا ان ينقض ففتح بينهما باب الفتن وجرت بينهما مخاصمات في السر والعلن وكل منهما يدعي انه المبغى عليه . واراد كل واحد منهما ان يعلم ما له وما عليه . وطلب المكرم محمد باي ان ينفرد بالامر على ما كان في زمن ابيه عليه . وطلب اخوه المكرم علي باي ان يكون مشاركا له فيما لديه . وابتى كل منهما ان يسلم الامر لغيره فجرت بينهما مشاجرة وتخاصم تدوء الى امرهما الى التحاكم . وحضرا بالديوان المنصور وتنازعا بين يدي اكابر العسكر وكايد بعضهما بعضا . واتفقا ان يسليا الامر الى عنهما الاكبر فرضيت جماعة اهل الديوان بذلك وقدموا عنهما . وجعلوا بيده التصرف في المحصرة والممالك فخلعت عليه خلع الولاية وركب بشعار السلطنة ونادى المنادي في البلد واعلم الناس بولايتيه فجلس مجلس حكمه . وخرجت الاوامر باسمه . وهو الابد الانجد المولى ابو عبد الله محمد الحفصي ابن المرحوم المولى ابي عبد الله محمد باشا ابن المولى المرحوم برجة الملك الجواد مولانا ابي الظفر مراد باشا غفر الله للجميع .

ولما تم له الامر اخذ في اصلاح شأنه وانعم بالهباء والصلا على جميع سن
يستحق احسانه فانفتت نفس المكرم محمد باي من تقديم عمه وكنتم سره
ولم يظهر لاحد خبره فعزم على الفرار من الحضرة ووافقه ابن عمته وبعض
جماعته وغلماؤه وخرج الى ظاهر البلد كعادته واخذ متوجها الى بلد الكاف
او اخر شعبان سنة ست وثمانين فجد في سيرة الى ان بلغ الكاف . فكثر
في المدينة الارجاف . وانقسم الناس واختلفت آرائهم واهواهم وتزايدت
الاقاويل . واختلف القول والقييل . ولما حل بالكاف اجتمع اليه خلق كثير
من كل الجهات فانعم عليهم واحسن اليهم واستخرج من ذخائر والده وانعم
على وفده وتجهز لمحاربة عمه . وكان من قدر الله انه قبل خروجه من الحضرة
اقبل الركب الهجاري وشيخ الركب محرز بن هندة وكان من رجال الدولة
في زمن الالفة فلما حدثت هذه الحوادث خاف المولى الحفصي ان يتفقم
الامر فحسم المادة بان خلع نفسه ورد الامر الى حفيدة وبعث الشيخ المذكور
الى بلد الكاف لاصلاح ذات البين فلما وصل الكاف حكم العداوة اكثر مما
كانت عليه وفي غيبته كثرت الارجاف . وبقيت اهل الاهواء في كره وفر
وعظم على الناس الفتن وتسامعت اهل الحضرة ان الباي غزا من الكاف
على باجة واخذ منها ما يستعد به ثم غزا الى ناحية القيروان واخذ شيخ
الرمالة احمد الرقيعي وفتك به وانه معول على المجيء الى تونس لمحاربة
اخيه وعمه . فلما سمع عمه بذلك خرج من المدينة وخرج معه ابن اخيه
المولى علي باي ليجمع امرهما ووقعت هرجة في البلاد وفي اثناء ذلك رجع
محرز بن هندة من الكاف فالتقى بهما وهون الامر عليهما وذلك بخلاف ما
في ضميره فرجعا الى البلد وحلف لهما العسكر ان لا يفضلوا احدا على احد
ولكن عن مواساة من اكابرهم . ورجع محرز المذكور برسالة غير الاولى فزاد
بمكيدته في تأكيد الشر وتادفت الاخبار وتواتر ان الباي اقسم لا يدخل
البلد وعمه فيها او يفتك به وذلك في شهر رمضان المعظم من السنة فلما
صبح الخبر عند عمه كره اراقة الدماء بين الفريقين فعزم على الخروج من البلد

وهيا مركبا جل فيه ما يحتاج اليه وسلم ملكه ومشاعره وخرج بمن يليه وركب البحر من ناحية رادس ويوم خروجه تفتت الاكباد . وتقطعت قلوب احبابه من اهل البلاد . وكان الهول عظيما . والامر جسيما . ولا حول ولا قوة الا بالله كيف تفرق الشمل بعد الشامة . والعقد بعد نظامه . وهذا هو السبب في رحلته الى الديار الرومية . والقدر يحمله الى ان بلغ الى الرتبة الملوكية . ورجع بشعار الباشوية الى الديار التونسية . وقد مر له خبر قبل هذا في غير هذا المحل ولما سمع خفيده بخروجه من المحصرة اقبل الى البلاد . بمن صحبه من روساء وقواد . فخرج غالب الناس الى لقائه . وخرج اخوه مع من خرج فغض منه وظهر له التنكر والمقصد في باطنه اكثر وحل في منزله بباردو وجاءه الناس وهتوة . ثم وقع بينه وبين اخيه اتفاق على ما رضوه . ولم يتم ذلك والزمه الاقامة ببعض قصورهم خارج البلد وان لا يدخل المحصرة في غيبته وتهيأ الى المحلة في شوال سنة ست وثمانين وخرج تحت الصناجق وسافر الى بلد الجريد على العادة . وفي غيبته تقوى الطاعون بتونس ومات من اهل بيته جلته من اقاربه واخوه لم يحضر جنازة احد منهم وماتت زوجته ولم يحضر جنازتها . والاخبار واردة بما تغيرت منه النفوس وفي اثناء ذلك مات عمهما حسن باي ابن المرحوم محمد باشا فحضر المكرم علي باي في ذلك اليوم جنازته . وبعد ايام ظهر الخبر وذاع بين الناس ان المولى علي باي توجه الى ناحية الغرب لسبب تحقق عنده وخافه والله اعلم وسيأتي بعد . واما المكرم محمد باي فاستخلص عادته من الجريد ورجع من هناك الى افريقية ورجعت المحلة الى تونس وزادت الراجيف من اهل البلد واضطربت نار الفتن . وخرجت المحلة الصيفية من سنة سبع وثمانين لاستخلاص الوطن لافريقي . وفي تلك الايام وردت اخبار من الديار الرومية بان عمهما وصل اليها ووردت اخبار اخر اضربنا عنها فرجع المكرم محمد باي الى المحصرة واتفق مع اكابر الدولة بانهم لا يقبلون احدا من عمه واخيه . ومال العسكر الى قوله وعقدوا محضرا بجامع الزيتونة واتفقوا على

كلمة واحدة . وفي أثناء ذلك جاء الخبر بان المحلة التي للصبايحية وكانت قريبة من عمدون اخذها تابع المكرم علي باي . وهو القائد مصطفى سبنيول في عدد من الاعراب فخرج محمد باي من فورة من المسجد . وجد في سيرة ومن غد بعث برعوس اعراب لتسكين الاحوال ولكن الراجيف كل يوم تزداد . ولما فرغ من امور افريقية توجه من هناك الى ناحية القيروان لانه بلغه نفاق وسلات فصار اليه بخيله ورجله وحاصره من كل جهاته . وبعث الى اهل الجبل جماعة من المرابطين فرضوا بالطاعة واداء المال فلم يقبل منهم الا ان ينزلوا عن حكمه فخافوا من ذلك ورضوا بالموت في منازلهم ثم بعث الى المحصرة فامدوه بعسكر ثان وذلك في شوال من سنة سبع وثمانين ورجع هو في أثناء ذلك الى المحصرة واستحكم من العسكر بما اراد . وغالب العسكر ممثلا لامره ونهيهم متقاد اليه احسن قياد . ما منهم الا ان يفديهم بنفسه . ورجع من فورة الى محلته وتتابعت رساله الى اهل الجبل ولم يتم له ما اراد فعزم ان يستاصلهم من اوله الى آخره فهما له جوعه بعد ما ترادفت عليه من كل الجهات . ودخل الى الجبل من طرق شتى ودهم اهله بما لا قبل لهم به ولولا ما سبق في علم الله لجعله دكا فلما توسط جل العسكر في الجبل ووقع الحرب بين الفريقين وكادت ان تكون الدائرة على اهل الجبل فكان من قضاء الله ان المكرم علي باي كان في الجبل بطائفة من جماعته . وكان قائده القائد مصطفى بكمين خارج الجبل فلما علم توسط العسكر في الجبل بادروا الى المحلة وكان بقي بها جماعة ليحرسوا الامتعة التي بها والدواب فاغار عليها من خارج الجبل واخذ عدة من الخيل والجمال . وكاد ان ياتي على اخرها فحارب به سن بها من العسكر ورموا عليه بالمدافع وظهرت له في ذلك اليوم شجاعة واقدام لم ير لاحد مثله حدث به فمن شاهده . فلما سمع سن في الجبل من العسكر حس المدافع عليها بواقعة حدثت بعدهم فوجلت قلوبهم ودخلهم الرعب فولوا منهزمين لا يلاوي صديق على صديقه . ولا ينظر شقيق الى شقيقه . فركب اهل الجبل ادبارهم وقتلوا منهم مقتلة لم

يسمع بمثلها ولم ينبج منهم إلا سن وثق باجله ومات غالب الزوساء من
عقدهي العسكر وخليفة الباي القائد محمد بن علي وجماعته من فضلائها
وكاد الباي ان يقع في المكروه لولا لطف الله به ونجا بنفسه وخلف المدافع
التي دخل بها للجبل في مواضعها وزجع الى الاخبية بمن نجا معه ومن
غد رجع الى المدافع واتى بها ورجع راحلا الى القيروان . وكادت هذه الواقعة
تعد من الوقائع . وبها اتسع الخرق على الراقع . وكانت في ذي القعدة من
سنة سبع وثمانين والف ووردت الاخبار الى الحضرة ولكن لم تشتهر والناس
بين مصدق ومكذب . ثم بعث الى العسكر يستنجدهم فامدوه بعسكر ثالث
ولكن لم يخرج إلا والفشل دب في اكثرهم وخامرهم الرعب ولم تطمع نفوسهم
بالنجا الى القيروان فلما وصلوا الى سن تبقى من اخوانهم من العسكر انتخب
منهم جماعة مستفيضة وبعث الى الجريد بحملة مشحونة وسردارها محمد
رايس عرف طاباق وقد مر ذكره عند ذكر الدايات كما سبق وقائدة
القائد مراد وبقي هو بحملته وجاءه الخبر بان اخاه رجل من الجبل وانه في
جمع قليل فطمعت نفسه بلقائه فاحقه وطن ان ما اصابه انما كان باهل
الجبل فجاء السير في طلبه الى ان لحقه بمكان يعرف بسبيبة وكان يوم
عيد الاصحى والمكرم علي باي مقيم فلم يشعر إلا والحيل اقبلت وخبرته
بأخيه قادم عليه فاستدرك امره وهما جععه ودهمه اخوه بمن معه . وكان
غالب سن معه ادركهم التعب لعنف سيرة والتحقوا ابلا كثيرة فاخذوا منها
وبدا النهب من العرب كعادتهم . فلما امعنوا في النهب دههم علي باي بمن
معه وحلوا جملة منكرة ومن كان في نجدته ذلك اليوم صهرة وظهره شيخ
العرب الشيخ سلطان بن منصر بن خالد وجماعة من الصبايحية فقابلوهم
بنفوس ابية والله يويد بنصرة من يشاء فلم تكن إلا ساعة من نهار حتى
هزمهم . وكان عسكر الحملة ادركه التعب فما وصلوا وبهم قوة فلما راوا
المنهزمين نصبوا اخبيتهم وتحصنوا بها وبعث اليهم علي باي يامرهم ان
يدافعوا عن انفسهم خيفة منهم عليهم وقتل من الفريقين وفر الباي بمن قدر

معهم ، وزجع الى الكاف وغنم اصحاب الابد علي باي ما خلفه اخوه وعجز عن حمله وكان شيئا مستكثرا لانه رفع في وجهته هذه من الذخائر ما لا يوصف فملئت ايدي العربان من المال والامتعة ، ولما انفصل الحرب بعث الى اكابر المحلة وامنهم وسكن قلوبهم ثم بعث جماعة من اصحابه ممن يثق بهم الى المحلة المتوجهة لاجريد فاستوثقوا بها وجيبت المجابي باسمه . ولما تيسر له هذا الفتح بعث بالخبر الى تونس فكان وصول الخبر اليها يوم ثالث العيد فزاد الهول على اهل الدولة واختلفت اراؤهم ولم يفتح لهم باب الى ان هياوا جماعة من اكابر العسكر وبعثوهم الى المحلة وبعثوا جماعة من العلماء والمفتيين فكان من امرهم ما سبق ذكره من خلع الداي الحاج مامي جل وتولية الحاج محمد بيشارة ، واحتوى المبكرم علي باي على منصبه وتصرفت الامور عن اذنه وهذه اواخر محلة خرجت في تصرف الامير محمد واول محلة دخلت في طاعة الامير علي ولم يزل المبكرم محمد باي بعد هذه الواقعة متخبطا في الغمرات ، طالبا اخذ الثارات ، واخوه مقابل له في ذلك . متعرض له حيث توجه من المسالك . وكل منها له وقائع تذكر ، وصولات وسطوات لا تنكر وتشكر ، الى ان اصلح الله ذات اليمين ، وجمع كلمة الاخوين . بعد ما كان بينهما حرب ولا حرب الاخوين . عسى الله ان يقيهما الحوادث . ولا يدخل بينهما ثالث . ان شاء الله تعالى . ومن البايات الذين شاد ذكروهم في الامصار ، وانتشرت اعلامهم في هذه الديار . الامير الشهير الاسد الصرغام ، والبطل الهمام ، صاحب القدر العلي ، ابو الحسن المولى علي باي البلاد التونسية ، المتصرف في المملكة الافريقية ، احسن الله اليه ، واجرى الصالحات على يديه . وهو الذي سار ذكره في الافاق ، وترنم الحدادة باسمه وحلا ذكره بين الرفاق . وحل في رتبة المعالي في سماء العز واشرق سناه شروق النيرين . وارتفع محله الى ان صار قطب المملكة التونسية وعلا على محل السهي والفرقدين ، وبلغ من السعادة ما لم يبلغه ابوه وجده . وبذل جهته في طلب العلياء وركب الاهوال وساعدة جده ، وخاطر بنفسه في

ركوب الاخطار . ولم يكل عزمه في طلب السرى وجد السير وركب الليل
وامتطى النهار . وكافح الابطال . وباشر النزال . ودخل وسط الحرب . وقابل
الطعن والضرب . وهان عليه ركوب الاهوال . وانفق الطارف والتليد
والاموال . ولم يشع بروحه وان كان غيره بها لم يسمح . وساس الامور الى
ان دان له من جمع وتن لم يجمع . ولم يزل متهطيا ظهور الصافيات في طلب
النارات الى ان بلغ المراد . وجاءته السعادة منقادة لما يامرها به وامثلت
لابن مراد . وتصرف في المملكة تصرف الملوك . وخصعت لدولته الايام
قائلة لله ابوك . تقف الامراء اجلالا لمهابته . وتخضع له الاسود خوفا من
سطوته وشهامته . كم اثار من حروب وبارشها الى ان خضعت له الرقاب .
وقارع الابطال وقرع بابا لم يفتح لغيره وفتح له الباب . سرى في طلب العز
كالهلال فعاد كبد التمام . واحتجب في سماء الهيجاء بين نجوم الاسنة
وبروق البارق وظهر من تحت سحب القتام . ونازعت نفسه في الرتبة
الملوكية فقال انا لها . واقتحم عظام الامور الى ان بلغها ونالها . فكم له من
واقعات ضربت بها الامثال . وكم له من فتكات في اعدائه عجزت عن مثلها
الابطال . كيف لا يحق له ان ينال مرامه وهو جالس في مكانه . وكيف
يحق لمن لا يخاطر بروحه مخاطرته ان يعد من اقرانه . ورث السيادة عن
ابائه وشيدها على ما كانت عليه . وان جمحت عن غيره فقد جاءته منقادة
بين يديه . وفي المثل - بالسعود لا بالجدود - وهذا جمع بين الاثنين . وساعدة
الزمان مساعدة العبيد مواليتها واقتضى ما كان له على الايام من الدين .
وفضله وقدره اكثر من ان يذكر . وبحسن ايامه معلومة بين الناس فلا
يحق لها ان تنكر . وانما مد القلم لسانه لانه وجد في هذا الميدان بحالا .
وان كان يعد من الخرساء فقد انفق وتمثل فقال -

وقد وجدت مكان القول ذا سعة فان وجدت لسانا قاتلا فقل
وهذا الامير مالك عناننا . وحاكم اوطاننا . ومتصرف في زماننا . جل
الله بمحاسنه الاياما . وجعل عليه كل نار حرب اضرها اعداؤه بردا وسلاما .

وثاني شيء من اخباره ونذكر شيئا من آثاره . كان الله له وهو من الذين رضعوا لبان السيادة . وكان ابوه لا يفارقه حيث سار وهكذا جرت العادة . فكان يتخلق باخلاق ابيه . الى ان اخذ الماء من مجاريه . وفيه سكبته ووقار . وتجنب عن العار . وبطش وشدة ولين وحدة وعقل رصين . وجانب متين . وثبات جنان . وكثرة احسان . وكان والده يتفرس فيه الرئاسة وكذا كان . ولما قدر الله على والده الموت المحتوم كان خاضرا عنده وبلغني انه دعا له بالخير ومات وهو راض عنه فقبل الله دعاءه فلم يزل في حفظ الله الى ان بلغ مرامه . وكان من قدر الله على ما سبق في علمه ان يتول الامر اليه . وارادوا خروجه عنه فجاءه الامر الى يديه . وما احسن قول ابي دلامة . لما مدح المهدي واخذ الكرامة :-

اتتكم الولاية منقادة اليه تجر اذيالها

فلم تك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها

ولو رامها احد غيره لزلزلت الارض زلزالها

ولما قدر الله باثارة الفتن كما سبق الخبر عنها في اول الفصل وخروج الامر من يده والزامة الاقامة في منزله بمنزل عمر وكان الطاعون في تلك الايام ومات من اهل بيته جماعة وهو كالمجور عليه وتواترت عليه الاخبار بما تشتمل منه النفوس وكانت بغض اصدقائه وكاتبوه فسكن سره وعزم على الخروج من العمالة والقضاء يقول له انا رادوك ان شاء الله على اكمل حالته . وسافر في عدد يسير . ورافقه من ختم الله له بالخير على هذا الامر العسير . المرحوم برجته الملك الاوحد . النشلي ابن يوسف داي ابو العباس اخيه سقى الله ثراه من صوب الرحمة وساروا على غير الجادة ووقعت لهم في طريقهم امور اضربنا عنها لان الخبر الماثور عنهم فيه الصحيح والسقيم . ولما خلاصهم الله من العدو الذي تعرض لهم ركبوا في البحر من مكان يعرف بمرسى الحرز ومن العجب ان كيف حل البحر المالح بهذا العذب الفرات . وكيف علا فوقه الدر الفاخر ان هذه لاحدى المغربات . وسارت بهم المركب وتلا

القاتل بسم الله مجراها ، الى ان بلغوا ما منهم من بلد العذاب فكان هنالك
مرساحا . فتسامع به اهل البلد وحشر الناس ضحى الى روميته وكان ذلك
اليوم من اعجوبة الدهر عندهم ولقيهم اهل البلد واكرموا مشواة وقابلوه بما
يستحقه . ومن هناك اخذ في تمهيد امرة وبعث خاله الى مدينة الجزائر
لقصد نصرته فكانت تربته وقبرة والتحق به سن كان ينتسب اليه من
رجال والده واتته جماعة من اولاد سعيد وجم غفير من دريد وتلاحقت به
الناس وتجمعت عليه الجموع وفرق الاموال في جميع الاجناس ووافقه باي
الجزائر ووعده ان ينصرة ولم يوف له - وما النصر الا من عند الله ينصر من
يشاء - ان ينصركم الله فلا غالب لكم - وجاءت محطة الجزائر الى قريب من
العمالة ورجعت واكثر المرجفون في المدينة بالاخبار التي ليس تحتها طائل .
بحيث يقرّبونه مرة ويبعدونه اخرى وقد بعدت عنهم المراحل . وعاصده
في غيبته هذه لما اراد الله به مصاهرتهم لا كبر مشائخ العرب الشيخ سلطان
ابن منصرف تشرف الشيخ بمصاهرتهم هذا البطل . وسعد حيث دخل في سلك
دولته الى ان ضربت بسعادته المثل . والتحق به قائده القائد مصطفى
سبنيول وهو من رجال دولته . وفي ايام ابيه كان مقدما على جماعة
الصبايحية وتخرج بتربيته . وكذلك انتظم اليه الشيخ محمد ابن القائد حسن
واولاده وهو من رجال العرب ودهانهم وان كان اصل ابيه من العجم الا انه
ولد بين الابل والخيول وتعلم نزال الفرسان ومقارعة الابطال والغزو بالنهار
والسرى بالليل وغير هولاء بشر كثير . فاول واقعة سمعنا بها في تونس اخذه
لمحلة الصبايحية على يد قائده القائد مصطفى سبنيول وقد سبق خبرنا ثم فزا
غزوة ثانية الى ناحية الكاف وساق احدى الزمائل وسار بها كل ذلك والناس
يستصغرون امرة ونار حربهم احرقوا الاقليم وهم يكذبون خبيرة وبعث عدة
اوراق الى العسكر يعذرون ويحذرون وينذرون فلم يسمع له وكل سن وجد ورقته من
تلك الاوراق كتبها وذلك لما يريد الله به من نفاذ حكمه . وبعث الى
جبل وسلاط فانقادوا اليه واظهروا نفاقهم محبة فيه ولا زال امرة في صعود

وكل يوم في اقبال الى ان كانت الواقعة المذكورة قبل هذا عند كسرة المحلة
في الجبل المذكور فلك هناك كثيرا من الترك وفداهم بمال وعفا عنهم ولم يرد
تعرضا للعسكر بمكرورة . ثم الطامة العظيمة كسرت المحلة الثانية قريبا من
سبيطلة بمنزلة المريقب يوم عيد الاضحا سنة سبع وثمانين والاف واخذ
المحلة وعفا عن اهلها وامنهم . واتاه اكابر العسكر وبايعوه واطهروا له الطامة
وهذه اول محلة نفذ امره فيها وجاءت الاخبار الى تونس ثالث العيد فطارت
عقول اعدائهم . وصار كل واحد منهم لا يعرف ارضه من سمائه . وخامر جل
العسكر الفشل . واستولى على غيرهم الخوف والوجل . واشتغل كل من العوام
بما لا يعنيه . ولكل امرء منهم شأن يغنيه . وانت المكايب من المحلة
واخبرت بما وقع وكانت في الحضرة هرجة عظيمة وانفق اهل الحل والعقد
ان بعثوا جماعة من اكابرهم وجماعة من اكابر البلد ومفتيها شيخ الاسلام
الشيخ ابا عبد الله محمد عرف فتااته شيخ مشائخ المالكية والشيخ ابا المحاسن
يوسف درغوث مفتي مذهب السادات الحنفية . فلما وصلوا الى الباي حفظه
الله عرف مقامهم وقابلهم بطلاقة وجه واحسن نزلهم وسن معهم واجرى لهم
مؤنة وقام بواجب حقهم ثم جمعهم واكابر عسكرهم وعد عليهم ولاهم وحاججهم
وقطع حجتهم وشهدوا له ذلك اليوم برجاحية العقل لانه كان في سابق الامر
لا يتعاطى شيئا من المناصب لانه تحب حير والدته ولم يظهر منه تصرف
بما يستحسن إلا ما كان يستحسن من خلقته وخلقه وعقله زاده الله تماما
على الذي هو احسن . ورفع قدرة بين الروساء الى ان ينال مراده ويتمكن .
ولما اجتمع بفصلاء الحضرة اتفق معهم على خلع الحاج مامي جل ومبايعته
الحاج محمد بيشارة فبايعوه بالمحلة المذكورة في مكان يقال له باطن القرن
قريب من القيروان فرجعوا به الى الحضرة وخلعوا الحاج مامي وجلس بيشارة
في دار القسبة الى ان كان من امره ما تقدم . ثم ان الابد ابا الحسن علي
باي رحل من هناك بعد ان كانت له واقعة مع القرويين اضربنا عنها
وكانت سببا لنفاقهم لما اراد الله لهم ورجع الى ان نزل بالفحص واقام به

اياما حتى تلاحق العسكر وجمع رايه الى التوجه الى الكاف فنزل قريبا منه
وبعث الى تونس بطلب المدافع فسيروا له ما اراد وهناك جمع جوعه
وعساكره وقصد محاربة البلد فنزل قريبا منه وركب المدافع عليه ورمى به
وجعل العسكر نوبا في المتاريس ووقع الحرب بينهما واصابت المدافع اماكن
من الحصار وكاد ان يتزعزع وتصدعت منه اماكن إلا ان الله تعالى جعل
لكل شيء حدا . ومن قدر الله كان في العسكر جماعة لهم ميل الى اخيه فبعثوا
اليه يستجدونه وهونوا الامر عليه وكان في ناحية الغرب فجد في السير
راجعا ودخل الى بلد الكاف ليلا ومشت بينه وبين العسكر عدة ارسال
واتفقوا معه ومكنوه من المحلة وكان ابو الحسن استشعر بعض شيء من ذلك
وكانت اقامته بمحلته الاخرى فلم يشعر إلا والمدافع مالت اليه . والعسكر
الذي كان معه صار عليه . ومال العسكر الى اخيه . ووقع النهب في خيمه
ومن يليه . فطاح ما بيده ورحل من ساعته بجموعه وجنده وكر راجعا الى
الجريد وكعد في سيرة خيفته ان تصل الاخبار الى من هنالك . ولما وصل
لمدينة قفصته لم يظهر لاهل المحلة التي بها ما يرتابون منه وامر برحيلها
فرحلت وليس لاهلها علم بما وقع ورجع كعادته على الطريق الجادة وفشا
الخبر بالمحلة وهرب منها اناس فلم يتم لهم مرادهم واقبل اليه في وجهته
جل مشائخ العربان مثل الشيخ احمد بن نويرة وجماعة من المحاميد والجمع
الاعظم من نواجع دريد وشياطين العرب اولاد سعيد وساطان العرب بخيله
ورجله وجاءته الاحباب من كل فج عميق واقبل بجمع لا يعلمه إلا الله .
ولما قرب من القيروان اظهروا له الشرف فلم يعب بهم ووقع بعض مناوشة
بينهم وبين جماعة من الصبايحية ورحل عنهم الى ان نزل بالفحص والجموع
تترادف اليه من كل مكان * ونرجع الى خبر اخيه وقد تقدم انه لما احتوى
على المحلة وجدده عهده مع اكابرها بعث الخبر الى تونس فحين بلغ الخبر
بمجرده قام العسكر على ساق ومضوا الى الحاج مامي جل وكان مستترا في
الزاوية فاخرجوه وطلعوا به الى القصبة واعادوه الى منصبه وخلع بيشارة

وبعد أيام امر بقتله وقد تقدم ذكره فيما سبق ، ومن هنا بدأ التخالف وعظم الأراجاف وكثر الخلاف وتفرق الناس ، ولم يبق للعقل قياس ، وتبددت الآراء والعقول ، وكل انسان بما يختلج في صدره يقول ، إلا ان غالب الناس ملى جهة واحدة ويتكلمون بكلام لا يحسن السكوت عليه ولا تصح به الفائدة وكل يوم تاتي اخبار ليس لها صحة في الخارج وتترادفت وتزاحمت الأراجيف بما لا يعقل عند الداخل والخارج وبعث الداي جماعته من اصحابه لياتوه بالخبر ، فمنهم من قضا نحيبه ومنهم من ينتظر ، ورفعت الاسعار وقطعت الاسفار ، ووقع العسس بالليل والنهار ، ولما زاد الوجل باهل تونس اجعواهم على ارسال جماعته من العلماء واكابر المملكت من اهل البلد لاصلاح ذات البين ، والجمع بين الاخوين ، فغابوا مدة في ترددهم بين الاثنين ، فخرجوا مخفي حنين ، ولم يتم لهم الامر الذي طلبوه ، وكل من الاخوين طلب شيئا لم يساعد عليه اخوه ، فلما رجعوا خائبين خاف الناس من نار الحرب التي وقودها الناس ، وشياطين الانس مشيدة لقصور الفتن وليس لبنيتانهم اساس ، وقام سوق الخوف من بعد الامن ، وانتشر النفاق في غالب الوطن ، وقطعت الطرقات ، وغلت الاقوات ، وكل احد من الفريقين يرجح من صاحبه بالكلام ، ولم يبق لاهل تونس من العقل إلا قال قال والسلام ، وهذا من اكبر اعاجيب الزمان التي لم يقع مثلها والاخبار كل يوم تتواتر بها ليس تحت طائل ، والعسس في الابواب كل يوم على الخارج والداخل ، وجاءت الاخبار ان ابا الحسن علي باي قارب الفحص في جوعه والمحلة التي اتى بها من الجريد معه وبعث بهذا الخبر الى تونس فلم يقبله احد وبعثوا الى من بالمحلة يامرونهم بالهروب فهرب منهم جماعته ، ولما سمع به اخوه تناقل عن المجي ثم ثاب اليه رايه وجمع جعا عظيما واستوثق من اهل محله وجاء في نجدته الشيخ الحاج بن نصر وجماعته واقبل في عسده لا يعلمه إلا الله تعالى وجاءته الاخبار من العزب وهونوا عليه امر اخيه فجد في السير الى ان التقيا بالفحص يقول من شاهد ذلك اليوم رايث من الفريقين ما يذهل

القتل لما شاهدته من الفرسان ووقفت بازاء شيخ يحرض الناس فعلمت
انه سلطان ورايت من اقندام الباى ابي الحسن علي وهو ثابت الجنان ،
ويجول بين الفرسان ، وقدمت العرب هواجها كعادتها والتقى الجمعان
وجلوا حلة رجل واحد فلم يقف احد منهم ساعة واحدة إلا وقد رزق الله
النصر الى جماعة المعظم ابي الحسن علي باي فغنموا مغنا عظيما من الخيل
والسلاح وحرب الحاج وجماعته وخلف امراته قال سن شاهدها وهي راكبة
على بغل حين اتى بها عفا عنها وردها الى صاحبها فلم يكن له ذكر بعد
هذه الواقعة ، ولما فتح الله هذا الفتح الغريب في الزمن القريب وكان الحرب
من الفريقين بين الخيالة ولم يكن للعسكر مدخل لان المحلة التي جاءت
من الجريد بعثها الباى علي الى زغوان وقال لهم اقيموا هنالك فان كنتم لي
رجعتم معي وإلا رجعتم الى صاحبكم فحلفوا له فلم يقبل وكان سردار عسكرها
محمد ريس عرف طاباق وقد تقدم ذكره والمحلة التي جاءت من الكاف
كفاه ان منعت نفسها ونزلت بمكان عال وخندق عليها اهلها ومنع الباى
علي من التعرض اليها ، ولما ارتفع الحرب بعث الى اكابر المحلة فعدد ذنوبهم
عليهم وكان ذلك آخر العهد بهم ، ثم بعث الى محلة زغوان فجاءته وبعث
قائده مصطفى سبنيول الى تونس وبلوك باشية ليخبروا بالواقع وهذه الواقعة
كانت آخر ربيع الاول سنة ثمان وثمانين والى . ولما جاءت الاخبار
الى تونس عظم البلاء وارتجفت قلوب الناس وكان الخطيب جليلا وبعث
قائده مصطفى فحاصر المدينة وضائق بها الى ان اذعنوا له بالطاعة وبعث
اليها سردار العسكر الداى محمد طاباق بعد ما بايعه بالمحلة وقصد مرخرة
فيما مضى وطلع الى افريقية كعادته لاستخلاص وطنها وتفهيدة وكانت له
واقعة اخرى منع جوع اخيه كابن الحاج شيخ الحنانشة واولاد ابي زيان
وجماعتهم من دريد ومعهم جوع من عرب افريقية وغيرهم فكانت الطامة الكبرى
ومات فيها الشيخ سلطان الحناشي لانهم دهموا عليه على غفلة عشية فيهار
وباشر القتال بنفسه وكثرت طليد الجموع فطعن ومارت ووقعت في عسكر ابي

الحسن رجة لولا لطف الله به وثبات جاشه فبات على احتراس ومن الغد اشتد الحرب واشتبك وزاد الخطب وصبر الفريقان صبرا لم يكن قبل ذلك اليوم ومات خلق كثير ووقعت الهزيمة على اولاد الشابي وسن معهم وغنم من اموالهم شيء كثير وملئت ايدي الاعراب وسن سواهم من الابل والمتاع وكانت بمكان يقال له وادي تاسة وعد من الوقائع التي يضرب بها المثل ورجع منصورا الى وطنه واستكمل بجباه واحسن الى الشيخ احمد بن نوير ورده الى بلاده فمات قبل ان يصل الى وطنه قريبا من الحامة في معركة مع جنود محمد باي واخذ غالب نجعه هناك . وفي هذه المدة كثرت الاراجيف بتونس وقيل ان الباي مات واطلقت الاخبار الكاذبة واختبلت عقول الناس حتى انهم كذبوا بالضروريات وصدقوا بالمحالات وبعد ذلك رده الله سالما الى حضرته وصام بعض شهر رمضان فيها وخرج بمحلته الشتائية في آخر الشهر المذكور من هذه السنة وهي سنة ثمان وثمانين وكان خروجه تحت الصناجق كعادة اباباته وضربت البشائر وكان له زي عظيم وظهرت عليه مهابة الملك ولم يكن خرج قبل ذلك اليوم على هذه الصورة فتبارك الله احسن الخالقين على حسن خلقته وخلقه ولقد زانها حتى قلت فيه ذلك اليوم قصيدة مطلعها -

بدر السما ام نور وجهك يزهر لما خطرت بحليلة بيتي
من سندس خلعت قلوب حواسد لكن بها احبابكم يستبشرون
ما عاين الرءاؤون حسنك مشرقا الا وحقك هللوا او كبروا
وهي طويلة اضربت عنها ولم تساعد الاقدار ان يسمعها وسار في وجهته هذه ونزل على القيروان في آخر رمضان محاصرا لها ورمى عليها بالمدافع ولولا ان العسكر كان فيه اختلاف لكان استاصلها لانهم كانوا يقاتلون قتال تكلف بلا نية وعيد عليها عيد الفطر ورحل عنها وذلك انه جاءته الاخبار ان اخاه خالفه الى بلاد الجريد فقصد الهم وارتحل عن القيروان ومن العجب انه نازل القيروان واقام عليها عدة ايام واهلهما يحلفون انه مات وان الذي بالمحلة

غيره وهذا من اكبر الهذيان وشاهدنا وسمعنا بثونس ما هو اغرب من هذا
نسال الله تعالى ان يحفظ عقولنا ويلهمنا رشدنا . ثم توجه الى بلاد الجريد
فوجد اخاه قد احتوى على كثير منها وحسن حصار قفصة وشحنه فلما علم
بقدومه فر امامه الى الزاب ودخل عدة مراحل في طلبه ففاته فرجع من
خلفه وحاصر سن بالحصار المذكور وعمل له لغما فطلب سن به الامان
فامنهم واحتوى على الحصار وجعل فيه نوبة من قبله . ولما اتم تشحينه
واستكمل مجباه من بلاد الجريد كر راجعا الى الحضرة وكان اتصل به الخبر
من الاعراب بان اخاه قاصدا الى تونس فبعث قائده مصطفى سنيول في
عسكر من الصبايحية لحراسة المدينة فلم يغن شيئا وكانت الطامة الكبرى
التي لم يسمع بمثلها في بلاد المغرب وهي التي حرقت فيها الابواب ونهبت
الاسواق وقامت الحرب على ساق ولقي اهل تونس فيها بلاء عظيمًا وحوصر
سن بالقصبة وكانت الفتنة الكبرى وخرج جميع عسكر الحضرة الى قتال
ابي الحسن علي باي وخرج في ذلك العسكر الداوي الجديد ساقسلي وخرجوا
باموالهم واولادهم ولم يبق منهم إلا القليل وقد ذكرت هذه الواقعة في ترجمة
الداوي طاباق واتصل الخبر بابي الحسن علي باي لطف الله به في اثناء
الطريق فجد في سيرة وكان معه جمع عظيم وبعث الى اكابر المحلة واخبرهم
بالقصبة فحلفوا له على الموت فوعدهم بزيادة خمسة نواصر ترقيا لكل واحد
ورحل الى ان قرب من الفحص فالتقى هنالك بالمحلة الخارجة من تونس
ومعها محلة من القيروان وغيرها من الكاف ومثلها من صفاقس وعربان اجتمعت
معهم من الاقليم لا يعلم قدرهم إلا الله فالتقيا في اول المحرم من سنة تسع
وثمانين والف والتحم الحرب ورمى بعضهم على بعض بالمدافع والمكحل
وصادق بعضهم بعضا في القتال والنقمت الخيل بالخيول واشتد الباس . وكثر
المراس . وتقارب الصفان . واختلط الجمعان . وصارت كل محلة يقول اهلها نحن
اخذناكم يعني اهل المحلة الاخرى . ولما اجتمع العسكران قالوا بكلمة واحدة
ونكثوا ايمانهم وكان ابو الحسن علي باي بعيدا من الفريقين لموت احد رجاله

وخليلهم في العسكر القائد مراد فارادوا قتله ففجأه الله ومنع من بين ايديهم .
فلما تحقق ابو الحسن خديعتهم رجع على عقبه بمن معه من ضبايحهم
وزموا له واجتمع العسكران وبعثوا الى اخيه محمد باي وملكوه امرهم فرحل بهم
في اثر اخيه وقد انسحب امامهم الى مكان يعرف بالمنزل فلما توسطوا به
كر ابو الحسن بين معه وتشجعت اصحابه وصادقوا في حملتهم فبددوا
شملهم ومات بن مات عن بيته وكان قدر الله امرا مكتوما ومات عالم عظيم
ووقع القتال من عشية النهار الى الليل ولم ينج إلا سن طال اجله وسن
ماش اخذته العرب وغنموا منهم مغنما لم يكن مثله في السابق من ذهب
وفضية واثاث ما يحل عن الوصف وكانت هذه الواقعة من اعظم وقائع اهل
المغرب . ولما تم له ما تم امره بقطع رءوس القتلى وبعثها محمولة على الجمال
وكان يوم وصولها الى تونس يوما مهولا . واغرب من هذا ان الرءوس قبالة
باب القصبة يشاهدونها والمرجفون يقولون ليس لذلك علم ولا اثر ومات
ساقسلي اكبرهم ولم ينج إلا القليل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .
ولولا نفاذ ما سبق في علم الله لم تكن هذه الواقعة التي شاد خبرها في
الثقلين . واضربت نار حربها بين العسكرين . واقتتلوا في محبة الاخوين .
ولكن لكل اجل كتاب . يبحر الله ما يشاء ويشيت وعنده ام الكتاب . ثم
جاءته رسل اهل القيروان يطلبون العفو فعفا عنهم ورحل ونزل قريبا منهم
واممهم ولم يواخذهم بما فعلوا ما عدا ابن الشاطر الذي دعم اساس النفاق .
واجرى اهل القيروان على البغي والشقاق . فانه لم يعف عنه ومات في
سجنه وكر راجعا الى تونس واخذة في طريقه مرض خيف عليه منه فتداركه
الله بلطفه ووصل الى منزله ببارد وهو في اثناء مرضه واستبشر بقدومه احبابه
وفشا الخبر في البلد انه مات . ولقد اتفق لي اني كنت حاضرا يوم وصوله
وعايتهم بعين راسي وسمعت ذلك اليوم رجلا يقول لآخر انه مات ودفن
فاخبرتهما بانني رايتهم فحلفاني فحلفت لهما ولم ادر اصدقاني ام لا . واتفق
في تلك الايام ان جاءته رسل من عند اخيه لقصد الصلح ولم يتم ذلك

وبعد أيام يسيرة دخل الى المدينة وعليه اثر الضعف ودخل الى القصبته وحشر
الناس الى رويته واطلقت البشائر وكان يوما مشهودا عاينه فيه المحب
الغال . والعدو القال . وعافاه الله من ذلك المرض ولله المنه . ثم استراح
وخرج بمحلتهم الصيفية من السنة المذكورة لتحرث الاعراب بافريقيته
فعاجلهم قبل التمامهم وخلص مجباه كعادته ورجع الى تونس قبل ابانه
ليلتقي مع عمه لما اتي من الديار الرومية . مستوليا على منصب الباشوية .
فجمع الله شملهما بعد الغربة . وتجدد فرحهما في هذه النوبة . وصامنا بالمحصرة
شهر رمضان . وعيدا عيد الفطر في هناك وامان . وحضر للزينة التي وقعت
في اول شوال من السنة المذكورة وقد سبق ذكرها وخرج قبل تمامها بيوم
وتوجه الى المنستير وقد استنفر اليها جمعا من كل مكان وكانت محلتهم قد
سبقتهم بايام فنزل قريبا منها وحاصرها وقطع ما قدر عليه من زيتونها واشجارها
وفعل بها الفاقة . وكادت ان تكون له عليها الدائرة . ثم وردت عليه الاخبار
بان اخاه في جمع عظيم بازاء جربة فاستدركه قبل ان يعيث في بلد الجريد
فرحل من المنستير وتوجه الى اخيه فقرأ معه ودخل الرمل فبعضه عدة مراحل
خفاته ولم يلق قيدها ورجع الى الجريد فخلص مجباه على العادة ورحل عنها
مويدها منصورا واخذ في رجعتهم على طريق صفاقس فشن غاراته عنها وبعث
الرعب الى اهلها واخذ جماعة من اهل البلد ممن خرج منها الى بسائينهم
على حين غفلة فغفا عنهم ولم يهرق دماءهم وكر راجعا الى وطنه ودخلت
محلتهم الى تونس في آخر صفر سنة تسعين ولم يدخل معها وسار بمن معه
من الاعراب والصبايحية الى ناحية الغرب لانه سمع باخيه رجع الى
تلك البلاد وخرجت طائفتهم السنة المذكورة كعادتهما وامتدت في البلاد
لخلاص مجباها وهو مقيم بعساكرة من ناحية المحدادة لكيلا ياتيهم من قبل اخيه
شيئا واتصلت به الاخبار ان اهل توزر اختلفوا عليه واخوه بنى بها حصارا
منيعا وشحنه بما يحتاج اليه فبعث اليهم مددا مع جماعة من الصبايحية
فقتلتهم خيل اخيه هناك ومات ابن الجنان في تلك البعثة ثم وجه لهم

محنة الشتاء مع خليفته القائد مراد والتقى بجموع لآخيه هنالك ايضا وكانت بينهما واقعات وحروب انتصر القائد مراد فيها ونزل العسكر على البرج المذكور وحاصره اياما وجعلوا متاريس وصادقوهم القتال وحفروا تحته لغما فهدم منه جانبا ودخله العسكر بالسيف وجاءت الاخبار باخذه الى تونس واطلقت البشائر والمكابرون ينكرون ذلك كله ووصل الخبر الى الامجد ابي الحسن فرحل الى الجريد واطلع على البلاد وهدنها وكمل مجباه ورجع الى ناحية المغرب وتن معه من العساكر اول سنة احدى وتسعين واقام قبالة اخيه لئلا يحدث حدثا في البلاد ونما اليه الخبر بان جماعة من الاعراب من اهل افريقية بعثوا الى اخيه فعاقب سن قدر عليه منهم وسلمهم خيلهم واقام بمن معه من العرب ومحنة الترك في ناحية الزوارين وبعث الى محلة الصيف خرجت له قبل اوانها والتقت المحلطان هنالك واشتكى اليه العسكر من قلت ما بايدهم فبعث الى المحصرة يطلب الكتبة الموكلين باعطاء المرتبات فساروا اليه ودفع لهم مرتباتهم في المحلة ونصبت الاسواق في المحلة وجاءت التجار والباعة من كل مكان وصارت عندهم ايام نزهة . وعزم في وجهته هذه ان ينزل بلد الكاف فبعث بالخبر الى تونس بان يرسلوا له المدافع وقرب من الكاف بجموعه ووقعت بينهم مناوشة في الحرب في ايام وذلك اول ربيع الثاني سنة احدى وتسعين والـف وبعد ما خرجت محلة الصيف استنفر الحاكم الذي هو داي العسكر بالامر الشديد وارسلهم الى الكاف نصرة وجاء الخبر الى تونس ان الحرب وقع بين اهل الكاف واصحاب المعظم ابي الحسن يوم الجمعة السادس والعشرين من ربيع الثاني وبلغ الخبر الى تونس ان المعظم ابا الحسن علي باي غزا يوم الاحد سادس ربيع الثاني اخاه وكان قريبا منه فاحتوى على سن كان معه ولم يفلت الا القليل واخذ شين النجع الذي معه وعفا عنه واطلقت البشائر بتونس في السابع عشر منه وقعت الحرب بين اهل الكاف والعسكر وولت الهزيمة على العسكر وجاء الخبر الى تونس وفي الحادي والعشرين منه نادى المنادي في المحصرة سن

اراد مرتبهم يمشي الى الكاف نجدة لمن هناك من العسكر وتوقف المرتب ومنعوا منه وحدد لهم الداي المذكور ان لا رجوع إلا لمن بيده تذكرة بطابع الباي علي فخرجت الناس ارسالا وكان القتال بين اهل الكاف والعسكر عدة ايام ورحلوا عنه تاسع جمادى الاولى من السنة بعد القتال والحصار الشديد . وفي الثاني والعشرين من الشهر المذكور جاءت الرسل الى تونس من قبل اهل الجزائر لتقصد الصلح بعد ما التقوا مع الباي فارسلهم الى تونس فلم يقع بينهم اتفاق وقابلهم الداي بكلام حسن . وفي هذه الايام صودر اهل المرتبات الذين تربصوا عن المسير الى الكاف فمنعوا من مرتباتهم لقلته استماعتهم . وفي اول رجب من السنة المذكورة خرج الباشا مغاضبا للعسكر ومكث اياما في منارة مرناق . ثم توجه الى الساحل وتعاطى خراجها ثم سار الى القيروان واجتمعت اليه اولاد سعيد وغيرهم فكان في جمع عظيم وذلك ان اولاد سعيد اهل نفاق وشقاق جبلوا على خبث الطبيعة صاغرا عن كابر وكانوا في زمن المرحوم برجة الله محمد باشا في الحضيض الاوهد حتى ان الرجل منهم يتسبب لليهودية . ولا يتسبب الى السعيدية . ولم تنقم لهم قائمة مدة حياته . وكذلك في ايام ولده من بعده الى ان قدر الله تعالى بما سبق في علمه من اثار الفتن كبرت شوكتهم ومالوا الى باي الوقت فجابروهم ورفع منارهم فاحلهم البلاد . واطلق ايديهم فاكثروا فيها الفساد . وعاثوا كيف شاءوا وقطعوا الطريق ومنعوا الرفيق حتى صاروا لا يسلك احد في طريق إلا ومعه منهم خبير وقاسموا اهل البلاد في غلاتهم واخذوا ما قدروا عليه ولم يقدر احد ان يقابلهم بشيء وتحكموا في غالب الاقليم وفعلوا ما لم تفعله الكفرة بالمسلمين والباي مع ذلك معرض عنهم ويلطفهم وبعض احيان يعنفهم ومع ذلك يزيد شرهم في كل يوم . فلما ثبت عنده خبث طويتهم تربص بهم الدوائر والغاهم وصاروا يلتفت اليهم . فظنوا انه لا قدرة له عليهم . وان ذلك عجز منه عنهم فاعتدوا وتمردوا وصاروا لا يلتقون به إلا ارسالا خيفة منه الى ان قدر الله تعالى بهلاكهم . فلما توجه الى الكاف كما قدمنا بعث

اليهم يستجددهم فتناقلوا عنه ولم يعبوا به وتفرقوا في الوطن فمنهم من ذهب الى الساحل وعاش فيه ومنهم من اقام بوطن الجزيرة بازاء بلد سليمان ف وقعت بينهم وبين اهل البلد منازعة فاقتتلوا ومات ابن الكراي هنالك لا رحمه الله فاشتدت حياشهم وضايقوا بالبلد وقتلوا من اهلها واشرفوا على اخذها وحدثتهم امانتهم الفاسدة بان بعثوا للداي ان يبعث لهم نجدة من عسكر زواوة للاعانة على سليمان ومشت رسلهم للباي فمناهم بمرادهم وخادعهم ووعدهم باخذ الدية فزاد طمعهم لعنهم الله فضايقوا على اهل سليمان فاخرج الداي نجدة من العسكر لاهل سليمان في السابع عشر من ربيع الثاني وخرج مع العسكر خلق كثير لتعصد جهادهم لان ضررهم اشد من ضرر النصاري فلما وصلهم الخبر بذلك رحلوا عن سليمان وجاءتهم الاخبار ان الباي عازم عليهم فانكسرت شوكتهم وتوجهوا الى الساحل وثبت عندهم انهم ان وقعوا في يده لا يترك منهم احدا فلما طلوا بمغاضبة الباشا مالوا اليه وطبعوا فيما لديهم فارضاهم وساروا معه الى القيروان واجتمع اليهم من يقول بقولهم الى ان كان منهم ما سذكرك ان شاء الله تعالى . ولما وصل الخبر الى الباي لطف الله به بسان العرب مجتمعون على عمه واخيه وان الحرب اضمرت فارها وتقوى شرارها بعث الى المحضرة فعينوا له عسكرا وارتحل بزمولته ومن معه الى القيروان فالتقى بهم ووفعت الحرب بينهم ساعة من نهار فانهزم ذلك الجمع وهربت اولاد سعيد الى ناحية المنستير ودخل الباشا الى القيروان وقيل ان ذلك الجمع كان يقرب من عشرة آلاف فارس واما الرجالة فلا تعد ولا تحصى ولا يعلم عددهم الا الله تعالى وصرفت فيهم اموال جزيلة وكانت هذه الواقعة في العشر الاخيرة من شعبان سنة احدى وتسعين والـ الف . والله هو يد بمصره من يشاء . ورحل ابو الحسن علي باي من القيروان ونزل قريبا من المنستير وقد تخصص بها اخوه واولاد سعيد وضايقهم بها الى ان فنيت غالب ابلهم ولم يجدوا الى اين يكون ذهابهم ولما طال بهم الحصار وضائق خناقهم من شدة المحاصرة رجعوا الى خداعهم وبعثوا جماعة يظلمون من الباي ان

يرحل عنهم يسيرا لكي يخرجوا له وينزلوا على حكمه ان شاء خدمهم واستراحهم وزعموا انهم مغلوبون من اخيه وان اظهروا الخروج على رضى منهم يعاقبهم ولم يخف عنه مكرهم فرحل عنهم ونزل قريبا من سوسة واصل رحيله مما ضاقت البلاد على الجموع التي معه لانه كان في امم لا تحصى ، فاقام هنالك بقية رمضان وارسل الى تونس لجماعة من فضلائها وذكر اسماءهم ان يتوجهوا اليه لقصد ان يرسلهم الى عمه للصلح بينهما فساروا اليه وحدثهم بمراة وسمعت بعضهم يقول لله درة يعني الباي المذكور ما اجود ذهنه وميا اقوى فراسته وماذا عنده من حسن السياسة وانه ليقول قولوا كذا واذا قال كذا اجيبوا بكذا حتى كانه مطلع على ما يختلج في الضمائر وهذا من اصابته في التدبير . ثم بعث باناس دون اناس بشح بهم واظهر انه خلاف عليهم من ان يعترضهم احد في طريقهم بمكره ولم يتم له ذلك ، وفي اقامته هنالك بعث اهل صفاقس له وطلبوا الامان منه وان يسلموا له مقاليدهم فاجابهم الى ما طلبوه وبعث معهم جماعة من اصحابه فسلموا البلد وهرب سن كان بها من قبل اخيه وكفاه الله شرهم وعافاه من اهراق دمهم ، وجاءت الاخبار الى تونس وامتنع الداي ان يطلق المدافع كما جرت به العادة لانه لم ياتهم كتاب من عند الباي واكثر المرجفون كعادتهم بالكابرة ثم بعد ايام جاءت اوامره وصح الخبر فاطلقت البشائر عند ذلك ورحل بعد العيد متوجها الى القيروان فغلقوا الابواب ولم يخرج اليه احد فلم يتعرض لهم ونزل تحت جبل وسالات . وفي خامس شوال جاءت رسل الجزائريين الى تونس مرة ثانية واظهروا انهم لم يكن لهم ارب الا الصلح بين الاخوين وذاع في البلد ان قصدهم غير ما قالوه وكثرت بين الناس الاقوال وذلك انهم نزلوا اولاً عند الحدادة المعلومه ثم جاء الخبر انهم دخلوا في الوطن وتسامعت اهل الحضرة فكرهوا ذلك وبعض المفسدين احبوه وبعث الداي الى اشياخ البلد واستخبرهم على ما في ضمائرهم فقالوا له نحن ندافع عن انفسنا واولادنا ولم نرض بغير عسكرنا فشكرهم على قواهم وطلب من اهل باب السويقة ان يعطوه

اناسا يكونون عنده رهنا فاجابوه ولكن سلم الله ولو كانوا فعلوا ذلك لم يغن شيئا . وجاءت الاخبار ان الباشا خرج من القيروان ولحق باهل الجزائر ودخل بهم الوطن واباحهم ان ياخذوا ما يحتاجون اليه من الروابط . وجاءت الاخبار انهم بعثوا جماعة منهم الى الكاف لاختذ المئونة وانهم ارادوا الدخول الى الحصار وان يفتكوا بمن فيه فمنعهم كافل الحصار وقتكوا باهل البلد واطهروا فيها الفساد . وقد تقوى طمعهم في اخذ الكاف ومشت رسلمهم الى الباى وهو في منزله السابق فاجابهم بما رضى به نفوسهم وقال لهم انا قاصد اليكم ورحل واخذهم معه كل ذلك والاخبار متواترة في الحضرة بكل ارجاف فمن مكثر ومقل ولكل امرء ما نوى . ولولا ما سبق في علمه تعالى من جيل اللطف بعبادة لدهمت اهل هذه البلد امور مدهشة ويقاسون من الالم حتى يقول المار بها للقاطن تغيير اسم بلدك عن المونسة بل انما هي الموحشة . ولما زاد الكرب بالناس . تداركهم الله بالفرج ولكن على غير قياس . لان الاخبار التي تصل اليينا عن حصانة الكاف شيء يحير العقل في توهمه وانه جاء قصته في حلق البلاد . وكاد ان يكون عمالة مستقلة ولا اقول كاد . ومن الناس من يقول يعجز عنه جميع العسكريين . وهو كالحاجز بين الوطنيين . فكانوا يرون انه اذا طال امرة تكثر الفتن . ويخرب الوطن . والله تعالى لطيف بعبادة . والامور جارية بحسب مرادة . وفي الحادي والعشرين من شوال من سنة احدى وتسعين جاءت الاخبار من الكاف ومكاتب للداي من عند المحاكم فيه يطلب العفو وبذل الطاعة فاطلقت المدافع تلك الساعة وكان يوما مشهودا يعد من الايام العظام وفشا في الناس الفرح وامنوا ذلك اليوم على دمايتهم واموالهم واولادهم . وفي الثالث والعشرين منه جاءت الاوامر من عند الباى بذلك فصدق غالب الناس الا قليلا منهم . وجاءت الاخبار بعد ذلك ان اهل الجزائر قهقروا الى خلفهم لما سمعوا بالخبر وكان زعمهم انهم يتحكمون عليه واذا حصل في ايديهم صار لهم الوطن كله ووردت الاخبار ان الهمام ابا الحسن علي باي توجه الى الزوارين وبعث عامله وجماعته

معه الى الكافي ولم يصل جوالية وهذا من الغرائب . ووزانته العثل وثبات
الجماش والراي الصائب . فكانه لم يكن له به اهتمام ولا قصده ونازله
هذا العام وذلك العام والله انه لمن الدهاة . وسن له الاصلية في الراي
والثبات . فالحمد لله الذي يسر له هذا الفتح الغريب . في الزمن القريب .
ولولا غارة الله حفت به في جميع المواطن لما جاءه النصر . والعناية الربانية
تغنيه في مواطنه كلها ولو دهمه اهل العصر . ولم تنزل الاخبار في كل يوم
تتواتر الى سابع ذي القعدة جاء الخبر ان الباشا والباي اصطالحا ولم تات
المكاتيب من عند احد . وبعد خمسة ايام جاءت الاوامر مخبرة بما وقع
وقرئت في الديوان وسرت الناس . ومن الغد جاءت بلوكباشية بالخبر
ايضا واطلقت المدافع واخبروا بان الصلح وقع بينهم على التمام بما رضيت
به نفوسهم بوقاء وامان . وقيل لمن اراد الدخول بينهم بالفتن - قضى الامر
الذي فيه تستثيان . ولكن لم يحط احد بما وقع بينهم . وانما هم اهل بيت
جعوا امرهم بينهم وذهب عنهم ان شاء الله ترحمهم وبينهم . وكانت اولاد
سعيد التخت باهل الجزائر . وساعدتهم عدد من المفسدين من القبائل
والعشائر . وكادت ان تقوم الحرب بين الفريقين . وان تكون لها رجة تهز
الانقلين . ومن الناس من يقول انما جاءوا للصلح بين الاخوين . ومن قائل
يقول انما ارادوا حسم المادة من شر الاعراب . وانهم ان لم يتداركوا هذا الامر
يوشك ان يدخل عليهم الفتن من غير الباب . ومن الناس من يقول ادركتهم
حجة عن ابناء جنسهم وانفة . وبعضهم يقول لامر ما جدع قصيرانفه . والله
اعلم بحقائق الامور . وما تخفيه الصدور . وعلى كل حال فالله جعل لكل شيء
سببا والسر الخفي الذي جعل الصلح على يد سردار الجزائر واسمه حسن
فكان هذا الاسم رزق السعادة من بركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم
لما قال لولده الحسن عسى الله ان يجمع بولدي هذا بين فئتين عظيمتين
فظهرت الاجابة في ولده في الزمن السابق وبقيت البركة في هذا الاسم
فكان هو السبب في التمام الكلمة حتى صلح الله حال هذه الامة وتدارك

بلطفه احوال العباد . وقام سوق الامن بعد الخوف في جميع البلاد . وحدث
نار الحرب بعد اضرامها . وبلغت كل نفس منيتها وفازت بمرامها . ولكن بعد
ما بلغت النفوس التراق . واتصلت الحرب بالحرب خمسة اعوام متتابعة
حتى قيل هي من راق . وكثرت العداوة بين اليايدي والحاضر وطن كل احد
اين الفراق . وكم سبقت من نفوس الى حتفها في غدة ايام والى ربك يومئذ
المساق . وما قصر كل من الاخوين في طلبه لثارة . وقاوم كل واحد منهما
صاحبه في المحاربة ورمى بنفسه في الحرب واصطلى بناره . فكم تلفت
من نفوس . وقطعت من رءوس . وكم انفقوا من الاموال . وكم اتلفت من
رجال واي رجال . وسحبت بين الاثنين اقوام بالنفوس وبالاموال النفائس .
وسمعت عن حروبهما اهل المشرق والمغرب ما لم يسمع عن حروب الغبراء
والداحس . ومما منهما الا سن خضاطر بنفسه في بمقارعة الابطال ومنازلة
الفرسان . وادار رحي الحرب وعيشت في وجهه الاسود عند اللقاء حتى قيل
هذه حرب عيس وصبيان . ولم ينفك احد منهما من حرب الى حرب . وكم
وقع في صدور الفرسان بالرمح والسيف من طعن ومن ضرب . واطلمت
الافاق وقت النزال وارتفع القتام . وطلعت اسنة الرماح في سماء الهيجاء
مطالع النجوم ولاح برق الصوارم فارتفع الظلام . فالحمد لله على ذهاب هذه
الغمة . وتجديد الالفية بعد القيطعة باللفظ من الله والرجة . وانما شاع
بين الناس ما وقع من الاتفاق واتصل الخبر بالداني والقاصي وتمشيت
الاخبار في الافاق استبشر الناس وكثرت الخيرات ورخصت الاسعار ورفع
الله القطن . فتنعموا نعيم اهل الجنة وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن .
وانصل الخبر اليها انهما التقيا ساعة من نهار . وسلم كل واحد لصاحبه ما طلبه
الاخر بالرضا والاختيار . ومن هنالك توجه ابو عبيد الله محمد باي الى مدينة
القيروان وبقي ابو الحسن علي باي حتى اخذ بخواطر اهل الجزائر ورجعوا الى
اوطانهم واخذ يستجلب خواطر اولاد سعيد ويمكرهم . ورحل بهم اتباعا لم
يصلوا الى وطنهم وفي ضمائرهم نار تلتظي من فعالهم الخبيثة . واراد ان يجعل

لهم سمعة تنفي عن اخبارهم القديمة والحديثة . ونزل بهم في الشخص على طمانينة واراد ان يستاصلهم على بكرة ابيهم فغزاهم بليل . بمن معه من خيل ورجل فسبق الخبر اليهم وانذرهم بعض اخوانهم من المفسدين . واجاط بهم عند الصباح ونزل بساحتهم فساء صباح المنذرين . فانزل الله الرعب في قلوبهم واخذوا اخذة رابية . وتبدد شملهم ونهبت اموالهم فهل ترى لهم من باقية . وسبيت نساوهم وبيعت اولادهم وحاقي بهم مكرهم . وحل بهم من الهوان في السبي ما لا راحة اباوهم . ووصل الخبر الى تونس يوم الاحد الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة احدى وتسعين والفت فاطلقت البشائر في الحضرة وفرح الناس باخذهم كما يفرحون باخذ الكفرة ولما اكثرهم الى الاماكن التي تمنعهم من مساكن المرابطين . وقضي الامر وقيل بعدا للقوم الظالمين . ولم ينج من شياطينهم الا من دخل تحت ثوب الغلس . او من اخذ في رقعة ومنع بالنفس والفرس . عسى الله ان يقطع دابرهم من الارض . ويسلط من بقي منهم بعضهم على بعض . ولما كمل الله لهذا الامير بالتأييد والنصر . وصار ذكرا خيرا لرواة اهل العصر . رحل من مكانه وتوجه الى الجريد كعادته ونزل قريبا من القيروان واتفقت له امور اضربنا عنها وتوجه من هنالك الى قابس . وبعث حلقته السلطانية كعادتها ونزل قريبا من جزيرة جربة فصالح اهلها واخذ في تمهيد من هنالك من رعيته وسار فيهم برفق وعاملهم بما في نفوسهم ونزل بازاء الجبل لتسكين الفتنة التي وقعت به وهدن نفوس اهلهم ورجع الى بقيته ما له من المجايي في بلاد الجريد . ورجع الى حبيرتهم سالما غانما كما يريد . فلما قرب من القيروان خرج اليه اخوه لقصد السلام فعانق بعضهما بعضا ورقمت نفوس الناس عند النظر اليهما وافترقا ورجع كل واحد الى مكانه . وعزة وسلطانه . وقال لسان حالهما هذه كرامته صرفها الله الينا . وتلا قوله تعالى انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا . ورضي كل واحد منهما على ما اتفقا عليه . وتحكم في عمالته واطلاق ما شاء من يديه . فالحمد لله على هذه النعمة وذهاب التحوس عن اهل الحضرة

وانصلاح احوال البلد واتى الله بالرحمة وانفرد ابو الحسن علي باي بتدبير
المحال السلطانية . وتصرفت احكامه في اهل الحضرة والرعية . ونفذت
وامره في الاقليم كما يشاء . قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء .
ورجع الى مستقرة وامنه واموره جارية على الطريق المستقيم . ذلك الفضل
من الله والله ذو الفضل العظيم . وكانت غيبته هذه ثلثين شهرا ووصل الى
مستقر عزة يوم الثلاثاء ثالث ربيع الثاني سنة اثنتين وتسعين والف -

والقت عصاها واستقر بها النوى . كما قر عينا بالاياب المسافر
وكان قبل وصوله بلغه الخبر بالواقعة التي كانت من قبل العسكر لما طالبوا
الداي بارزاقهم وكادت ان تكون فتنة في المدينة وغلقت الاسواق ومدوا
السننهم وايديهم وقد مر سبب ذلك عند ذكر الداوي المذكور واضرمت نار
الفتنة لولا تداركهم الله بمجيئه فهدن العسكر ولاطفهم وساسهم برايه واخذ
نارهم وهذا من بعض لطف الله الخفي ونزل بمستقر عزة بباردو ولم يدخل
الى الحضرة . وفي اول جمادى الاولى من السنة ابتدا في اصلاح الوليمة
التي ختن فيها اخاه وابن عمه واراد ان يجعلها مختصرة فجاءت على وفق
المراد واظهر فيها همته العلية والرتبة الملوكية -

واذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرامها الاجسام
واحتفل كعادة ابائهم وهرعت الناس الى التنزه والفرج . وفتح الباب لهذه
الوليمة فدخل لها الناس من باب الفرج والفرج . ونصبت آلات السماع
عربية واعجمية وصنائع المشعوزين . ومدت اسمطة الطعام للاكلين . والمحلاوات
والفواكه بالليل للمتزهين . وكانت تعد من الاعمار ولا ينكر هذه الفعال لمن
امده الله بعنايته لانه وعاباؤه واهل بيته كلهم ذروا شان . وبر واحسان . وهذا
بنيانه في المعالي كبنيانهم . وبحرة الزاخر في المكرمات اجتمع من خاجانهم -

ويحرك من جاءه يا علي . لم يقبل الدر الا كبارا
وحيث اتينا بهذه النبذة واكتفينا منها باليسير فانها نقطة من بحر . وغرفة
من نهر . وربما اعرب اليسير عن الكثير . ولو تتبعنا جملة اخباره مفصلة لصاق

بنا المجال . وعجز القلم في ميدان الطرس وما جال . وكيف تلخص اخبار سن رقي الى الرتب العلية بسيفه وجده . واحتوى على مفاخر واضافها الى مفاخر ابيه وجده . كم هزم من صفوف وكم انفق من الوف . وكم من غارات اثارها . وكم من حرب اخذ ناراها . وكم باشر بنفسه من حروب . وكم هيجاء باشرته بوجه قطوب . وصبر في ساعة الحرب والنزال . والقي بروحه الى لقاء الابطال . وصارت لوقائع سيرة اغنت عن سيرة البطال . وان قالوا عنبرة الفرسان . قلنا لهم هذا عنبرة هذا الزمان -

خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به . في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل . وان قدمت في اول الكتاب اخبار سن سبقه من الملوك . فاني جعلته مسك ختامهم ونظمت جواهر فعاله كنظم جواهر السلوك . لانه حاكم زماننا . والمتصرف في اوطاننا . والماسك لازمة عناننا . الهمة الله الى طريق الخير والسداد . وجعل الرحمة والرافة في قلبه لصالح البلاد . وخلص عمله الصالح الى يوم التناد . ولما طلع هذا البدر في سماء هذا المجموع . ثبت ان لا بد للكواكب من الطلوع . ولا بد للبدر من هالته . ويراها الراعي على تلك الحالة . وهذا الامير هو بدر الدولة اذا حل بموكبه . والهالته اصحابه ومواليه الخافون به . فمن الروساء القائمين باصلاح دولته . والمساعدين له في قومه . وقعدته . والباذلين نفوسهم مفداة لنفسه . والصارفين همهم في يومه واسمه . فمنهم المقننى برايه الصائب وعقله الثاقب . المشير والمستشير عند مقارعة الكنائس . اعجمي الاصل وعربي التربية واللسان الفارس النجيب محمد بن الحسن . وهو من اقرب احبابه وانصح اصحابه متخلق في لباسه وفي مواعده باخلاق العرب . ومحافظ على اصلاح الدولة بحسن الادب . تشهد العرب بذكاء عقله . وبمنازلة الحروب كابيه من قبله . فهو عمدة وعدة . ويلجأ لرايه في كل شدة . وله لطف الله به اولاد يضرب بهم المثل . والشبل من الاسد ومن البطل البطل * ومنهم سن يستخلفه في سفرة . ولا يستغني عنه في حضرة . يقوم مقامه في محلاته اذا غاب . واذا حضر لازم

خدمته وسد الباب . مولاة وثرية نعمة . القائد مراد بن عبد الله رزقه
الله تعالى رضا . ورعى سيدة ومولاة . وهو من تحبه الرعية لرفقه . وحسن
خلقه . وفيه لطافة ولين . وجانب حنين * ومن مواليه من يعتمد
عليه في الحاضرة بأسراره . والمطلع على مكائبه الواردة باخباره . الواقف
مند باب الروساء وباب داره . القائد مراد أيضا ابن عبد الله من رجال دولة
استاذة محافظ على الطاعة . وملازم للجماعة . وفيه تدين ومحبة للفقراء
وأهل الصلاح . ولم يشارك في علم القوم يرجى له ببركتهم النجاح . هولا
أكبر مواليه . وأقرب من يليه * ومنهم الفارس . والبطل الممارس . المعتمد
عليه في لقاء الأعداء . الملازم لصهوات الخيل ولوطال المدا . الصابر على
الغمرات إذا لقيت الخروب . والثابت الجنان إذا وجلت القلوب . القائد
مصطفى سنيول . وغير هؤلاء كثير لا يحضرني ذكرهم * ومن ذوي البراعة
والبراعة والآداب . جماعة من الكتاب . أكبرهم وأكرمهم نفسا الفقيه الأكمل
النبية . كاتب جده من قبل وكاتب أبيه . المتصرف في حسابات البلاد .
وهو في هذا الفن وأصابة الرأي وتد من الأوتاد . صاحب الخط العجيب .
والرأي المصيب . الزاهد في الدنيا وجودها عنده كالعدم . الوزير الأعظم .
والفقيه الأفخم . والدستور الأكرم . صاحب العلم والقلم . ومنصف المظلوم
ممن ظلم . جلال الإسلام والمسلمين . وأجل الوزراء في العالمين . مهدي الله
تعالى به المملكة وشده أزرها . ووصل أسباب الدولة وأعلى قدرها . كيف لا
وهو صاحب تدبيرها . والقائم بصلاح أمورها . والكافل أمر صغيرها وكبيرها .
من هو في الأرض ظل الرحمان . والأمين بالعدل والاحسان . راجي غفران
ربه الكريم . القاري ابن القاري أحمد سليم . برد الله تعالى صريحه .
واسكنهم من محبوبته الجنان فسيحة . آمين * ومنهم أي من الكتاب
من شهد له في ذلك بالفصيلة والشرف . الفقيه عبد الرحمان بن أبي
القاسم بن خلف . من ذرية أولياء يرجى له بركة جده ورثها خلف عن
سلف . وفيه حشمة ووقار . وتلاوة لكتاب الله ومحافظته للأثر . سدد الله

حاله . وجعل للصالحات مآله * ومن الكتاب المعتمد عليهم في حسن الخطاب . والخط المتصرف في فنون الاداب . الفقيه ابو عبد الله محمد عرف دحلاب . وكان قليل الاعتراف بالدنيا * هولاء من مشاهير الكتبة . سلمهم الله من كل نكبة . وغيرهم كثيرون . وما ذكرت هولاء الخدام إلا بيانا لشرف المخدم . ولكي لا يظن الناظر في هذه الاوراق ان هذه الدولة سدى . فلماذا اظهرت لهم علما ليكون لمن امه هدى * ومن مشاهير الكتبة الفقيه الاورع المودب الكاتب البليغ صاحب الخط البديع الذي يضرب به المثل كابن مقلته وياقوت المعتمدين وانظارهما الفقيه محمد صدام عرف اليميني * ومنهم الكاتب المشفق ابو محفوظ محرز بن خلف حفيد الفقيه عبد الرحمان السابق الذكر * ومنهم الكاتب الفقيه محمد فارس وله في علم الميقات ملكة وفيه نية وبلاهة وكانت بيني وبينه مطارحة في الشعر الماحون . وغير هولاء كثيرون . وانما تعرف كل دولة برجالها . وتنصلح امور الملك باصلاح بطانته اذا اراد الله اصلاح حالها . وهذه الدولة ان شاء الله تعالى حفت بالسعود . واحيي بها الفرح في القصور المشيدة من باردو واخذ السعد في الصعود . والايام ترفل في حلق شبابها كما يرفل صاحبها في شبابها . والنصر والظفر مصاحب له في ذهابه واياها . ولما طلع نور هذا البدر في سماء تلك القصور . وتزينت تلك المنازة والقباب واحتفلت لفرح الطهور . وسمعت الناس اصوات الثالث والثاني . وطربت النفوس لما ترنمت الحان المغاني فكنت ممن شاقه الطرب . وساقه الادب . فنظمت قصيدة واشرت فيها الى هذا الهنا . فان اصبحت فبسعادة الممدوح وان لم اصب فمن انا . والله تعالى يديم عزة وجناحه العلي . ويجعله كهفا للمتجشئين اليه ولن يستغيث ولن يخيب من لجأ الى حياه وقال يا علي . وهذه القصيدة الموعود بها -

اتاك هناء بالختان مشاب وطالع سعد مقبل وشباب
اقامك فوق النيرين فمن يوم صعودا لمراقه رماه شهاب

فلا تخش كيدا من عدو فانه
علوت على دست الرياسة يا علي
تباشرت الدنيا ببشرك في العلا
وجددت بالدار الجديدة موسما
وبالقبة الحمراء عيشك يانع
منازل افراح لديك تجددت
حللت بها كالبدر بين كواكب
مفاخر عن جد بمجد وعن اب
وبابك مفتوح لقصد مكارم
تهنا بهذا العز والدهر طيسع
لك الله ما ابهى وابهر سوددا
وان كنت في سن الشبيبة فالعدا
وانك ببحر المكرمات لمن يرد
من يرتجي عفوا لديك يناله
اذا ما بدا بدر جالك طالعا
تروق فان الرفق منك سجية
تروح ابطالا وثاس حائفاسا
قباسك للأسد العرين مزوع
فكم من اعاد عن لقاءك تحيروا
وان غرقوا في بحر باسك فلتكن
وان جئت الايام منك فانها
فلا تبش من كيد فائسا
ولا زلت عن رتب السيادة والعلی
وعمرک في عز وربك عطا
وذكرک ما بين المحافل ذائع
وحقك من سهم القضاء مصاب
فطتها كما تبغي فانت مثاب
فكم كبد للحاسدين تذاب
سما عن بني حفص حضرت وغابوا
يروقك منها سائغ وشراب
تشرف منها منزلة وقباب
ونورك باد ما علاه صباب
ورائت مجد ليس ذاك عجاب
وقد سد عن نيل المكارم بصاب
لديك وهاتيك الحواسد خابوا
لغيوت عتدي لا تشد ركاب
وحقك من صولات باسك شابوا
وغيرك فيه بلقع وشراب
وللضد يا نجل الكرام عذاب
تمد الى ذاك الجمال رقاب
وانك ما تدعو اليهم بجباب
وانك في ذي الخاتين مهاب
ولو مد ظفر من سطاء ونساب
وصاقت عليهم بيده ورحاب
فكان عليهم ما عليك عتاب
انايت والجانبي لديك متاب
عليك من المولى الرعوف حجاب
ورايتك في كل الامور صواب
وربع اعاديك البغاة خراب
يعنى به لا زينب ورباب

فخذ من ثنائي ما استطعت فانه بجهد مثل قد جفاه صحاب
اقلد در المدح جيدك والثنا كما الدر في جيد الملاح سخاب
فانت محل المدح ان جاء مادح وكل الذي فوق التراب تراب
ولما ذكرت هذه القصيدة واثبتها في هذا المحل وجب علي ان اثبت
القصيدة التي مدحتهم بها يوم لبس الخلعة السلطانية ، وخرج تحت السناجق
الملوكية . وكان يوما من اعجب الايام . وطلع بين الصفيين كالبدور من تحت
الغمام . فقلت فيه -

بدر السما ام نور وجهك يزهر لما خطررت بحلته تتبختسر
هي خلعة خلعت قلوب حواسد لكن بها احبابكم تستبشر
فاتعجب لها من خلعة ديباجها يسبي العقول ونور وجهك انور
خلل الجمال مع الجلال وزدتها عن حسنهما وجمال حسنك ابهر
ما عاين الرائون حسنك باديا الا وحقك هللوا او كسبروا
تحت السناجق قد بدا لالاوه نور على علم ووصفك اشهر
يوم لبست المجد كان ثناءه بين الخلائق في المحافل يذكر
ما البدر في افق السماء ونوره بادي السناء فنور وجهك ابدر
قاسوك بالشمس المنيرة يا علي بين الكواكب في العلا تتبخر
لله سر في علاك وانسه يا كامل الاوصاف سر مظهر
ورائت نعمانا بخدك مشرقا لي من بها تلك الشقائق منذر
وجه الغزاة والغزال والحظه تحت البيارق فيرانك قسور
ولقد رقيت من المعالي رتبة الوصف بين الناس منها يقصو
واستبشرت افاق تونس مذ بدا سعد السعد على المنازل يقمر
جر السحاب الذيل عن ارجائها والرعد زمزم والحياء مستطر
من كان مثلك في الرئاسة معرقا لا عيب فيه اذ يقول ويفخر
الناس من ماء وطين اصلهم فاعجب لذلك واصل بجدك منبر
من جود الحال الزكي فلم يخيب نسلا ومثلك بالرئاسة اجدر

يا عال بيت شاد حسن صنيعكم وروى ثناكم في البلاد المخبر
 الدهر منقاد لكم ما تامسروا طوعا لديكم اوردوا او قصسروا
 طاب الزمان بكم وزان بفعلكم كرمتم او اخركم وطاب العنصر
 من قال تاثير الكواكب في الوري فالفعل منكم في النجوم يوشر
 المجد مجدكم وعبد ركابكم مهمسا فعلتم قللوا او كثرنا
 عش يا علي في هنا مستقبيل لا تختشي من دهرنا ما يحذر
 طر الشا يروي عليك ولم يكن يوفي بحقك ان فخرتك اعطر
 الله اولاك البلاد فلم تنزل تنهي بما ترضى النفوس وتامر
 وهذه القصيدة لم تعرض على سمعه الكريم واثبتها هنا اضافة الى مالي
 فيه وعسى ان تثبت غيرها فيما يستقبل وتقدمت لي قصيدة اخرى
 وهي من القصائد التي عرضت على سمعه ومحالها تقدم ولكن نضمها الى
 احبابها وهي هذه -

وثقت بنصر الله ثم لك النصر وعند احتباك العسر جاملك اليسر
 علي عاوت الناس قدرا ورفعته تساعدك الدنيا ويخدمك الدهر
 فجدك منصور وانت موييد وربك فعال وقد قضي الامر
 وان مكر الاعداء بسوء فعالهم فصاحب مكر السوء حل به المكر
 وما عذرهم والعفو منك سجيبة اكان نهار الكاف في غدرهم عذر
 اما يروا في يوم وسلات ما جرى على صخرة لو كان يستخير الصخر
 وجر سبيب في سبيبة قتادهم الى اسرهم والعفو من به الجر
 وقد غرست اوراقهم بعروسة وبعد عروس لا يكون لهم عطر
 لك الله كم تغفوقبيح فعالهم وليس لهم عما مننت به شكر
 علي ابا الهيجاء تنحو لنحوهم خروبا فلا زيد هناك ولا عمرو
 فلا سيف الا ما هزرت ولا فتى سواك لها يرجى اذا صعب الامر
 ويوم التقى الصفان يوم مجمل فاوله حشر وءاخرة نشر
 بعثت لهم بالرعب كل كتيبة ظيورا تؤم الحرب يقدمهم مقرر

وجيش خيس بالكفاءة ثمـده على صافنات من جيات سوابق
 على صافنات من جيات سوابق قوادمها شهب لواحقها شقـر
 راوا عجباً ما يذهل العقل دونـه وان كان جل القوم ليس لهم حجر
 سماء قتام والنجوم اسـننته بوارقها برق اهلتها البشـر
 فولوا حيارى والمنايا ثوابـع تمر بهم زحفا وقد قصر العمر
 وقد وردوا حوض الردا بصدودهم مذاقته هم ومطعمه مـر
 كتبت بهندي خطوطا واعجمت بخطيها والنقط يقبله السطر
 فاعسوا سكارى من كئوس منية منقعة في السم نكهتها الخمر
 فمالت على الاقدام منهم رغوهم ولا عجب للراس مال به السكر
 وكم هارب تحت الظلام بروحه وعـاخر ملقى في جوارحه بشـر
 واظلمت الافاق عنهم فلم يبن الى احد من عظم روضه قطر
 يود ظلام الليل مد رواقـه وظل على الافاق ليس له فجر
 وفرق بين الهام والجسد الذي تكنفها رمي وفارقه الشـر
 وان بكت الخنساء عن فقد صخرها زمانا فعنهم ناحبا كم بكى الصخر
 تقاسمت الافعال منك ومنهم فمـنك لهم روع ومنهم لك العمر
 وكم نظموا كيدا فلم يغن منهم اذا كنت ممن شأنه النظم والنـر
 علي هيام زاده الله رفعـته امام مقامها في علاه سرى البـدر
 امير جيوش العزقي دولة الهـا وبلي بلاد الغرب واتضح الامر
 تراه اذا ما جئته في مهمـته يلوح على مرعى محاسنه البـشـر
 عليه من الرجان كل تحيـة تمد باعوام ويتبعها الدهـر
 ولا زال اهلا للمحامد والشـا وفيه وفي عليه ينتظم الشـر
 وهي قصيدة طويلة ولكن اقتصرنا على بعضها . ولما قضى الله تعالى ويسر
 بالسعادة عرضت على مسامعه ما امليت من بعض محاسنه ومحاسن ابيه
 وجده ولم يكن لي فضل فيما جمعته إلا اني التقطت الجواهر من بحرهم .
 ونظمته في سلك الاماجد الذين من قبلهم . وان كان لهم التقدم بالسابقة

فان في الخمر معنى ليس في العنب وان كنت ممن ليس له يد بهذه الصناعة . واتييت الى سوق فضله بهذه المزجاة من البضاعة . فقبلها وقابلها بقبول حسن . جعله الله في بركات سميده ابي الحسن . فغمرني بفضله واحسانه . واجازني جائزتين بيده ولسانه . وما عسى ان اقول في سن الهمة الله لتدبير الرعايا . واجرى على يديه الاحكام والعطايا . اصلح الله حاله في دنياه وءآخريته . وءاتاه كفالين من رحته . ولما عزم ركابه الشريف على التوجه بالمحلة كعادته ابتدا بزيارة الزوايا للتبرك كعادة ابيه وجده . فزار الشيخ سيدي محرز بن خلف والشيخ سيدي ابا القاسم الجليزي والسيدة عائشة المنوبية وطلع لجبل الجلاز وصعد لمقام الشيخ سيدي ابي الحسن الشاذلي على اقدامه تقبل الله سعيه وزار عدة اماكن اخر واحسن الى اهلها وبعث لعدة مشائخ بالاحسان . ثم رجع الى منزله بباردو واول جمعة من رجب الاصح دخل الى تونس وزار الشيخ سيدي احمد بن عروس وصلى الجمعة بالجامع الاعظم وعند انفصاله خرج الى زيارة والده وتناولت الاعناق لرويته فادى حق الزيارة ودخل الى دار سكنى ابيه وجده وجاءه حاكم الوقت الى مكانه فقضى حقه بالتسليم ثم عاد الى منزله بباردو ويوم الاحد ثالث رجب توجه الى القنطرة واقام بها ثلثا ومن هناك سافر الى عمله اعاده الله سالما . وحيث ذكرت القنطرة وجب ان نذكر بعض بحاسنها لانها من المتنزهات الغربية في الاقليم الافريقي . وهذه القنطرة من بناء جده الامام المرحوم برجة الله تعالى صاحب الخيرات والصدقات ابي المحاسن يوسف داي رحمه الله بناها من ماله احتسابا لله ليتشفع المسلمون بها وانفق عليها اسوالا جمة وكان بناءها سنة خمس وعشرين والاف فجاءت من احسن ما يكون وجعل بها ارحاء تدور بالماء وبني بها برجاً لطيفاً . ولما سار الى رحته ربه تولع بها خادمه نصر الطواشي فزاد فيها عدة بساتين ومن بعده تولع بها المرحوم احمد شلي وشيد فيها المنارة الرفيعة واهتم بها غاية الاهتمام حتى جاءت صنع الله . ولما سار الى رحته ربه ووقعت الفتن كاد ان يتلاشى حالها

فتداركها بعزمه وحزمه المكرم علي باي فزادت محاسنها على ما كانت عليه وصارت من الاماكن التي يضرب بها المثل . وغدت احسن مما كانت قبل . فلو نظرها بديع مراكش لقلنا له انت بدعة وهذا هو البديع . وان شمع ايوان كسرى فانه تهدم وعلا هذا البنيان الرفيع . وان فخر النعمان بن المنذر ببناء الخورنق والسدير . قلنا هذه القنطرة ومنازلها والوادي والغدير . كيف لا تفتخر هذه البقعة وهي ذات المنارة والقباب التي حيطانها ذات العماد . وشيدت معالمها وتزخرفت بالنقوش المذهبة حتى قيل لم يخلق مثلها في البلاد . وصنعت العجائب على حافتي الوادي . وجاء طائعا فتبا لشمود الذين جابوا الصخر بالوادي . وبكت حامة بدموع نواعرها وزاد حنينها لما صارت اختها بالغرب . ودارت دوائر نواعرها وفقدت قلبها فهي تدور على القلب . وكان هذا الدولاب الذي احدث بالقنطرة على طابع مجردة احسن مما عمل في حجة واولى . وان كانت نواعر حماة اسبق بالزمان فالآخرة خير لك من الاولى . وهذه الابنية التي تمت محاسنها تذهب عن قلب ناظرها الوحشة . فلو رآها انوشروان لقال لصاحبها انت انا وهذه قصور الدهشة . فمن نظر الى تلك التماثيل المصورة حكم بذوقه ان ليس لها مثيل . ومن يرد الاكثار في وصفها فعليه بالقال والقليل . وبهاء فردوسها يشوق ناظرة الى فردوس الجنة . وبه من الفواكه العجيبة ما لا يوصف وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وله الفضل والمنة . ولقد تنزهت في تلك المحاسن . ونظرت الى عذب الماء الذي هو غير عاسن . وقد جرت جداوله ودخلت البستان فصار مروجاً . وتطلعت الى البرج العالي المطل عليه فتلوت تبارك الذي جعل في السماء بروجاً . ونظرت الى الكشك الذي في صدر الايوان وهو مطل على الخليج . فعانيت من نقوشه وصناعاته التي اوتيت من كل حسن بهيج . فجعلت فيه حدة ابيات تحسن ان تكون تاريخاً لمحاسنها . وتفاءلت بالسعد في مصارع التاريخ وهو طالع السعد لساكنها . فقلت -

فردوس قنطرة يا طيب الارج تبارك الله عن ذي المنظر البهيج

وبرجك الضخم كالا يوان نشأتهم والكشك في البرج كالا يوان للفرج
ان حل في الصدر صدر الملك قلت له لقد حلت بصدر غير ذي حرج
وعدد التاريخ في المصراع الاخير وهو - قد جاءك السعد في العالي من البرج -
وهذا دليل السعد ان شاء الله تعالى ولا باس بايراد هذه القصيدة ليجمع
كل قريب باقاربهم وتكون بتمامها ان شاء الله تعالى مفيدة وهي هذه -

فردوس قنطرة يا طيب الارج تبارك الله عن ذي المنظر البهيج
وبرجك الضخم كالا يوان نشأتهم والكشك في الصدر كالا يوان للفرج
ان حل في الصدر صدر الملك قلت له لقد حلت بصدر غير ذي حرج
بناءه بتمثيل منوعه بناءه بتمثيل منوعه
وشاهق في علاه مثل سيدة سماه ذهب حيطانه عجيب
سعادة يسعيد الملك قارنها سعادة يسعيد الملك قارنها
بهمة من همام فيض راحتهم بهمة من همام فيض راحتهم
وقبة الملك قد شدت دعائمها وقبة الملك قد شدت دعائمها
جاءت كذات عماد في محاسنها جاءت كذات عماد في محاسنها
باي البلاد علي القدر واحدها باي البلاد علي القدر واحدها
بدائع لم تدع لبا لناظرها بدائع لم تدع لبا لناظرها
يشوق لاخلد تن ينظر عجائبها يشوق لاخلد تن ينظر عجائبها
كل المحاسن قد اتقنت صنعها كل المحاسن قد اتقنت صنعها
ان جاءها ليسلي القلب قاصدها ان جاءها ليسلي القلب قاصدها
ويسرح الطرف في موعى بدائعها ويسرح الطرف في موعى بدائعها
والنهر يجري الى الدولاب منعطقا والنهر يجري الى الدولاب منعطقا
وصوت دولابه في حسه نغم وصوت دولابه في حسه نغم
وحافة النهر ان مر النسيم بهما وحافة النهر ان مر النسيم بهما
والروض لما تحيا بالصبا عقيبت والروض لما تحيا بالصبا عقيبت

يسقى بماء معين من ينابيعه - فصير التراب طيبا لينا لزج
ومنية النفس ملء العين رويته - تنفي الهموم على ذي الباطن السمج
يا ايها الملك الميهون طلعتهم - تقدي من الضيم بالارواح والمهج
تبارك الله عن لفظ يورخها - قد جاءك السعد في العالي من البرج
وهذه المنارة التي هي بالقنطرة من اعجب المنزهات . واعجب من ذلك
السعادة التي حفت بها من باي البايات . وكان الناظر على بنائه . المتصرف
في اتقانه برايه . الباذل همته . الملازم خدمته . الواقف عند الاوامر
الشريفة . المشيد لتلك البناءات المنيفة . الناصح الوافي . عبد الرحمان
عرف الرفرافي . وهو من رجال الدولة العلوية . وله عقل ثاقب واخلاق
مرضية . وفيه طلاقة وجه ولين وعقل رزين والخدام يدل على المخدم . ولكل
مقام مقال معلوم . ولما حل ركابه الشريف بها اقام ثلاثة ايام . ورحل منها
كالهلال وعسى ان يعود كبدر التمام . فتوجه الى الكاف متوكلا على ربه .
فنال امنيته وبلغ ما اراد من اربه . ولقد سمعنا بيوم وصوله فكان احسن
وصول . ويوم دخوله قابله اهل البلاد باحسن قبول . وخرج الى لقائه ابن
خرطان وابن يوسف بمن معهما من جماعة الصبايحية . واديا حق الطاعة
فرضيت عنهما تلك الاخلاق الرضية . ودخل البلاد بهمة ملوكية . وتفرجت
اهل البلد في تلك الطاعة البهية . ولم يبق من اهل الكاف صغير ولا كبير
إلا من كان تحت اللحود . وكان يوما مشهودا سر به الشاهد والمشهد .
واطلقت البشائر في البرج وتكلمت بافواه المدافع . وتمشت اضوائها
واسمعت من به صمم وقالت هذا هو الفخر الذي ليس له مدافع . وبلغني
ان عدة المدافع التي اطلقت ذلك اليوم تنيف على السبعين . ولم يحص
احد عدد الزرابز والخزائن وبقيت من اول النهار الى حين . وتم الفرح بهذا
الفتح الجسيم . ذلك الفضل من الله والله ذو الفضل العظيم . ولما استقر في
دار سكناه . وبلغ ما تمناه . اقبل الناس بالسلام عليه . وما منهم إلا من
خصص وقبل يديه . وهنا نكتة تدل على ما فيه من الطرافة . وتعلم ان

أخلاقه مجبولة على السياسة والرافة . وهي أن جماعة من المتعصبين
كاتبوا سن بالحصار وحذروهم بطشه . فاراد بسياسته ان يذهب عنهم
الوحشة . فبعث اليهم صاحب سره . الواقف عند نهيه وأمره . المتخلق
بأخلاق العرب . المسمى الى العجم في النسب . الشيخ محمد بن الحسن .
وكان سفيرا بينهم في اول الامر وفي آخره بالغ فاحسن . وكان اهل الحصار
في ريبة فزالها . وامانيهم متعلقة بالخوف فتك عقالها . ولما اراد اغثة
الحصار ان يودي حق الطاعة . وان يتنظم في سلك الجماعة . هبط من
الحصار على وجل . وتردد خاطره بين الامن والاجل . فقال بعض اصحابه
لمحمد بن الحسن سر معه ليحصل له الامان . فاقسم ان لا يبرح من مكانه
إلا ان يرجع صاحبكم حيث كان . وهذا من ظرفه وهو به امثل . والرسول
صفة المرسل . ولما وصل الاغثة الى حضرة الباي قابله باحسان . وجدد
له ما كان اعطاه قبل ذلك من الامان . وخلع عليه كركا كان احده له من
قبل . ونشرت رايات العز على راسه وضرب الطبل . ورجع الى مكانه سالما .
وبالقبول والاحسان من الباي غانما . وهبط بعده محمد الملقب كاهية الحصار
المذكور . ومعه الاضاباشية فقابلهم بالهبات والسرور . وكان دخوله
الى الكاف في الخامس عشر من رجب القرد . فنال من بركة هذا الشهر ما
لم ينله احد . وبقيت البشائر ثلثة ايام . وظهر فيها من الطاعة ما ظهر
من العصيان في خمسة اعوام . وفي السابع عشر منه تزوج بكريمة من كرام
الاقبال . جعلها الله بالوفاء والبنين والاقبال . وطلع في العشرين الى الحصار
وتنزه في مناظرة . واحاط خبرة بما فيه من اوله الى آخره . وانعم على سن
به باحسانه ولسانه وبالسف في الاكرام وتصلوا بالاعتذار وهربوا من نار
العصيان الى جنة الطاعة فصارت عليهم بردا وسلاما وهو متاهب للرواح
الى منزله ودياره . ليصوم شهر رمضان المعظم ويتملا من مأربه واوطاره . والله
يسبلج كل نفس مشتاقة الى زوية اهلها . ويعيد شمس طلعه الى بروج
سعادتها والشمس تجري مستقر لها . وهنا ما انتهى به خبري . وما املته

من ذكرى . وما التقطت هذه الجواهر إلا من بحره . ولا تعلبت النظم إلا من
نثره . وإن مد الله في الاجل . وجعل فسحة في العمر والامل . لاجعلن
كتابا مستقلا واشحنه بجميع مآثره . وارصعه بدرر محاسنه من اوله الى
آخره . ان شاء الله . والله يبلغ كل نفس ما تتمناه .

الخاتمة

وفيهما اربعة فصول

الفصل الاول

قد تقدم في اول الكتاب التعريف بتونس وما نقلته من اقوال المورخين
هل هي قديمة او محدثة والذي صح عنده انها محدثة مشى على قول
العلامة ابن الشماع ولكن لم يشف الغليل فيما نقله عن المورخين وهو
من العلماء الراسخين وكان في ايام ملوك بني ابي حفص واسط دولتهم
وكانت تونس في زمانه في غاية الشرف مشحونة بالفضلاء والعلماء وسن
يقتردى بهم وصنف كتابه للخليفة ابي عمرو عثمان والعجب له كيف
رضي بهذا القدر اليسير وقصر في اماكن كثيرة ونهت على بعضها وعجزت
عن البعض لحشمتي منه لاني لست بكفو له . ولما تكلم على اصل تونس
وبنائها لم يستوف الكلام عليها إلا انه قال احدثت بعد الثمانين من
الهجرة الى آخر ما ذكر وقد تقدم في اول الكتاب وعللت بعض امور مما
ذكرها وربما ذيلت عليه وعللت ما قاله غيره ولكن بقيت امور تمس بهذا
المحل نائي بها ان شاء الله ونذكر بعض امور حدثت في هذه الدولة
التركية وبعض امور وقوانين احدثت بعد الدولة الحفصية وبعض امور
باقية على حالها كما كانت عليه الى ان نستوفي ما نقدر على جمعه
ليكون سلما لمن ياتي بعد ان شاء الله تعالى . وقد تقدم ان الذي صح
عندي انها قديمة من بناء الاول وانما فتحت في زمن حسان او في زمن
زهير على اختلاف في ذلك بين المورخين وانها كانت مسورة ولها خندق

يدور بها ، ثم ذكرت ان الجاري على السنة اهلها ان السور من بناء الشيخ سيدي محرز وهذا القول عليه اجماع اهل تونس وكنت اعتذرت في الاول وعلمت قولهم بقولي ولعلم جدده بعد المحنة التي وقعت على اهل افريقية من ابي يزيد الخارجي وقد تقدم اكثر هذا الخبر والان اقول ان السور الموجود في زماننا هذا هو غير السور الذي بناه الشيخ سيدي محرز رحمه الله والذي بناه الشيخ دثر ولم يبق منه شيء والله اعلم واطمئن هو الذي كان دائرا بالارباع الذي منه باب الحضراء وباب ابي سعدون وباب الاقواس وباب الفلاق وباب علاوة وغير ذلك مما هو معلوم عند اهل تونس ويشهد لهذا ما ذكره ابن الشماخ ان ابن تافراجين جعل نصف كراء المعاصر او ثلثه وقفا على بناء السور البراني وان الاوقاف التي هي الان على السور من تلك الاوقاف والله تعالى اعلم . وبقيت من هذا السور بقية الى آخر ايام بني ابي حفص لان احوال البلد تغيرت وتلاشت في آخر الدولة مما كان يقع بينهم من الافتان والمحن ونحن في طرف من ذلك نسأل الله اللطف بمنه وكرمه وكذلك المكان الذي يقال له الفلة بمقربة من الجينة خارج الربض القريب من مقابر الجلاز وانما سمي بذلك لانه كان ثلثة في السور المذكور ولما دهم اهل تونس العدو من النصاري وفروا بانفسهم خرجوا من هنالك خيفة ان تؤخذ عنهم الابواب فتخرج اكثرهم من هنالك فكان يقول بعضهم لبعض اخرجوا من الفلة او خرجنا من الفلة وهذا الاسم باق الى اليوم . وسمعت ايضا هذا الخبر من رجل حدثني عن ادرك تلك الحادثة والله اعلم بحقيقة ذلك . وكذلك لم تكن تونس في اول امرها قاعدة من القواعد لانها ان كانت مما فتح فتكون احوالها تلاشت ولم تكن عامرة كغيرها وان كانت محدثة فقد تكون صغيرة في اول امرها ثم تزايد امرها بعد ذلك ولكن الذي نقله ابن الشماخ مخالف لما ذكرناه لانه قال كان ابو جعفر المنصور العباسي اذا جاءه رسول من القيروان يقول له ما فعلت احدى القيروانيين تعظيما لها وهذا يدل على انها كانت في شأيتها العمارة في ذلك

العصر والله اعلم . وايضا لم اجد من تصدى لها او دون فيها إلا ما ذكره ابن
الشماع او من تعرض لها عفا من غير قصد ويمكن ان تكون فيها هدة
دواوين إلا انها نهبت في تلك الفتن او ان عمالها كانوا يحتشرون اهل هذا
الفن لحقارتهم عندهم ولكن ابن خلدون كان من علماء هذه البلاد وله تاريخ
يعد من التواريخ العظام حتى انه لما حصل في يد تيمور فما انجاة من شره
إلا هذا التاريخ لغرابته ولولا خوف الملائكة لاستوفيت قصته الى آخرها .
ولنرجع الى تونس فنقول انها كانت احوالها متلاشيت ولم يكن لها ذكر مع
القيروان وانما ابتدأت في الزيادة والنمو لما سكن بها بنو الاغلب ولما
تغيرت دولتهم ببني عبيد كانت دولتهم بالمهدية والمنصورية والقيروان ولما
تملكت صنهاجة على افريقية كانت عمالهم بتونس وعصت عليهم غير
مرة وقدم اهلها احمد بن خراسان ورضوا به فكان يذب عنهم وبنيت بعده
فكانت احوالهم مثل الشابييين بالقيروان واحدهم الشيخ الذي بمقبرة
السكاجين بازاء دار الحاج محمد لاز والناس يقولون انه من السلاطين
العادلين ولم اقف له على ترجمة لاصحح خبره ثم لما اراد الله باصلاح
حالتها قامت بها الدولة الحفصية فعظم قدرها بين البلاد وما ذلك إلا
لانهم قاموا مقام الخلفاء وخطب لهم بامير المومنين وجاءتهم البيعة من
الاندلس ومن مكة شرف الله تعالى قدرها سنة سبع وخمسين وستمائة
فحينئذ ضخم أمر تونس وشدت اليها الرحال وهجر اليها من كل البلاد
وكنت متشوقا الى الكشف عن هذه البيعة واي شيء كان سببها وسالت من
لم اعتناء بعلم التاريخ فلم يكن عنده جواب الى ان فتح الله علي بعد زمان
وذلك ان الخلافة العباسية كانت ببغداد وانقرضت في سنة ست
 وخمسين وستمائة على ايدي التتار لما قتلوا الخليفة المعتصم وبقيت بلاد
المشرق ثلثة اعوام بلا خليفة الى ان بويع بمصر الخليفة العباسي سنة
ستين وستمائة وكذلك بلاد المغرب ضعفت بها الخلافة المومنية وانهدمت
قواعدها فاحتاج الناس الى خليفة فلم يكن اقرب منهم لما ادعوه من النسب

وانهم من قريش من بني عدي من جماعة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فحينئذ ارتفع ذكرهم وعمرت البلاد وجاءها الناس من اقطار الارض وكثرت
علمائها وانتشر ذكرها في الافاق بحيث اذا قالوا علماء افريقية في هذه المدة
انما يعنون بها تونس . وكان بنو ابي حفص يجلسون العلماء ويحافظون
على الشرع ممثلين لامر واخبارهم في ذلك شهيرة . وكان بتونس اربعة
من القضاة قاضي الجماعة وقاضي الانكحة وقاضي المعاملات وقاضي
الاهل وقاضي الجماعة عبارة عن قاضي القضاة بالمشرق . وكان بالمحصرة عدة
من المفتين فمنهم من يكون متصدرا لها بالقلم ومنهم من يتصدر للاخبار
فقط وانما تنفذ الاحكام على يد قاضي الجماعة يتصرف في الاحكام الشرعية
من غير مطلع عليه . وفي المائة التاسعة ظهرت رتبة المفتي وصارت
ارفع درجة من درجة القاضي واذا اشكل على القاضي بعث الى المفتي
يساله ولا سيما في هذه الدولة التركمية فان القضاة تجميعها من بلاد الترك
والغالب عليهم العجمة ومذهبهم مذهب الامام ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه
واهل المحصرة على مذهب الامام مالك امام دار الهجرة رضي الله عنه فاحتاجوا
الى نائب يكون بين يدي القاضي فيكون بمثابة قاضي الخصومات
والقاضي التركي مقام قاضي الجماعة . وكان بنو ابي حفص يجعلون
يوم الخميس لاجتماع القاضي والعلماء في مجالسهم وتنفيذ بين ايديهم الاحكام
الشرعية وذلك في كل اسبوع وتلقى بين ايديهم المسائل المعضلة والمباحث
بين العلماء والاحكام تتصرف بين يدي السلطان فلا يقع بين يديه من
الاحكام الا ما هو مشهور بين العلماء وذلك المجلس ساعة من نهار وباقي
الايام يتصرف القاضي في احكامه في داره او مكان يختص به . ولما جاءت
الدولة التركمية وصارت القضاة من تلك الديار كما قدمنا احتاجوا الى
مجلس كما مرت به العادة فجعلوه بين يدي العامل وهو المعبر عنه بالبasha
بلغتهم فيحتفل في مجلسه في دار الخلافته وهي التي يقال لها دار البasha وان
لم يحضره فالخليفة الذي له ويحضر القاضي والمفتيون ونقيب الاشراف

تبركا بالنسب الشريف وتلقى بين ايديهم المسائل المشككة وذلك لما جرت به العادة والعمل بالحضرة ان المدعى عليه اذا لزمه شيء عند القاضي وخاف من الميل عليه يقول انا بالله وبالشرع وبالمجلس فيتوقف امره الى يوم الخميس فاذا حضر اليوم المعلوم رضي بما يحكم به عليه هذه القاعدة الى يومنا هذا وبزيادة وانه لما صار الحاكم بها كما قدمنا سردارا على العسكر وانه كالناظر على العامل وهو الدولاتلي بل ان العامل لا حجة له معه صارت الاحكام تنصرف في المجلس وبعد تمامها يخرجون باجمعهم القاضي والمفتيون ويمضون الى دارة ويخبرونه بما وقع وبجميع ما حكموا به وربما يتوقفون في معضل لا يتم امره إلا بين يديه اما المشاغب بين الخصمين او لالتجاء أحدهما ببعض الامراء فلا يتم إلا بحضرتهم وهلم جرا . وفي الدولة التركية كان يحضر بهذا المجلس المذكور اربعة من المفتيين حتى اذا مات احدهم قام آخر عوضه إلا ان في يومنا هذا ليس بها إلا مفتيان لا غير . وفي اول ولايتهم لم يكن لهم مفتي حنفي إلا القاضي وكان الشيخ محمد بن ابي ربيع ممن يتعاطى حل المسائل من مذهب ابي حنيفة حتى نشأت منهم جماعة تعاطوا المذهب هناك وذاع بينهم وشاع فقدموا مفتيا على مذهب الامام ابي حنيفة واول سن تصدر لهذه الرتبة الشيخ ابو العباس احمد الشريف الحنفي وذلك بعد الاربعين والالف . واما الذين على مذهب الامام مالك ابن انس فكانوا في اول الدولة اربعة ولا يتقدم احد لهذه الرتبة إلا صاحب تدين وعفاف وكذلك الباشوات الذين كانوا في اول الدولة غالبهم كان على منهاج وفيهم سن كانت له خبرة بالعلوم وسمعت ما حكى عن احدهم وهو فاضلي باشا وكان بعد العشرين والالف من الهجرة وهو آخر باشا كان مقامه بالقصبة ولم يحكم بها احد بعده من الباشوات كتب بين يديه كاتبه تذكرة لمن يتعاطى حسابات المعاصر فكتب هذه اللفظة بالسين فقال المعاصر . ولما وقف الباشا المذكور على هذه الكلمة قال يا حسرتاه على فاضلي باشا كاتبه لم يفرق بين السين والضاد وهذا دليل معرفته ونباهته رحمه

الله فاذا كان الباشا بهذه المثابة فاحرى ان تكون العلماء اعلى من ذلك
وكانوا اذا حضروا بالمجلس انما يكون منهم الاخبار بالامور الشرعية اذا
سئلوا عنها وينفذ احكامهم حاكم الوقت . واول سن اظهر لهذه الرتبة تعظيما
وزادها بشهادتهم تثخيما الشيخ ابو الحسن النفائي ابن الشيخ سالم النفائي
وكان الشيخ سالم مفتيا في اول الدولة معاصرا للشيخ قاسم عظم والشيخ
ابراهيم والشيخ محمد قشور وكلهم على طريقة حسنة رحم الله الجميع . ولو
تتبعنا اسماء سن ولي منهم الفتياء لعجزنا عن حصرهم لفوات عصرهم ويعز علي
اذ لم ارهم وانما اذكر سن ادركته وشاهدته والشيخ ابو الحسن ممن رايته
وكانت بينه وبين والدي صداقة وكان عظيم الجواب رفيع الجنب وعاصرة
في وقته الشيخ ابو يحيى الرصاع وتصرف في حياته والشيخ محمد ابو ربيع
وهو ممن شاهدته ايضا وكان صديقا لوالدي والشيخ ابو الحسن انفذهم كلمة
واعادهم جاهها فكان يتصرف في المملكة تصرف الوزير المستشار بحيث
انه في احكامه - اذا قالت حذام فصدقوها - وتماام البيت معروف .
وكان قبل ذلك اهل الحضرة اذا ترتب على احدهم حق بالاحكام الشرعية
وحكم الحاكم او افق المفتي بغير المشهور رفع امرة الى بعض العلماء فيخبرونه
بما عليه العمل وربما اطلعه على محل البازلة او يقولون له المسألة في كتاب
كذا وفي موضع كذا وان كانت له خبرة لوقفوه على مسأله ثم اذا حضر
بالمجلس الشرعي تكلم بحجته وقال مسألتى كذا وكذا وتقع المشاجرة بينه وبين
سن قال بخلاف قوله وهذا مما يتجرب به العوام على اهل العلم ولما سافر الشيخ
ابو الحسن المذكور الى الديار الرومية في مهم اقتضى ارساله جاء ومعه خط
شريف من الباب العالي وانه لا يسال عن نص افق به ولا يرد ما حكم
به فأنحسرت هذه المادة ولم يتعرض احد لذلك فيما بعد وبه جرت العادة
الى يومنا هذا ولم ينزل في رتبة عاليته مدة حياته ومات سن كان معاصرا لم
وانفرد بالكلمة هو واخوته الشيخ علي النفائي والشيخ محمد النفائي . ولما
كانت سنة تسع واربعين والف وشي به عند حاكم الوقت يوسف داي

وشنعت على الشيخ أبي الحسن مسائل شنعها عليه بعض الكارهين له
فتغير عليه حاكم الوقت المذكور فخرج الشيخ الى ناحية المشرق لزيارة
النبي عليه الصلاة والسلام فمات في الطريق في مكان يقال له الينبع وقبر
هناك وقبره مشهور وقام اخواه مقامه من بعده ، فلما تولى اسطا مراد الدولاتية
فكبرهما واقام بدلا منهما الشيخ ابا الفضل المسراتي والشيخ احمد الرصاع
وكانت بين الشيخ ابي الحسن والشيخ ابي الفضل المسراتي ضغائن في
النفوس موجبها حب الرئاسة فلما حلت باخويه هذه النازلة كان من
افق بقتلهما فضلا عن العقوبة فنجاهما الله وصودرا بالمال ، ولما تولى احمد
خوجت منصب الدايات بعد اسطا مراد طلبا منه الاذن الى الحج الشريف
فاذن لهما ولما بلغا الى الديار المصرية والحجازية كتبنا سوالا على حسب
النازلة التي نزلت بهما وبما افق به الشيخ المسراتي فافق علماء المشرق بما
وافقهما وبعد تمام الحج رجعا الى الديار الرومية وعرضا امرهما على الابواب
السلطانية فقبلت حجتهمما وكتبت الاوامر على وفق مرادهما واقام الشيخ محمد
في تلك البلاد وترقى الى رتبة الموالي الى ان مات هنالك في حدود السبعين
والالف واه عقب هنالك ورجع الشيخ علي النفاثي الى تونس واستقل بمنصب
الفتيا من غير منازع وعزل المسراتي وصاحبه احمد الرصاع ولم يزل في رتبته
نافذ الامر وموافق في المنصب الشيخ احمد الشريف الحنفي السابق ذكره
ومن بعده الشيخ محمد بن مصطفى الازهري نزيل تونس الى ان مات الشيخ
علي في عزة بعد الستين والالف فعند ذلك استقل الشيخ محمد بن مصطفى
وانفرد بالمذهبين الى ان توفاه الله سنة ست وستين والالف ، فاقم بدله
الشيخ مصطفى بن عبد الكريم فتولى رئاسة الحنفية لا غير واعيد الشيخ
المسراتي والشيخ الرصاع الى مكانهما ، ولما كانت سنة اربع وسبعين صرف
الشيخ مصطفى عن ولايته الحنفية واقم بدله الشيخ ابو المحاسن يوسف
درغوث فباشر المنصب بتعفف وامسك وصلابة في الحق ووقوف عند الكلمة
فكانت تحدث من الشيخ المسراتي دفوات ياخذها عنه الشيخ يوسف

المذكور ولم يتم له قولاً ويعارضه في سقطائه الى ان تسبب في عزله وبقي معه الشيخ احمد الرصاع وليس له مع الشيخ يوسف إلا الاسم والشيخ يوسف صاحب الحل والعقد الى ان مات في الواقعة المتقدم ذكرها رحمة الله عليه . ولما قدر الله تعالى بالظامة الكبرى وهي الواقعة التي كانت بين العسكر والمرحوم مراد باي وقد تقدم ذكرها كان الشيخ المسراقي احد اسبابها وهو الكاتب من املائه الحجة التي شنت عليه فلما لم يتم ما ارادة وانتصر الباي المذكور وعاقب سن عاقب عن بيئته وعفا عن عفا عن بيئته صادر الشيخ المسراقي ونكبه واراد قتله فشفع فيه صهره ابو العباس الشيخ احمد الشريف فشفعه فيه وذلك سنة اربع وثمانين . ثم ظهر للمرحوم برحمة الله مراد باي ان يولي هذا المنصب الشريف لمن يكون اهلاً له فوقع اختياره على شيخ الوقت بالاطلاق . وسن شددت الرجال اليه من جميع الافاق . الشيخ العالم العلامة . الحبر الفهامة شيخ مشايخ الديار التونسية . وسن يشار اليه بالبنان في العلوم الموسوية . وسن تفخر به الفضلاء من امة محمد . وسن سعى بسعيه المشكور وعمله المبرور وادركته بركة سمي به لما سمي به محمد . المتفنن في العلوم النقلية بما رواه عن الثقات . المتصرف في الغوامض العقلية بممارسة العلوم وبالحفظ والثبات . الذي طلع في سماء البلاغة بعلم البيان فاطهر القطب . ونحنا نحو المعرفة ففاخرنا به العرب . الهمام الامجد الشيخ ابي عبد الله محمد المدعو بفنائه . سلم الله من كل الحوادث ذاته . وصرف عنه كيد الكارهين . وتمع احبابه بعلومه الشريفة وحياته الى حين . وبشهادة الله لم استوف حقه فيها قاتله . ولم اك من المتعصبين في مدحه بما نقلته . ولم يكابر إلا سن طبع على قلبه . وانقطع سببه من سببه -

وسن يقل المسك اين الشذا كذبه في الحال من شمه

ولما عرض عليه المرحوم مراد باي ان يتولى هذا المنصب ابي ذلك . وامتنع من التعرض لهذا الامر الخطير والدخول في ضيق هذه المسالك . وتقرر امتناعه عند اهل البلاد فعظم عند الناس قدرة وزاد مكانه وعلم الخاص والعام

ان تمنعهم تنزهها وديانته وكنت تطفلت على ذوقه السليم بان مدحته بعدة
ابيات وقابلت سبائك ابريزة بما سبكتهم من مثاقيل النجاس فستر عني
بستائر حلمه وهكذا فليفعل الناس بالناس وادرت ان ابث بعض ما قلته
على جهة الايناس وتغزلت في اول القصيدة لمساعدة كنيته على الروي فقلت
بديع الحسن لو ابصرت ذاته رايت الحسن مجموعا شتاته

وانا مستمر في تغزلي الى التلخص وهو المراد وفيه اشارة لاعراضه -

فاعرض جانباً وازور عيبي لمسا اعرض عن الفتيا فتاته

ولولا خشية الاطالة لانيت بها . ثم بعد ايام اضطر الباي اليه لانه لم
يجد من هو افهم منه سلمه الله لما كان يعرف من ديانته وعلوه على غيره في
منصبه فالزمه على كره منه وهذه كانت تعد من حسنات الباي رحمه الله
فامثل لامره ذلك . ورضي بما قضى به المالك . فسز به اهل الصلاح
والسداد . واقتدوا به الى طريق الرشاد . فاخذتني اريحة ادبية . ومدحته
بقصيدة رائية . وجاءت براعة استهلالات وتخلصها صنع الله الذي اتقن كل
شيء ببركته نيته الصالحة . ومطلع القصيدة وفيه تغزل وتورية حيث قلت -

تمنع يوم الوصل واستعظم الامر واعرض اجلالاً فقلت له صبرا

مليح جرى ماء النعيم بوجهه وفي كل قلب من حرارته جراً

ورحمت وانا مستمر الى ان تخلصت وانه من المخالص العجيبة التي

حصلت لي ببركته ايضاً فقلت -

تعلم من شيخ الانام تمنعاً ولكن ولي الامر الزم جبراً

ولا يخفى على اهل الادب ما اشرت به في قلبي تمنع واستعظم وفي التخلص
ولكن ولي الامر الزم جبراً فلا تخفى هذه الكلمات إلا على اكبه لا يبصر
القمر وما اطلت من ذكره إلا بما يستحقه من الفضائل ولم ابلغ الى كنه
وصفه والحق يقال والشيخ المذكور ممن اعتقد حبه في الله لا لشيء إلا
لشرف علومه وان كنت حرمت ان اغترف من بحره ولم يساعدني الحال
ان التقط من درره فلقد اصابني رذاذ من واهله وذلك ان نجله السعيد النجيب

الشاب الانجيد الشيخ ابا العباس احمد ابن الشيخ المذكور عندي له يد
افادني بمسائل فتق ذهني بها واستفدت به زاد الله في حسناته وهو ممن
ترجى له بركة ابيه ان شاء الله لانه تصدر للتدريس في حياة والده وله
مسائل دقيقة على كتب القوم وعدة علوم زاده الله من فضله وكذلك اخوة
ابراهيم ممن احبه في الله ويحبني فيه واطن ان شاء الله ان والدهما كذلك
ولولا خشية الملالة لاملت في مناقبهما عدة كراريس وفي هذه النبذة كفاية
واحلف بالله ما رقت هذه الكلمات الا بوقاحة مني لاني لست من اهل
التعرض الى ذكره . ولما تم له من الامر بهذه الرتبة ما تم باشرها بتواضع ووقار
ولم يغير من هيئته بل زاد في تواضعه يقضي حوائجه بنفسه ويباشر اموره
لا يكلف بها احدا ولم ياخذ على ما يكتبه اجرا مما له الله بنيت وحفظه
في ذريته . واعجب من هذا انه لما امتحن في الواقعة التي سلمه الله منها
بسعايته الكارمين لما قبض عليه وعلى الشيخ يوسف درغوث وقد تقدم ذكرهما
وقتل الشيخ يوسف ونجى الله من ذلك الشيخ محمد المذكور كل هذا من بركته
العلم الشريف لانه لم يدلس فيه ولم يدنس . وكنت كتبت له رسالت
هنيئة ولكن لم تصل اليه ومنعتني منه الحشمة وافتحتها بقولي سبحان الذي
اسرى عبده ليلا والحمد لله الذي انزل على عبده ان اسر باهلك بقطع من
الليل انا منجوك واهلك الا امرتك والهم عبده لما حصل في وثاق الاعداء
ان فر من بين العسس فكتب له النجاة الا واعوذ بالله من قوم ليس لهم
عهد يعد ولا ذمة لذمام ولا يراعون فيكم الا وهي طويلة اضربنا عن ذكرها
وهو حفظه الله تعالى ملازم للاشتغال بالقرأة وله عدة دروس في الجامع الاعظم
وفي مسجده بمقربة من كتاب الوزير وفي دارة هذا مع اشتغاله بما ينفع
الناس اذهب الله تعالى عنه الكدر والوسواس والبأس . ومن نيت الصالحة
ان جعل الله رفيقه المفتي على مذهب الحنفية الشيخ ابا السعادة عبد الكبير
ابن المرحوم الشيخ ابي المحاسن يوسف درغوث قدم بعد وفاة والده للخطبة
بجامع المرحوم يوسف داي ثم قدم للفتا بعد تميع واستعفاف فسار بسيرة

مرضيته ، ولم تجر احكامه الا على القواعد الشرعية ، وهو في عفوان الشباب ، ولم تظهر له صبوة في السابق يلزم منها العتاب ، وهو حفظه الله من اهل الصلح بين الخصمين ، وغالب اوقاته في المساعدة بين الناس بلا مین . وكان تقديمه اول سنة تسع وثمانين والاف عن كره منه وجبره على ذلك علي باي لطف الله به وهو حسنة من حسناته كما ان رفيقته حسنة من حسنات والدة رحمه الله *

الفصل الثاني

في حوادث ظهرت في الديار التونسية غير ما كانت عليه في الدولة الحفصية

كانت ايام بني ابي حفص في اول بدايتهم من غرر الايام ، وانتشرت دولتهم حتى عمت بلاد الاسلام ، وتقدم من ذكرهم ما فيه كفاية . ولكن ناتي بطرف من ذلك ليكون خبرة لاهل الدراية . وكانت دولتهم على اسلوب العرب وعدتهم الرماح والسيوف والنبال ولم تكن المكاحل ظهرت في مبتدا امرهم وانما ظهرت في آخر ايامهم في ايام الفتن الاحول صاحب قشتالة لعنه الله ومن هنالك اخذت صناعتها في الزيادة الى ان كثرت في غالب المعمور ، وكانت عساكرهم يدعون بالموحدين لانهم من اتباع ابن تومرت كما تقدم ذكره لانه سماهم بالموحدين لزعمه انه قائم بالتوحيد اي بكلمة التوحيد وجعل لاصحابه توحيدا بلسان البربر فمن لا يقوم بحفظه لا دين له فبقيت اشياء من بعده على دعوته واقتدوا بامامته ، والطبقة الاولى من بني ابي حفص امتد سلطانهم من تلمسان الى طرابلس الغرب ولما تنهقرت دولة بني عبد المومن من بلاد المغرب وكثرت الفتن بين ابناؤهم الخلافة منهم تسمى بنو ابي حفص بالخلفاء وجاءتهم البيعة من الاندلس وغيرها وجاءتهم ايضا من مكة المشرفة لعدم الخلافة بالشرق ولم يزل امرهم على احسن حال حتى وقع بينهم التحاسد وافتراق الكلمة فاخذت دولتهم في

الادبار الى ان كانت دولة السلطان محمد بن الحسن خرجت طرابلس عن حكمه واخذها عسكريا ل عثمان وكذلك الجزائر ولم يبق بيده إلا تونس وبلد العناب . وفي ايام ولده الحسن نافقت القيروان على ايدي الشابييين وناق القليعي بسوسة والمهدية . وفي ايام السلطان احمد بن الحسن وصل العسكري العثماني الى الحمامات وطالت ايام السلطان احمد في الدولة واحيي بعض ما درس منها وكان عسكريا لا يزيد على الفتي فارس وسماهم الزمازية ويركبون الخيل وكان مغرما بالتنجيم واهله وبعلوم الاجفار وكانوا يخبرونه بزوال الدولة عنه وتصور الى قوم لغتهم اعجمية إلا ان سلطانهم يمشي على الاقدام لا يركب الخيل فذهب به رأيه كل مذهب فلم يجد ملكا على هذه الحالة فاتخذ جندا من العبيد تقولا وصارت لهم دولة يقال لها الدولة الجناوية ثم قتلهم وكذلك سمي مملوكا له علي باشا تقولا لما كان يحذره والله غالب على امره . ولما جاءت الدولة التركية ظهر ما كان يحذره لانهم مشاة على الاقدام وكبيرهم الذي يقال له الداي كذلك فهو بمنزلة السلطان على الحقيقة لانه المتصرف بحكمه في الاقليم فصحت الاخبار التي اخبر بها ولما تمكن حكمهم ودانت لهم البلاد اتخذوا اصطلاحا واجدثوا امورا غير ما كانت عليه أولا فمن ذلك ان لهم جماعة يقال لهم اودة باشية واحدهم اودة باشي معناه راس الدار لانهم يقدمون المضاف اليه فلفظته اودة هي الدار وباشي هو الراس واصلمه باش والياء زائدة عندهم إلا انها كاجد الضمائر وتحت يد كل واحد منهم جماعة نحو العشرين واكثر واقل ولذلك الواحد النظر على جماعته واعلى من هؤلاء جماعة يقال لهم بلوك باشية واحدهم بلوك باشي والبلوك اسم للجماعة والباش للراس كما تقدم ومعناه راس الجماعة وهو اعلى من لفظة الاودة واعلى رتبة منه وكلهم بالشرقي فمن الاودة باشي الى بلوك باشي ومن البلوك باشية يصير اعنتهم وهو كبيرهم لا يصدرون ولا يردون إلا عن مشورته وكان الاغتة في مبتدا امرهم تاتيه الاوامر السلطانية من الباب العالي من عند الاغتة الذي هناك ثم انخرمت هذه القاعدة

قصار يلي هذه الرتبة اكبرهم ولم يحتاجوا الى امر سلطاني وعدة الاودة باشية قبل اليوم مائة وخمسون ولما تزايد العسكر زيد فيهم ايضا فعددهم في زماننا مائتان واذا نقص واحد منهم خطوا بدله ولهم لباس يتميزون به عن سواهم ولهم اقبية باكمام طويلة واسعة من عند المرافق وفم الكم ضيق ويضم عند الكوعين بصناعة محكمة وعلى رؤوسهم طراطير من الجوخ بصناعة مكلفة يمتاز بها ويمتاز البلوك باشي بعمامة يكبرها قليلا فيعرف بها وكذلك الاغت لم عمامة مفردة لا تكون لغيره ولها رجل مكلف باصلاحها ومن تحته جماعة يقال لهم ايم باشية معناه الحجة الكبرى لهم علامة على رؤوسهم يقال لها اسكفة مزركشة بالقصب يلبسونها ساعة من نهار في مواكبهم وهم ركبان امام اغتهم . وكان في اول الامر الحكم للاغت والجماعة التي ذكرنا الى ان كان من امرهم ما تقدم عند ذكر مقتل البلوك باشية وتولية الحاكم الدولاتلي فصار غالب النظر في الاحكام له إلا ما قل ولهم مكان يحضرون فيه كل يوم ساعة من نهار فيحضر الاغت وهذه الجماعة المذكورة في ذلك المكان ويسمونه دار الديوان ولهم شواش ستة ولباسهم مثل الاودة باشية إلا ان الذي على رؤوسهم فيه بعض خلاف فيعرفون بذلك فاذا اجتمعوا في المكان المذكور جلس الاغت على كرسي في الصدر ثم الذي يليه بحيث لا يتقدم احد عن رتبته ولهم كتبة وترجمان ولهم اربعة من اكابر الاودة باشية يقال للواحد منهم باش اودة معناه كبير رؤوس الديار ويصلون الى هذه الرتبة بالترقي ثم اذا انفصل عن هذه الرتبة صار من البلوك باشية ويترقى الى ان يلي منصب الاغت وعادة الاغت ستة اشهر لا يخرج من بيته إلا الى الديوان او في يوم معلوم ثم اذا جلس في الديوان يكون اكبر الشواش قائما بين كتفيه والترجمان بازاء الاغت فاذا اخذوا مراتبهم قام خطيبهم فدعا بدعوات للسلطان وللعسكر وقرئت الفاتحة ثم يخرج مناديهم عند الباب فيقول سن له دعوة فليدخل فاذا دخل قابله الترجمان واخذ دعوته من لسنه ثم يلتقيها للاغت ثم ينادي مناديهم الى الباش اودات الاربعة فيحضرون

بين يدي الاغتة ويعرض عليهم تلك الدعوة فان كانت من الامور الشرعية ردها الى الشرع وان كانت قانونية فعلوا بأرائهم او بما جرت به العادة بينهم وان كانت مسالمة معضلة اخروها الى مشورة حاكم الوقت وان كانت صدرت عن اذن امصبيت فاذا تمت احكامهم حط لا كابرهم طعام اكلوه ثم ينصرفون الى ما ربهم إلا ان اغتتهم يروح الى بيته واذا افرق ذلك الجمع انصرف من اكابرهم جماعة مثل الخوجات واكبر الشواش ومضوا الى حاكم الوقت فيخبرونه بجميع ما حكموا به إلا النادر الذي لا يعبا به هكذا دأبهم كل يوم الى انتضاء ستة اشهر يعزل ذلك الاغتة ويقوم مقامه الذي يابه وهلم جرا ولهم مواكب يظهرون فيها ابته الملك وينشرون ناموسا للسلطنة وذلك انهم اذا ارادوا اخراج المحلة على حسب العادة نادى مناديهم وهم الشواش يركبون الخيل ويلوجون في الاسواق ويخبرون جماعة العسكر ويامرونهم بالتأهب للخروج ومن الغد يصبحون وقيد لبسوا ءالت حريهم ويجتمعون عند باب القصبة ويكون الحاكم هناك ثم يضي الاغتة والودة باشية الى دار الخلافة ويحضر هناك الخوجات الذين يحملون البيارق فينشرونها ويحضر الباي المعين او خليفته فيخلع عليه الباشا خلعة سلطانية ثم يخرج كاهية الباشا معه وبين ايديهم الشطار والايياك مشاة على الاقدام وتنشر الرايات الملوكية وتندق النوبة العثمانية بالطبول والانفرة والزنجهارات ويخرجون بادب وسكينة مصطفىين من دار الخلافة الى باب القصبة ويكون العسكر قد اجتمع هنالك فاذا قرب الديوان اي الجمع الذي فيه الاغتة والباي الى باب القصبة قام الداي بنفسه ان شاء ومشى في اول الصف وان شاء قدم احد الاكابر من جماعته وامره بالمسير عوضه وذلك تعظيما له بحيث يكون هو المتصرف تلك الساعة وامره نافذ على ذلك الجمع فاذا خرجوا من المدينة الى ظاهرها حيث يكون الوطق والابخسية المهيئة للسفر دخل الباي والاغتة والجماعة المستعدة للسفر ورجع الباقرن الى البلد ويكون قد تعين على المسافرين منهم جماعة يتعاطون الاحكام في السفر مثل الاغتة

والأودة باشية والبلوك باشية ومن يقوم مقام الداي فيهم مدة اقامتهم في السفر الى أن يرجعوا الى الحضرة ولهم ادب في رحيلهم واقامتهم وامور اخر اضربنا عنها فلذا رجعوا من سفرهم بعثوا رسالا يخبرون بوقت مجيئهم في يوم كذا فيتأهبون للفائهم على العادة التي قدمنا إلا ان في يوم دخولهم زيادة على ما ذكرنا وذلك ان العسكر الذي يخرج من البلد اذا صاروا من خارج المدينة وتقابل العسكران يجعلون بروزا وهو ان يرموا بمكاحلهم ثامنا ثم يجيئهم المسافرون بثلاث ثسم يجتمع العسكران ويدخلون البلد ويكون يوما مشهودا تجتمع الناس لمشاهدته ويمضي اكابر العسكر الى دار الخلافة ويخلع هناك على الباي او على خليفته خلعة سلطانية ويرجع باكابر الديوان الى منزله وتندق هنالك الطبول ساعة ثم ينصرف ذلك الجمع هكذا دأبهم في كل عام مرتين وهذا الناموس لم يكن مثله في البلاد الغربية التي تحت ايدي العساكر العثمانية . جعل الله اعلامهم بالعدل منشورة . واحكامهم بالتوفيق مذكورة . وجعل سيف هذا السلطان قاطعا في رقاب الكافرين . وحكمه نافذا لاصلاح الدنيا والدين *

الفصل الثالث

فيما تميزت به الديار التونسية

وما تفتخر به بين احبابها

اعلم ايها الواقف على هذا المجموع ان لتونس مفاخر جمة لو استقصيناها لطال بنا المجال وخرجنا عن الحد ولكن ناتي من كل شيء بطرف . وقد كانت قبل هذا الزمان في غاية من الشرف . واهلها في النعيم والشرف . بحيث لم تكن بلد تضاهيها . ونفوس اهلها مطمئنة بامنهم وامانيها . وكانت محط الرجال . ومبلغ الامال . إلا ان في زماننا هذا تلاشى اكثر نعمتها . ولكن بقيت منها بقية ستلي عليك لتعلم بمزيتها . واذا افتخرت مدينة من مدن المغرب فما احق الفخر بتونس . واذا حل بها غريب نال الشانس من

تونس . والدليل على ما كانت عليه من رفاهية أهلها في القديم وبقيت آثاره
هو أن غالب أهلها كانت لهم جنات وبساتين يخرجون إليها بعيالهم في زمن
الصيف والخريف وتكون الناس في أسواقهم يتعاملون إلى آخر النهار ومبيتهم
في بساتينهم ومن الغد يبكرون إلى البلد ولهذا كان سوق الربع وهو أكبر
أسواقهم لا يفتح إلا بعد طلوع الشمس وجرت عادة إلى اليوم ولهم غير
ذلك من الأعياد والمواسم والتفاخر بالأعراس المحافلة وإظهار التنعم حتى بالمآثم
وناهيك أن أعيادهم مشهورة فمما يستعملونه في أيام العيد من الحلوات
والأطعمة التي لا توجد إلا في الحضرة المقروض الذي يتفاخرون به وهو مشهور
بينهم لا يحتاج إلى تعريف وهو أطيب حلواتهم وليس بعده شيء حتى أنني
التقيت بمن أكله في الحضرة فاعجبه غاية الإعجاب فقال عجبت لمن في
بيته المقروض كيف ينام الليل وكذلك اللحم الذي يسمونه المروزية نسبة
إلى مرور مدينته ببلاد العجم يطبخونه بإبزار تفوح لها قيمة ويرون أكلها
عقيب الصوم من التطيب وكذلك الخبز المعلوم في أعيادهم لم ير مثله في
المعمر ويتفاخرون بعظمه ونقاوته حتى أن الرغبة الواحد لو وضع بين
جماعة من الناس من عشرين فصاعدا لكفاهم ويطول مكث هذا الخبز إلى
فحوشه وأكثر وهو في غاية الحسن وسبب تكثيره عندهم لم ذكر فالتقرر
بينهم أن بعض العمال كان بها في الزمن السابق دامت ولايته واشتد
سلطانه فسعى به بعض الكارهين إلى استاذة وأدعى أنه استقل بالامر وخرج
من الطاعة وحرضه على الفتك به فتحرك إليه استاذة بعسكرة فلما قرب
من تونس خرج العامل بذات نفسه وقيل أنه ابن خراسان وصحب معه
رغيفا من أعجب ما يكون فلما وقعت عينه على استاذة ترجل وقبل بركابه
وأخرج ذلك الرغيف وتاوله له فاخذه من يده وقبله ورده إلى صاحبه
ورجع من مكانه وقال لخاصته هذا مستمر على طاعتنا والإشارة لذلك خطابه
بلسان الحال أن هذا ما أنعمت به علي فان أردته فهو مردود إليك فعلم
حسن طويته فابقاه على عمله ورجع مسرورا فمن هنالك استمر الحال على

تكبير هذا الرغبة وقد يكون اتفق ذلك اليوم انه يوم عيد او انهم تفاءلوا
بسلامة عاملهم بسبب ذلك الرغبة الى ان صارت لهم عادة في كل عيد
هذا هو الماثور بينهم ويغلب على ظني غير ذلك وهو ان حريمهم اي حريم
هذه المدينة اكثر انهماكا من رجالهن ويكرهن الامتهان بالخدمة عدة ايام
بعد العيد فلماذا جعن بين الخبز والمروزية لطول بقائهما . وكذلك العادة
التي جرت بين اهل الحاضرة ان مدة اعيادهم خمسة عشر يوما وهذا المعهود بينهم
وجرى العمل به وادركنا قبل اليوم ان اسواقهم لا تفتح إلا بعد تمام الخمسة
عشر يوما وتكون ايام تنزهات خارج المدينة وتلاشى البعض وبقي البعض .
ومن ايامهم المشهورة اليوم العاشر من شهر المحرم يحتفلون له غاية الاحتفال
ويصرفون فيه اموالا وافرة في الاطعمة والفواكه وقل ان تجد من لا يصرف
شيئا ولو قل ولو حصر انفاق ذلك اليوم لبلغ مقدارا غريبا وكذلك اليوم
التاسع منه يواطبون فيه على اكل الدجاج والطعام الذي يقال له الدويذة
وهو بمثابة الكنافة عند المصريين ولكن الدويذة اصنم عند اهل الحاضرة
ويعبرون عن طعامهم هذا فيقولون الفطير وما يطير ويعظمون هذا اليوم وان
كان عظيما إلا انهم اكثروا في تعظيمه عن سواهم ويرون الانفاق فيه من
التوسعة على العيال وملازمة اكل الدجاج على جهة التطيب لان الحكماء
قالوا لا بأس به مرة في السنة والمداومة عليه تورث النقرس اعاذنا الله
منه . وكذلك جرت العادة بزكاة اموالهم يخرجونها في هذا اليوم ويلازمون
على حرمة والانفاق فيه وتزين الحوانيت التي تباع فيها الفواكه اليابسة
ويكون لها منظر عجيب وتتفق الناس من عندهم على قدر اقدارهم حتى لا
يخلو مكان احد من الفاكهة إلا القليل منهم . ولقد حضرت لرجلين تفاخرا
احدهما من الجزائر والاخر من تونس فقال التونسي للجزيري ودت ان
هذه الحوانيت يعني التي بها الفاكهة في يوم عاشوراء ترفع ليلا وتحط في
الجزائر فاذا اصبح اهل الجزائر وراوها على هذه الحالة ثم اميدت ليلا الى
مكانها اظن ان نساءكم يطلقنكم ويأتين الى بلدنا وهذه مبالغته اتى بها

وتن رأى ذلك اليوم شهد بما قلناه وهذا من الايام المشهورة عند اهل تونس
وتباع فيه من آلات الطرب والملاهي لصبيانهم بما لا حصر له وهذا من
رفاهية عيشهم وانهماكهم وكذا جرت عادتهم وهي باقية الى الان ، ومن
اعبادهم المشهورة ومواسمهم المذكورة ومساعيهم المشكورة تعظيمهم ليلة المولد
الشريف وذلك لاجل محبتهم لمن ولد فيه وهو سيد الكائنات صلى الله عليه
وسلم . واول من اعتنى بتعظيمه في البلاد العربية واظهر فيه شعائر الولادة
المحمدية السلطان ابو عنان المريني شكر الله سعيه ثم اقتدى به بنو ابي
حفص في الديار التونسية واولهم امير المومنين ابو فارس عبد العزيز وكان في
اول المائة الثامنة واحتفل بتشييد شعائر هذا اليوم المبارك جعل الله ثوابه
في صحائفه واطلعه في ظل النجاة يوم لا ظل الا ظله عرشه واقترنت به بنو
ابي حفص من بعده ولم تنزل عادتهم مستمرة على تعظيمه عاملهم الله بنياتهم
فانهم يعظمون ليلة الثاني عشر من شهر ربيع الاول وينشدون الاشعار في
المكاتب ويحتفلون لتلك الليلة ويزينون المكاتب وربما يجعلون ديدانات
وهي المعبر عنها بالاصطبلات وتقرأ فيها النخاميس وتنشد الابيات الشعرية
التي تضمنت مدائح خير البرية وتوقد القناديل وتسرج الشموع وتكون
تلك الليلة اشهر ليالي سنتهم ويصنعون الاطعمة الفاخرة احتسابا لله وربما
يجعلها بعضهم للمباهاة والتفاخر ولكل امرء ما نوى وتكون ليلة عظمى
بدار نقيب الاشراف يحضرها الاجلة من الناس والقراء والفقهاء ويقع
فيها السماع والاناشيد بالمدائح النبوية ويهرع الناس اليها من اطراف
البلد وتكون عندهم من الليالي العظمى ولنقيب الاشراف عادة ياخذها من
السلطنة من زيت وشمع وما يحتاج اليه وهذه العادة جارية من زمن
بني ابي حفص ودامت هذه الدولة عليها وادركنا قبل اليوم بالزاويتين
المشهورتين القشاشية والبكرية محاسن جنة بحيث تدوم زينتهما خمسة
عشر يوما لا تخليان من المدائح وتهرع الناس للتفرج والمبيت وقد تلاشى
الحبال ، وانما غيرها فبحسب الامكان والاوقات وهذا الشهر المبارك له حرمة

عند أهل الحضرة لتعظيمهم لهذا اليوم زاد الله في حسناتهم وربما وقع فيه
ما يذمه الشرع وذلك لجهل العوام ويرون ذلك صلاحاً ومن أراد تفصيل
ذلك فليطالع المورد في أخبار المولد للعلامة جلال الدين السيوطي فإن فيه
شفاء الغليل . ومن أيامهم المشهورة أول يوم من شهر مايب فإنهم ينفقون
فيه أموالاً لا تحصى ويتفاخرون فيه بالأطعمة الفاخرة التي لا توصف
ويكثرون من الاتفاق فيه ويجهدون في صناعة المرقاز حتى لا يخلو منه
إلا مساكن الضعفاء ويكثرون من الرياحين والبقول ويبيع في السنة كلها ومن الحشايش
مثل الحمص والبقلاء الخضراء والخس وغير ذلك ما يقوم بالمدينة سنة في غير
هذا اليوم ويجعلون اختصاصاً في بيوتهم مزينة ويعبر عنها بالجوانيت وتعلق
فيها جميع البقولات والرياحين الموجودة حتى لا تخلو دار من ديارهم من مثل
ما ذكرنا إلا ما قل ويتجاوزون إلى المغاني وآلات الطرب لما لا جد له
وانهماكهم في هذا اليوم أكثر من أيام الأعياد . وأدركنا بعد الخمسين والالف
من الهجرة مكاناً لهم عند باب الخضراء يسمونه بالوردة يجتمع فيه أهل
الخلاعة والبطالة ويكثرون من المجنون هنالك من مغان وعطربين ومشعوذين
وتباع فيه الفواكه اليابسة والحلواء وتخرج أهل الخلاعة أرسالا بعد صلاة
العصر إلى وقت الغروب ويكون هناك مفرج عظيم أبهج من أيام العيد
ويستمررون على هذه الحالة خمسة عشر يوماً هذا دايمهم في كل سنة توارثوا
ذلك خلفاً عن سلف وأبطلت هذه الأيام في زمن اسطامراد ثم أعيدت من
بعده ولكن على غير هيئتها الأولى ثم أبطلها أحمد خوجة ولم تعد بعد . ولقد
أدركت للقوم في هذه الأيام خلاعة لم تكن لغيرهم في غالب المعمور في
هذا المكان الذي يقال له الوردة ولم أدر لم سمي بهذا الاسم إلا أنه بطني
أنه كانت به حديقة بالورد فسمي بها والله أعلم وانقرضت هذه الحالة
ولم يبق إلا اسمها وأما الذي يستعملونه في الديار فهو باق على حاله
وبزيادة وعند النسوة تفاخر بينهم لما يهدون من الزينة والأطعمة ولم يعلم

أحد من أهل الحضرة ما السبب لظهار هذا اليوم إلا لشكر عنهم فيه حيث يقول هذا اليوم عيد لفرعون لعنه الله فكيف يعظمونه ويستدل بقوله تعالى - موعدهم يوم الزينة - والمجيب عنهم يقول فيه نصر الله موسى عليه السلام على فرعون وكل ليس تحتهم طائل لانا غير مكلفين بهذا اليوم ولا هو في شريعتنا غيرنا وهذا من خرافات العوام . وسمعت من مشيخة الحضرة ما يقارب الظن وهو ان اول يسوم من شهر ضايم تكون الشمس فيه مضرة بالصبيان الذين هم دون البلوغ فلهذا يجعلون تلك الحوانيت لتقي صبيانهم الحر بحيث يلعبون فيها وتغنيهم عن اللعب خارج الديار وكذلك يجعلون في انوف صبيانهم شيئا من القطران لخاصية في رائحته والله اعلم . ومنهم من يقول هذا اليوم هو النوروز ويحكم بصحته وليس عنده علم ما هو النوروز ولا لاي شيء وضع في هذا اليوم ولم لم يكن في غير هذا الشهر ولم يختص به هذا الشهر دون غيره الى غير ذلك إلا انها جيلة مجبولون عليها صاغرا عن كابر الى يومنا هذا والذي صح عندي انه هو النوروز لاشك فيه إلا ان النوروز كان في غير هذا الشهر ثم صار اليه ولذلك حكاية تطول ولكن فاتي ببعضها ليعلم من يقف عليها ان الاولين من أهل الحضرة لم تكن افعالهم سدى وسيتلى عليك ان شاء الله تعالى ذكر أهل السير والاخبار ان النوروز كلمته اعجمية معناها اليوم الجديد لان نو هو الجديد وروز هو اليوم لان العجم يقدمون المضاف اليه على المضاف وأول من اظهر هذا اليوم بارض فارس ملك من ملوك الفرس اسمه جمشيد من الطبقة الاولى من ملوك الفرس الذين يقال لهم اليشدانيه وهو الثالث من ملوكهم وكان قبل ابراهيم عليه السلام وجمشيد معناه شعاع القمر لان جم اسم القمر وشيد اسم الشعاع وكان ملك الاقاليم السبعة وسلك السيرة الصالحة ورتب الناس على طبقاتهم كالاجاب والكتاب والزم كل صاحب طبقة مكانه لا يتنقل منه الى سواه وجعل النوروز عيدا يتنعم الناس فيه وكان صاحب عدل ووضع لكل امر خاتما مخصوصا به فخاتم الحرب مكتوب عليه الرفق والمداواة

وخسائم الخراج العدل والعمارات وخسائم البريد والرسائل والامانات الصدق والامانات وخاتم المغارم الانصاف والسياسات وبقيت تلك الاثار الى ان محاسنها الاسلام وءاخر حاله تكبر وتجر وتترك السيرة الصالحة فتترك عليه الخواص وقام عليه بيوارسب فقتله واستقل مكانه . وكان النوروز اول يوم من يناير ويسمونه ايضا دينماه معناه غرة الحول الجديد والمهرجان يجعلونه سادس عشرين برهمات هذا اصطلاحهم في ذلك الزمان واول سن احدثه من ملوك القبط بمصر مقلدوش بن مقلدوش وهو اول سن عبد البقر واستخرج الحكمة واول سن عمل العجل يجرها البقر وفي زمانه بنيت البهنسا من اعمال مصر ودام ملكه ثمانمائة وثلاثين سنة ودفن في الاهرام الصغير ودفن معه من الاموال والعجائب شيء كثير منها اصنام مدبرة على الكواكب السبعة التي يرى بها الدفائن والخبيات والفساد من الذهب والفضة وعشرة و الالف جام من ذهب وفضة والفساد لفقون الاعمال من الكيمياء وغيرها ولم اخبار غير هذه ليس هذا محلها وانما جذبنا مساق الحديث . ونرجع الى ذكر النوروز . واما الصابيون فهو عندهم يوم دخول الشمس برج الحمل وهو من اعظم الاعياد عندهم لان الشمس حلت في برج شرفها ثم ان الفرس جعلوه في الخامس من حزيران لان فيه استواء الزرع عندهم واذا حل خرجت العمال لاستفتاح الخراج . وكان هذا العيد عندهم لادراك الغلال يستبشرون بالسنة فيظهرون فيه من المأكول والمشرب ويتهادون بينهم ويهادون رؤساءهم وهو من اعظم الاشياء عندهم ولم يزلوا على ذلك الى ان اتى الله بالاسلام وهم باقون على حالهم . وفي اول الاسلام كانت السنون متقاربا بعضها من بعض والزمان متقارب بين الشمسي والقمرى في حساب السنين وملة الاسلام خراج اهل ذمتها وزكاة اموالها ومواقيت حجها بالسنة القمرية وجميع شعائر الاسلام كذلك . واما اعشار الغلال فتكون عند تمامها وحساباتها بالسنة الشمسية وايام السنة الشمسية ثلثمائة يوم وخمس وستون يوما وكسور فيكون التفاصل بينهما احد عشر يوما على التقريب والروم

كانوا يكسبون سنينهم يوما في كل رابع من السنين وأما الفرس فانهم يكسبون شهرا تاما بعد مائة وعشرين سنة فاذا انقضت هذه المدة ودخل شهر ايار الغزوة ورجعوا الى حزيران فكان النوروز من الخامس من حزيران الى الخامس من ايار لا يتجاوز اكثر من ذلك . ولما كانت خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان وكان عامله على العراق خالد بن عبد الله القسري وجاء وقت التكريس عند اهل العراق اعلموا خالدا المذكور فمنعهم فبدلوا له اموالا فاي وبعث الى هشام يخبره ويقول له هذا من الذي قال الله تعالى انما النسي زيادة في الكفر يصل به الذين كفروا يحلونهم عاما ويخرجونهم عاما فانه الجواب بمنعهم فمنعوا وصار النوروز لا يتعدى زمانه وفيه يكون افتتاح الخراج والسنة تتقدم الى ان تتفاوت جدا . وفي ايام المتوكل على الله العباسي كانت سنة احدى واربعين ومائتين تجبى في سنة اثنتين واربعين ومائتين فتنبه لهذا الامر وامر ان تلغى سنة احدى واربعين وتذكر سنة اثنتين ولولا خشية الاطالة لاستوفيت السبب في ذلك وكيف تنبه وفيه قصته يطول شرحها . وفي تلك السنة جيبت البلاد بذكر سنة احدى واربعين واثنين واربعين وخرجت بذلك الكتب الى العمال ومات المتوكل على الله ولم يتم له ما اراد ومن بعده رجع الامر الى الحالة الاولى . وفي خلافة المعتضد بالله جعل النوروز على حساب الروم وكذلك رتب للمصريون حسابهم ووافقهم حساب القبط وفي ايام المعتضد كانت سنة ست وسبعين ومائتين تجري في سنة سبع وسبعين ومائتين فنقلت سنة ست الى سنة سبع . وكان المعتضد على الله العباسي اخر النوروز عن وقتهم ستين يوما وجرت جباية البلاد على هذا النمط وقدم المهرجان يوما واحدا ولم تنزل خلفاء بني العباس يوخرون النوروز عن وقتهم عشرين يوما واكثر واقل ليكون سببا لتأخير الخراج . وفي خلافة المطيع لله العباسي وسلطنة معز الدولة بن بويه والوزير المهلب كان النقل من سنة احدى وخمسين وثلاثمائة وكتب في ذلك العصر الصابي رسالته وادع فيها من الصناعة الفلكية ما يعجز عنه الكتبة وهي

رسالة مشهورة ولولا الاطالة لاوردتها بكمالها لحسن صناعتها كما ان رسالة القاضي عبد الرحيم اليسانبي كثيرة الايجاز والاعجاز وكان هذا النقل اغفل في الديار المصرية حتى كانت سنة تسع وتسعين واربعمئة تجري مع سنة احدى وخمسمئة وكذلك سنة خمس وستين وخمسمئة تجري مع تسع وستين وخمسمئة فنقلت برسالة من انشاء القاضي الفاضل عبد الرحيم المتقدم الذكر ورسالته موجودة في ايدي الناس ولولم يكن له من الرسائل إلا هذه الرسالة لكفته فخرا . وكانت الخلفاء من بني العباس وسلاطين وقتهم مولعون بايام النوروز وتعظيمه وكذلك الروساء والكتاب ولهم فيه مجالس انس مشهورة وتهدى لهم فيه الهدايا الجليلة وتمدحهم فيه الشعراء ولهم فيه الاشعار المستحسنه ومجالس الانس التي يتفاخر بها بعضهم على بعض وغير ذلك مما هو مشهور وجرت به دولة بني امية بالاندلس ولكن ليس لي علم به اي وقت كان عندهم الا ان لهم فيه مجالس مذكورة بين اكابرهم وهدايا جرت بها عاداتهم الى انقراض دولتهم . واما تونس حرسها الله تعالى فحساباتهم بشهور الروم وذلك انهم يكسبون يوما في السنة الرابعة فكان التوروز لا يتعدى وقته في كل سنة الا ان الفرس كانوا يجعلونه في الخامس من شهر ايار وايار هو شهر مائة بحساب الروم وانما يجعلونه في حزيران في السنة الكبيسة لانهم اذا ارادوا تكبيس سنينهم كما جرت به عادتهم بعد المائة والعشرين سنة كما تقدم به الخبر جعلوا تلك السنة ثلثة عشر شهرا فاذا صاروا في شهر حزيران الذي هو يونية بحساب الروم الغوا ذلك الشهر ورجعوا القهقرة الى شهر مائة فلهذا كان اختلاف حال النوروز عندهم كما ذكرنا ومنعهم خالد بن عبد الله القسري على فعلهم وزعم انه من النسي الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز والنسي المذكور غير هذا وليس هذا محل بيانهم وتمشى اصطلاح النوروز في مدينة تونس اول يوم من شهر مائة لان غالب سنينهم يطيب فيها زرعهم وتخرج الجبابة الى اطراف البلاد وكذلك حلة ثمار تظهر في هذا الشهر واهل تونس يقولون تظهر يوم مائة

سبع غلال ويعدونها ولهم اختلاف في عددها وليس لهم في زعمهم الا ظهور هذه الفواكه في هذا اليوم وجرت به العادة من زمن بني ابي حفص الى يومنا هذا ولولا خشية الاطالة لاتيتم بجملة من القصائد والمقطعات التي قيلت في النوروز وما ذكرت هذه النبذة إلا ليعلم من يقف على كتابي هذا ان اهل الحضرة لم يكن عندهم سدى كل ما هو متعامل بينهم لان السلطنة في تونس كانت ضخمة وملوكها يعدون من الخلفاء وهذا مما هو مشهور عند اهل الامصار إلا انه لما تغيرت الدول جهلت مسائل كثيرة مما كانت عليه واندست قواعد كان الاهتمام بها وصعب الامر على زدها كما كانت عليه فمن بعضها ما يناسب النوروز مما كانت تهتم به الملوكة في اول الزمان مثل النقل للسنين كما ذكرنا وهذا اليوم جار في وطن الساحل ويعنونه بالبحول وذلك ان جبة اعشارهم من المحبوب والزيتون تباينت عن مراتبها حتى انهم يذكرون في تذاكر اعشارهم سنة ثمان وثمانين تجبى سنة احدى وتسعين ولم يتفطن احد الى هذا الامر وان تمادى الحال على مر السنين تفاقم الى اكثر من ذلك وهذا من الازدلاف بسبب المباينة بين السنة الشمسية والقمرية لان القواعد تلتزم على حساب السنة القمرية والاعشار على حساب الشمسية فسقطت في كل ثلث وثلثين سنة شمسية سنة قمرية واستمر العمل بها واتسع الخرق على الراقع والكلام يطول ولكن جذبتنا المادة وفي هذا القدر كفاية والله اعلم بحقائق الامور وما تخفي الصدور ولهم اصطلاحات غير ما ذكرنا لو تتبعناها لطال بنا الاكثار وخرجنا عن حد الاختصار . ولما تعظيمهم ليلية النصف من رجب وليلة السابع والعشرين منه وكذلك ليلية النصف من شعبان وليلة السابع والعشرين منه ايضا لا يخفى على احد من الناس هذا التعظيم وان كان لغيرهم مشاركة في هذه الايام فان تعظيم اهل الحضرة اعظم من غيرهم وكذلك شهر رمضان المعظم قدرة فانهم يحتفلون فيه غاية الاحتفال ويقومون بواجبه وواجب حقه اتم القيام ويختتمون في غالب المساجد القراءان العظيم في صلاة التراويح إلا فيما قل من المساجد . وكذلك اعتناهم

بختم المسند الصحيح للامام البخاري رضي الله عنه وبقية الاسانيد الستة
إلا ان البخاري عندهم اشهر وروايته اظهر وان كان غيرهم من المغاربة
يقدمون كتاب الامام مسلم بن الحجاج رضي الله عنه على كتاب البخاري
وكلهم على حقيقة وصحة . فاهل تونس لهم ولع بالرواية لكن المشاهير من
علمائهم وغيرهم مولع بالختم لا غير واردنا ان ناتي بصورة الختم ليتم به الختم
ويحصل لنا حسن الختم ان شاء الله ولكن ناتي ببعض ونذكر بعض علماء
الحضرة الذين ادركتهم في هذه الايام تبركا باسمائهم لانهم فرسان هذا الميدان
وعلماء هذا الشأن ولم اتعرض لغيرهم ممن تقدم لكثرتهم وفواتهم وربما تمس
الحاجة لبعضهم فناتي به عفو ان شاء الله تعالى * فمن المشاهير من علماء
الحضرة الشيخ الامام علم الاعلام القدوة البركة المقتدى به المبتكر به المعمر
الذي الحق الاصغر بالاكابر وتخرجت به جماعة من الاعلام في ايام حياته
ورأى من تلامذته ما قرت به عينه وله الاسناد العالي ورحل الى الديار
المصرية والاماكن الحجازية والتقى بالرجال واخذ عن جم غفير واجيز واجاز
وافاد واستفاد بالحرمين الشريفين وارض الحجاز الامجد الشيخ ابو العباس
احمد الشريف زاده الله شرفا وهو اليوم بركة هذا الاقليم وملازم لافادة الطالبين
بجامعه المبارك بازاء دار الباشا وهو من المحافظين على رواية المسند زاد
الله في علومه ونفع به المسلمين يبداه من اوله الى اخره في مدة الثلاثة
اشهر الى ان يختتمه على وفق المراد فيكون الختم على بابه وهو حفظه الله
باق الى يومنا هذا متمتعا بسمعه وبصره ملازما للتدريس بجامعه المعروف
به ملاصقا لدار الخلافة وهو في سن الشيخوخة في الثمانين وفيه خشوع
ورقة وتخرج به جماعة وسلوكا طريقته زاد الله في شأنه بمنه وكرمه *
ومنهم الشيخ المعروف النحرير الخبير الفقيه المتكلم المنطقي المحكم
المفوض العروضي الاصولي البياني الاديب المذهب الورع المرحب الذي
جمع بين المعقول والمنقول مفتي الحضرة العلية وشيخ شيوخ البلاد الافريقية
المشهور في ادبه بابه نبأته الشيخ ابو عبد الله محمد عرف فتائته ابقى الله

بركته وقد تقدم شيء من ذكره ولا بأس بإعادته تعظيما لقدرة وهو باق
الى يومنا ملازما لافادة الطالبين وله عدة دروس منها في المسجد الاعظم
وغیره مع ما ينظر فيه من مصالح المسلمين وتخرج به جم غفير وتصدروا في
حياته لنفع المسلمين نفع الله ببركته * ومنهم شيخنا وصديقنا الشيخ
الفقيه والحبر النبیه الوجیه الشيخ الامجد ابو عبد الله محمد عرف ابن الشيخ
متصلع بعلوم شتى ملازم للاشتغال والافادة بجامعه المعلق بمقرته من سوق
المختارين وبالمدرسة المتصيرية وقد سبق التعريف به في اول الكتاب وهو
من المحافظين على التعليم لعلوم الدين وتخرج به جماعة كثيرة وهو من
بدار الشيخ احمد الشريف وبه تخرج واخذ عن جماعة غيره متع الله
بحياته المسلمين * ومنهم الشيخ العلامة وحيد دهره وفريد عصره المتصرف
في علوم كثيرة الا انه بعلم المنطق اشتهر من علم كثره ابيه من قبله بهذا
الفن وهو مدرس بالمدرسة المرادية المحدثه عند باب الربع وهو وقد من
اوتاد العلماء الانجاء الحاج الشيخ ابو عبد الله محمد عرف الغماد زاد الله في
حسناته * ومنهم الشيخ البركة القدوة المدقق المحقق المتكلم الورع
المشرك به المشتهر بالورع في هذه البلاد الشيخ ابو الحسن علي عرف الغماد
ابقى الله بركته وهو من المدرسين في الجامع الاعظم من تونس وله درس
بجامعه المشهور به في حوزة الدباغين وبالزاوية الحلقاوية في ربح باب
السويقة متع الله المسلمين بحياته * ومنهم الشيخ المعمر العلامة المتورع
المشرك به الشيخ ابو العباس احمد عرف المهدوي وهو الان خطيب بجامع
الحلق قريبا من باب الجديد زاد الله في حسناته * ومنهم الشيخ الفقيه
المتقن الورع العفيف الشيخ سعيد الشريف وهو من بدار الشيخين الشيخ
سيدي احمد الشريف والشيخ سيدي محمد فتاته وتصدر في حياتهما لافادة
بالجامع الاعظم وفيه وقار وسكينة زادة الله من فضله * ومنهم الشيخ
الفقيه عبد القادر الجبالي وهو من المدرسين بالجامع الاعظم ومن تلامذة
الشيخ فتاته وفيه فية وتدين وعفاف * ومنهم الشيخ الفقيه المدرس

المتصرف في علوم كثيرة إلا أنه بعلم الحديث الشريف أشهر الشيخ سعيد
المحجوز امام جامع الخطبة خارج باب الجزيرة وفيه نية وتدين وعفاف
زاده الله من فضله * ومنهم الشيخ الفقيه المدرس ابو عبد الله محمد عرف
قويسم من اهل باب السويقة ولاهل ربه فيه اعتقاد * ومنهم الشيخ
الفقيه المدرس المتعفف ابو القاسم الغماري من اهل باب السويقة ايضا امام
بجامع حومة الاندلس وفيه تدين . هولاء من مشاهير المالكية وغيرهم خلق
كثيرون ولكن لم يبلغوا شأوى سن ذكرنا وغيرهم لم يحضرني اسماؤهم إلا عند
ذكرهم * ومن مشايخ الحنفية الشيخان الفقيهان الشيخ محمد بن شعبان
امام جامع المرحوم يوسف داي وخطيب جامع المرحوم محمد باشا والشيخ
مصطفى بن عبد الكريم المنفصل عن الفنيا وهو اليوم امام جامع المرحوم محمد
باشا * ومنهم الفقيه النبيه الشيخ ابو الحسن علي عرف الصوفي عنده ملكة
في العربية والصرف والفقه وعلم الحديث * ومنهم الفقيه الشيخ ابو
الحسن علي كز باصة مدرس بالمدرسة الشماعية وعنده ملكة في علم الحساب
والمقات والفرائض ومختص بعلم الهيئة والهندسة * ومنهم الفقيه الشيخ
ابو عبد الله محمد المهتار وهو راو للحديث في جامع القصبة * هولاء الذين
بلغوا درجة الرواية للمسند الصحيح وغير هولاء جماعة يتعاطون الرواية وانما
دخلوا بمخالبتهم بين ذوي الاقتناص واكثرهم بين بناء وغواص ولم يكن بالديار
التونسية من يوم حل بها العسكر العثماني سن تعاطى الرواية والدراية إلا
الشيخ العالم الرباني الشيخ ابو عبد الله محمد تاج العارفين العثماني
سقى الله ثراه من صوب الرحمة والرضوان وكان مجلسه بالجامع الاعظم من
اجل المجالس وتحضرة الاجلاء من اهل العلم وتدور بينهم المباحث الجميلة
في العلوم الجليلة ولا يخلو مجلسه من فوائد في الثلاثة أشهر رجب وشعبان
ورمضان الى يوم الختم وهو اليوم السادس والعشرون من رمضان ثم تلاه ولده
العلم الشهير والعالم النحرير الشيخ ابو بكر فزار بسيرة والده وقام بعلم الحديث
الشريف احسن قيام وشهد له بالدراية علماء الاسلام فكان في هذا الفن

نسيج وحدة وحصل له سر ابيه وبركة جده الى ان سار الى رحمة ربه
في سنة ثلث وتسعين والف فتغيرت تلك القاعدة وصارت رواية لا
غير وجرت بها العادة للتبرك وانقطعت المادة من السير لان ولديه لم
يبلغا مبلغه ولا سعيه الا ان الله تبارك وتعالى من بمن اقام مقامه
بملازمة الرواية للتبرك بالحديث النبوي وهو الشيخ العالم العامل البركة
سيدي علي الغماري فسبح الله في مدته هو الذي يتعاطى الرواية في
الجامع الاعظم الى يومنا هذا والله الحمد ، وحيث بلغنا في خاتمة الكتاب الى
ذكر ختم البخاري الشريف وجب ان نذكر صورة الختم عسى ان يحصل لي
ببركة الختم ومجانسته الختم والختم ان شاء الله تعالى لا اله غيره ولا خير
الا خيرة وهو نعم المولى ونعم النصير *

الفصل الرابع

في تعظيم اهل الحضرة لختم البخاري

ولهم اهتمام عظيم يحتفل الشيخ لذلك اليوم غاية الاحتفال ولهم اماكن معلومة
وايام معدودة بحيث يكون يوم كذا في المسجد الفلاني عند الشيخ فلان فتهرع
الناس الى محله وتوقد الشموع وتسرج القناديل وينتشر المكان بأنواع الطيب
وقد تكلم الوالد رحمه الله على تعظيم اهل افريقية لختم البخاري وله في
ذلك تصنيف سماه تاهب الراوي الفصيح لفتح الجامع الصحيح ونقل عن
اشياخه من العلماء جملة من آداب المحدث واستفتاح مجلس الاملاء ثم
قال واستحسن الشيوخ عند الاملاء استفتاح مجلس الاملاء بقراءة قاري لشيء
من القرآن العظيم ثم يستنصت لسماع الحديث ثم قال قلت وعليه عمل
الناس اليوم بافريقية عند ختمهم البخاري يقرأون قبل افتتاح المحدث من
سورة الملك الى سورة عم الى آخر سورة من قصار المفصل ويختمون بآية

الكرسي وءاخر البقرة ويصلون على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقرأ
الراوي لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ولختم جامع البخاري
في القيروان بلدنا شان عظيم ومشهد كريم . ومن تعظيمهم له واجلالهم اياه
انهم يشتغلون به عن اهم شيء من جميع اشغالهم ويفلقون حوانيتهم وينادي
المنادي قبل ذلك الا ان الختم لجامع البخاري غدا صباحا او عشية في موضع
كذا فيفرع الناس ويتسارعون لذلك وتتسارع له النساء والصبيان والخواص
والعوام وينبدا الراوي بما فيه تعظيم لجناب رسول الله صلى الله عليه وسلم
من بعض سيرته ومعجزاته حتى يحصل لذلك صحيح برفع الصوت بالصلاة
عليه والتسليم ثم يذكر مواعظ ودقائق ويخوف الناس حتى يكون ويندمون
على ما فرطوا في جنب الله تعالى في ايامهم السالفة وربما حصل للذنوب
بسبب ذلك التوبة ثم يذكر بعد ذلك من سعة رحمة الله تعالى ثم يصلي
ويسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يختم بالجامع الصحيح فربما
اشتغلوا بذلك من طلوع الشمس الى قرب الزوال . واما عمل اهل تونس
بخلاف ذلك فلا يقرأون الا ءاخر الجامع الصحيح او ءاخر الشفا للقاضي
صياض بعد ان يستفتحوا بقراءة القرءان العظيم وعمل اهل القيروان اخص
واهم وعمل حضرة تونس اخصر والله تعالى ينفع كل احد بنيته وكل بحسب
سعته وقوته واجتهاده لينفق ذو سعة من سعته ثم ذكر كل ترجمة وما
يناسبها ثم قال وعادة اهل تونس ان يفتحوا مجلس الختم بترجمة كلام الرب
مع اهل الجنة ومنهم من يبتدي بباب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
وروايته عن ربه عز وجل وعادة اهل القيروان منهم من يبتدي بباب الماهر
بالقرءان مع الكرام البررة ومنهم من يبتدي بترجمة باب بل هو قرءان
مجيد في لوح محفوظ ومنهم من يبتدي بترجمة باب والله خلقكم وما تعملون .
انتهى باختصار منه . قلت هذا قبل اليوم واما في هذا الزمان اختصروا
بزيادة عما كان قبل لان هذه الرتبة لا يصل اليها الا زيد وعمر وفي هذه
الايام تصدر اليها خالد وبكر لمحبتهم للمباهاة وليقال فلان من الرواة .

فاما الاماثل فلم يرونها إلا احتسابا لله ويدأومون على روايتها الثلاثة اشهر
فاذا كان يوم الختم جعلوه على بابهم وبعضهم لم يتعاط شيئا من ذلك إلا
انه يحتفل ذلك اليوم ليدعى من اربابه حتى ان بعضهم يمكث من اول
السنه يجمع في اقوال العلماء ويحفظها باللوح فاذا جاء ذلك اليوم املاها
من حفظه وسردها ولو سأل احد في ذلك الجمع عن مسأله لعجز ان يسندها
وهذا في بعض سن تكون مباشرته للختم بوقاحه منه واستجراؤه وإلا
فالاجلاء من اهل الحضرة حاشاهم من هذه الرتبة الغير المرضيه وغالبهم منزله
عن الرتبة الدينيه والدنيويه فاذا حضر يوم الختم تكون عليهم سكينه
ووقار ويلوح عنه نور الحديث الشريف ويكون يومه يعد من الاعمار فاذا
اقى على ما املاه ختم مجلسه بحديث الشيخ ثم يسبح الله تعالى ويأتي
ببعض المواعظ مما يناسب ذلك المحل ثم يدعو بما يتقبل الله منه ويومن
على دعائه اقوام باصوات مرتفعه بقولهم اللهم آمين يا رب العالمين فاذا
كان في آخر التامين قالوا اللهم آمين يا رب العالمين وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين ثم تقرأ الفاتحه عدة مرار بما يقتضيه المحل
وينصرف ذلك الجمع بعد ان يقبل اكثرهم على ذلك الشيخ ويهنونه ويتبركون
به ويكون له مجال في ذلك المجلس والله تعالى يجازي كل احد بنيته وهو
المطلع على ما في طويته ولكل امرء ما نوى ، ولنختم هذا الختم بحديث
الختم الذي جاء عن سيد البشر ونطق به وما ينطق عن الهوى وهو قوله
صلى الله عليه وسلم كلمتان حبسبتان الى الرحان خفيفتان على اللسان ثقيلتان
في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم اللهم يا قاتل الدعوات
ويا مقيل العثرات اسالك بحبيبك وصفيك محمد صلى الله عليه وسلم افضل
ولد عدنان والاحاديث التي وردت في هذه الليلة المباركة واخبرت بانك
تقسم فيها الارزاق وتجييب فيها الدعاء والاستغفار ولها شان بين الليالي
واي شان اسالك الاجابة وان تغفر ذنبي وتستر عيبي وترحم شبي وان لا
تواخذني بما فرطت ولا بما رقت وجنعت وان تعاملني بحلمك ورحمتك

في الدنيا والاخرة انك اهل التقوى واهل المغفرة وكما فتقت لساني بكلمة
التوحيد في الابتداء اجعل ختامي بها عند الختام يا رب العالمين .
وكان الفراغ من هذا التعليق ليلة النصف من شعبان المبارك سنة اثنتين
وتسعين و الف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام وعلى
آله واصحابه ازكى التحية ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم *



فهرس الكتاب



صحيفة

- ٠٠٦ الباب الاول في التعريف بشونس
- ٠١٥ الباب الثاني في التعريف بافريقية
- ٠٢٢ الباب الثالث في فتح جيوش المسلمين افريقية
- ٠٥١ الباب الرابع في الدولة العبيدية
- ٠٧١ الباب الخامس في الادراء الصنهاجية
- ٠٩٥ الباب السادس في الدولة الحفصية
- ٠٩٥ الفصل الاول منه في ذكر من تولى من الخلفاء في المغرب ممن بلغ
درجة الملك ولم يبلغ درجة الخلافة النخ

- ٠٩٦ بنو امية
- ٠٩٩ الادارسة
- ١٠١ المرابطون
- ١٠٧ الموحدون
- ١٠٩ وفاة المهدي

- ١٢٣ الفصل الثاني في سن تولى من بني أبي حفص
١٢٧ بنو مرين
١٤٢ صاحب كتاب تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب
١٥٤ خير الدين باشا
١٦٩ الباب السابع في الدولة العثمانية •
١٩١ عثمان داي أول الدايات
١٩٢ مجيئ أهل الأندلس إلى إفريقية
٢١٥ البايات محمد باي
٢٢٧ مراد باي ابن محمد
٢٣٤ محمد باي وعلي باي ولدا مراد
٢٣٥ محمد الحفصي
٢٦٨ بناء القنطرة
٢٧٢ الخاتمة الفصل الأول منها
٢٨٢ الفصل الثاني في حوادث ظهرت في الديار التونسية الخ
٢٨٧ الفصل الثالث في ما تميزت به الديار التونسية الخ
٢٩١ الفصل الرابع في تعظيم أهل الحاضرة لحشم البخاري



تم الكتاب
بعون الملك الوهاب



لما لكم السعادة والسلامة وطول العمر ما هملت غمامة
وما طلعت نجوم بنات نعش وما ناحث على غصن يمامة

